

طباعة. نشر. توزيع
تاريخ
اليونان
تأليف
محمود فهمي
تقديم
الدكتور محمد زينهم محمد عزب
Bibliotheca Alexandrina
0205101

تاريخ اليونان

الناشــــر : مكتبة ومطبعة الغد

العنــــوان : ٢٣ ش سكة المدينة - ناهيا - امبابة - جيزة

تليـــفـــون : ٣٢٥٠٢٠٢

رقم الإيـداع : ٩٧/٨٥٩٨

الترقيم الدولى : 977 - 5819 - 08 - 3

الغـــلاف : محمد أبو طالب

طبعة جديدة

١٤١٩هـ / ١٩٩٩م

دراسات تاريخية

تَارِيخ اليُونَانْ

تأليف

محمود فهمى

تقديم

الدكتور محمد زينهم محمد عزب

الناشر

مكتبة ومطبعة الغد

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين

مقدمة وتعريف

والصلاة والسلام على أفضل خلق الله الصادق الأمين محمد بن عبد الله نبى الرحمة وشفيع العالمين ، وعلى آله وصحبه ومن تبع الهدى .

وبعد :

فالتاريخ من العلوم الإنسانية الهامة التى تلعب دوراً هاماً فى حياتنا على مر العصور ، وكذلك العلوم الطبيعية تعتمد اعتماداً أساسياً على علم التاريخ ، فلا يوجد علم فى الوجود إلا وله تاريخ ، فالتاريخ عبارة عن سلسلة مرتبطة ومتماسكة ، فلا يمكن إسقاط فترة من فترات التاريخ ، فالتاريخ قديماً وإسلامى وواسطى وحديث ومعاصر .

احتل الأغريق مكانة خاصة فى التاريخ ، اختلفت عن مكانة غيرها من الدول والأمبراطوريات التى قامت خلال عصور التاريخ ، ولا ترجع أهمية التاريخ الأغريقى إلى اتساع رقعتها الجغرافية ، التى اشتملت على مواطن أقدم الحضارات التى عرفها الإنسان ، إذ ابتدأت قبل الميلاد بعدة قرون واستمرت باقية إلى قيام الأمبراطور الرومانى .

فلهذا حرصت كل الحرص على تقديم كتاباً هاماً من كتب التاريخ هو كتاب «تاريخ اليونان» ، لينتفع به الباحثون والدارسون .

وصاحب الكتاب هو محمود فهمى المصرى المدرس ، حيث تقلد منصب مدرساً بمدرسة القضاء ، ثم بالجامعة المصرية ، وله كتابان هما : الكتاب الذى بين أيدينا ، وكتاب آخر هو « تاريخ الرومان » هو كتاب مفقود .

مات هذا الكاتب فى سنة (١٣٣٥ هـ/١٩١٧م) ، وكتابه « تاريخ اليونان » بعيد عن القراء ، وأثناء وجودى فى دار الكتب المصرية والمكتبة المركزية بجامعة القاهرة وجدت هذا الكتاب ففكرت فى إصداره مرة أخرى مع عمل تقديم له ، وأسأل الله العون والمغفرة والله الموفق .

د/ محمد زينهم محمد عزب

القاهرة فى : (١٤١٨ هـ/١٩٩٧م)

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقـــدمة المؤلف

الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ، والصلاة والسلام على رسله مشارق الحضارة ، ومنابع العرفان .

وبعد . .

فقد دعتنى حاجة الأدباء من قراء العربية إلى تأليف كتاب فى تاريخ اليونان يتضمن كل ما ينبغى أن يعرف عن تلك الأمة التى انتهت إليها كل حضارة الشرق، ونشأت عنها المدنية الغربية ، وانبعثت منها النهضة الأدبية ، حتى إننا لا نكاد نجد مؤلفاً خلواً من آثار الحكمة أو الفلسفة اليونانية .

تلك الأمة التى كان منها هيرودتس أبو التاريخ ، وسقراط سيد الفلاسفة ، وهوميروس إمام الشعراء جديرة بأن ترى من الغربيين العناية الفائقة بتاريخها بعد أن تفانوا فى علومها وآدابها .

وإنّا وإن تمتعت لغتنا بالحظ الأوفر من تلك العلوم والآداب من عهد الرشيد والمأمون ، إلا أنا لم نُعنَ كثيراً بتخليد ذلك التاريخ فى لغتنا الشريفة مع الحاجة الشديدة إليه والرغبة الزائدة فيه .

هذا ما جعلنى أبذل جهد المستطيع فى القيام بهذه المهمة الشاقة وسد هذه الثلمة الكبيرة ، ولم أدخر وسعاً فى تحرى الحقيقة وحسن الترتيب وجودة الأسلوب ، كما أنى عُنيت كثيراً بالخرائط التاريخية وصور مشاهير الرجال وسيرهم مع ضبط الأعلام من مصادرها الأصلية الذى يرجع الفضل فيه إلى جنابى المحترمين الموسيو مسخيدس ناظر مدرسة عبيد اليونانية والموسيو تماسوكلى المدرس بها ، فقد قصدتهما فتفضلا بالإجابة خدمة للعلم وحباً فى نشر الحقيقة ، فجاء كتابى هذا بعون الله محكماً فى جميع أبوابه .

وإنى لآمل أن يصادف قبولاً حسناً ليكون عوناً لى على عمل أمثاله والله نصير العاملين .

* * *

الباب الأول

وصف أغريقية

● **ملخص تمهيدى :**

١ - (**وصفها الطبيعى**) : أرضها جبلية قاحلة تتخللها سهول ضيقة غير صحية، وجوها شديد الحر فى الصيف قارس فى الشتاء .

٢ - (**موقعها وسبب رقيها**) : موقعها يعوضها خيراً من معايبها الطبيعية ، فلوقوعها بين أوروبا وآسيا وأفريقية كانت أول البلدان فى جنى ثمرات الحضارة الشرقية .

٣ - (**أصل الأغريق**) : من سلالة الآريين من بنى يافُث الذين بعد أن أقاموا زمناً طويلاً فى آسيا الصغرى نزحوا إلى أغريقية ، إما عن طريق بحر الأرخبيل أو عن طريق البوسفور من الشمال ، وأولى القبائل التى انتقلت إليها البيلاچيون ثم اليوليون والأخائيون واليونيون ، وفى القرن الثانى عشر قبل الميلاد الدوريون ، ثم اندمجت تلك القبائل بعضها فى بعض وصارت قسمين اثنين : اليونيين والدوريين ثم أطلق عليها فيما بعد اسم الهيلينيين .

٤ - (**تأثير الشعوب الأجنبية فى بلاد اليونان**) : كان المصريون والفينيقيون يعرفون أغريقية من زمن بعيد ، فوضعوا لها بعض الشرائع والنظامات ، وعلموا أهلها كثيراً من الفنون والصناعات كما يشهد بذلك ما عثر عليه من الآثار .

٥ - (**أقسام أغريقية القديمة**) : تنقسم أغريقية بواسطة الجبال إلى جملة أقسام طبيعية : ففى الشمال قسم تسَّاليا ، وفى الوسط الأتيكى وعاصمته أثينا ، وبيوثيا وعاصمته ثيبة ، وفُوكيد وعاصمته دِلفى ، وفى الجنوب شبه جزيرة بيلوبونيسوس، وهى جملة أقسام منها لاكنيا وعاصمته أسبرطة .

*

(١ - وصف أغريقية الطبيعى)

أغريقية الأصلية أو بلاد اليونان ، ويسميها أهلها هللاس شبه جزيرة فى طرف أوروبا الجنوبية لم يزد مسطحها من قديم الزمان عن ٧٠ ألف كيلومتر مربع [١]

---

(١) سطح أغريقية الآن (٦٤٧٨٩) كيلومتراً مربعاً .

فهى لم تتجاوز حدود تِسَاليا ، ولم تشمل مقدُنيا ولا تُراقة [١] ، وإنما كان يتبعها جزائر كيكلادِس وأسبورادِس وجزائر بحر اليونان ، وكانت جزيرة كريد [٢] معتبرة أرضاً يونانية .

وأرض هذه البلاد مجدبة قاحلة تغطيها جبال شامخة تتخللها أودية ضيقة ، وسهول صغيرة مقفلة ، ليس لمائها اتصال بالبحر حتى صار أغلبها مستنقعات تنبعث منها العفونات وتفشو فيها أنواع الحميات ، بحيث لا يمكن سكناها إلا ببذل الجهد فى تطهيرها من تلك الأدران .

أما جوها : فحره شديد وبرده قارس فى الجبال ، ولا يتحمله الإنسان فى السهول إذا هبت ريح الشمال [٣] ، ولا ينبت فى أرضها المحرقة القليلة المياه إلا العوسج وشجيرات ذات شوك لا تحتاج إلى الرى إلا قليلاً ، وفى الأودية أشجار التين واللوز والزيتون ، وينمو الغار [٤] حيث تكثر المياه .

* * *

(٢ – موقعها الجغرافى وأسباب رقيها)

لأغريقية مزايا فى الموقع وشكل السواحل ، وهذا يعوضها خيراً من خصوبة الأرض وسهولتها ، فإنها على أبواب آسيا وفى مواجهة مصر وبملتقى القارات الثلاث .

ولما كان أول شروق شمس الحضارة وبزوغ نور العلم على طرف البحر الأبيض المتوسط الشرقى بمدينة منف وطيبة ، وبابل ونينوى ، وصور وصيدا ، وبيت المقدس .

كانت أغريقية أول البلاد التى ارتبطت بأنواع العلاقات التجارية والسياسية هى والمصريون ، والكلدانيون ، والفينيقيون ، والإسرائيليون ، فكانت واسطة فى

---

(١) مكانها تركيا الحالية ، وقد ضبطت هكذا لشهرتها، أما ضبطها اليونانى فهو تُراكى.

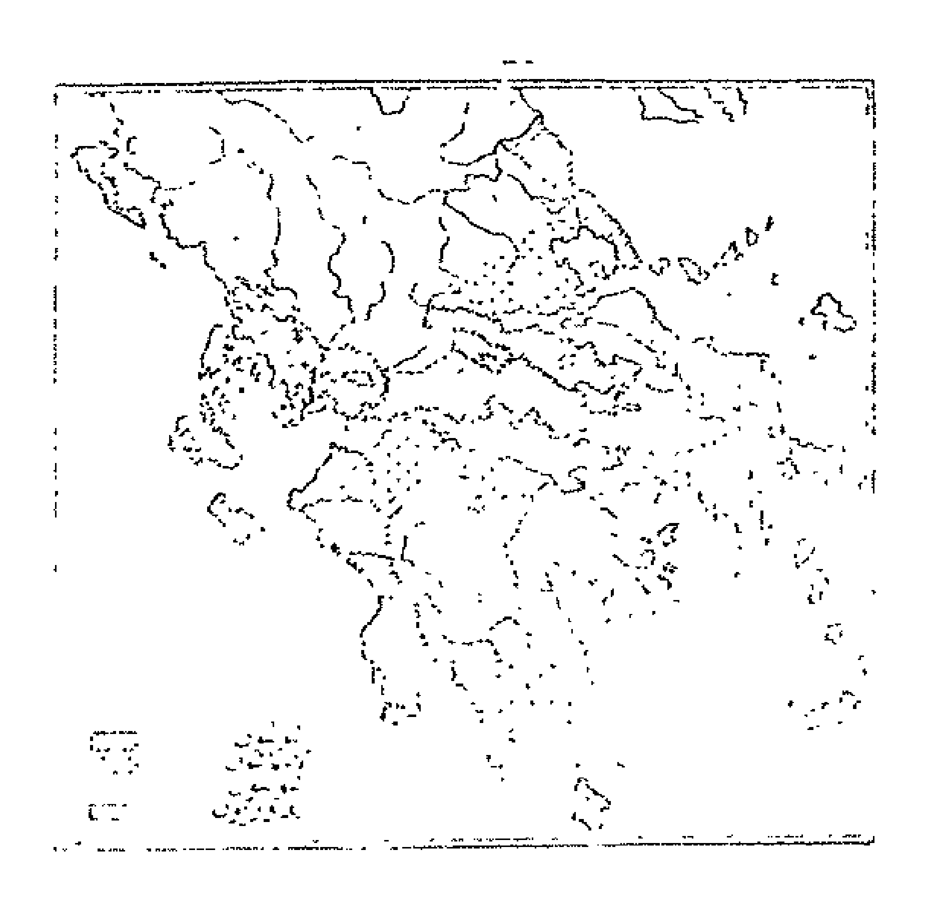
(٢) تسميها العرب جزيرة أقريطش ، واسمها باليونانية · كريتى .

(٣) ريح محلية تسميها اليونان قُراس الهاتلة .

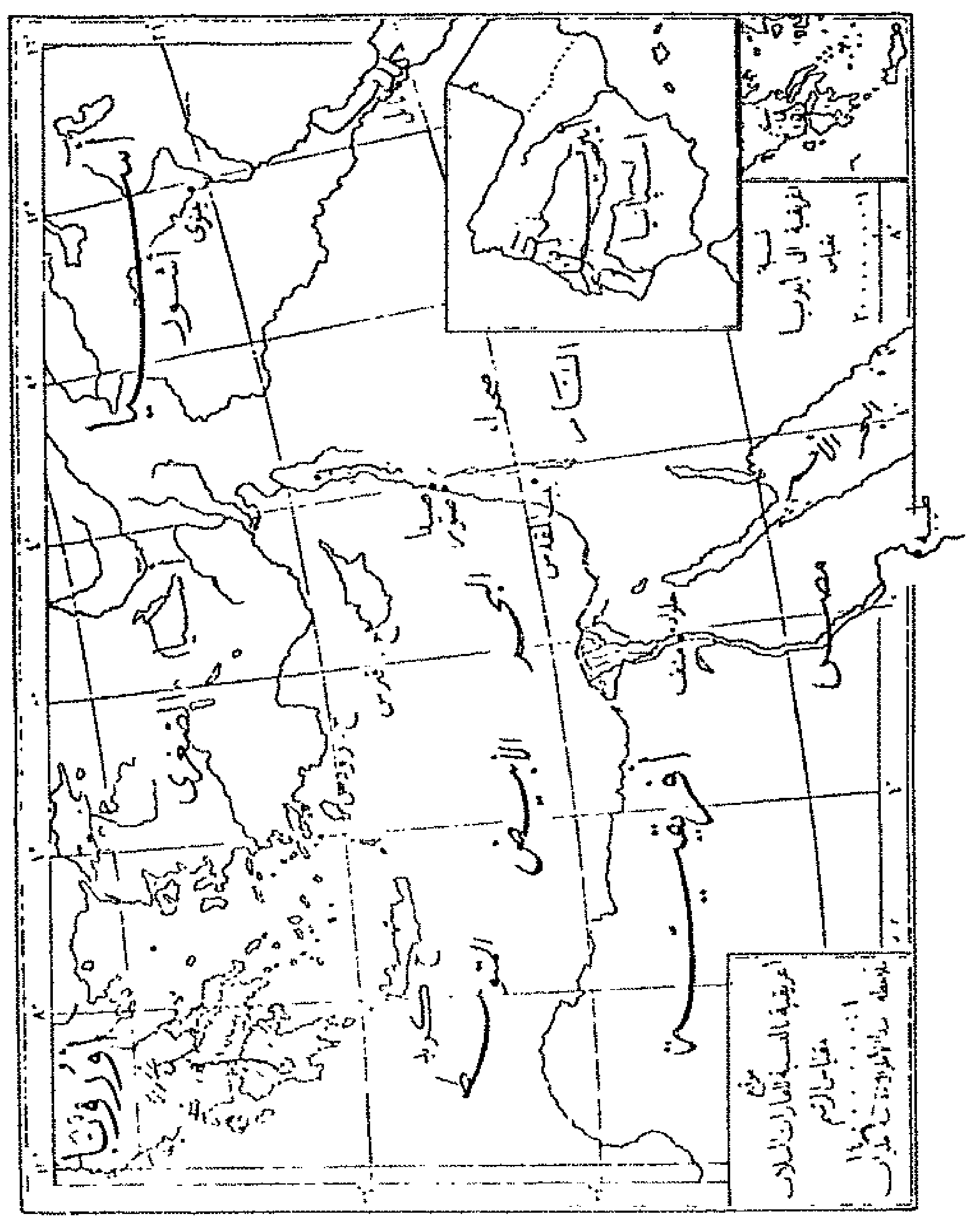
(٤) شجر أخضر صيفاً وشتاء ، له حب مر أسود ، كان يعمل منه تيجان تعطى لعظماء الرجال

إدخال الحضارة الشرقية فى أوروبا ، وهذا فخرها وأعظم مهمة قامت بها وسبب شهرتها ، وما ذلك إلا لحسن موقعها الجغرافى وقربها من مراكز النور والعرفان .

ومما ساعد أغريقية على تقدمها ورقيها طول سواحلها وكثرة تعاريجها وخلجانها وصلاحية موانيها ومرافئها ، وحسبنا دليلاً على ذلك أن مسطحها مع ما يتبعها من الجزر تسع مسطح شبه جزيرة أيبريا [١] ، وطول سواحلها يزيد عن طول سواحل أيبريا بنحو ثلاثمائة وسبعين كليومتراً ، وهذا مما جعلها فى قديم الزمان دولة بحرية تجارية تمخر سفنها العديدة فى عباب البحر الأبيض المتوسط ويستعمر أهلها كثيراً من سواحله .



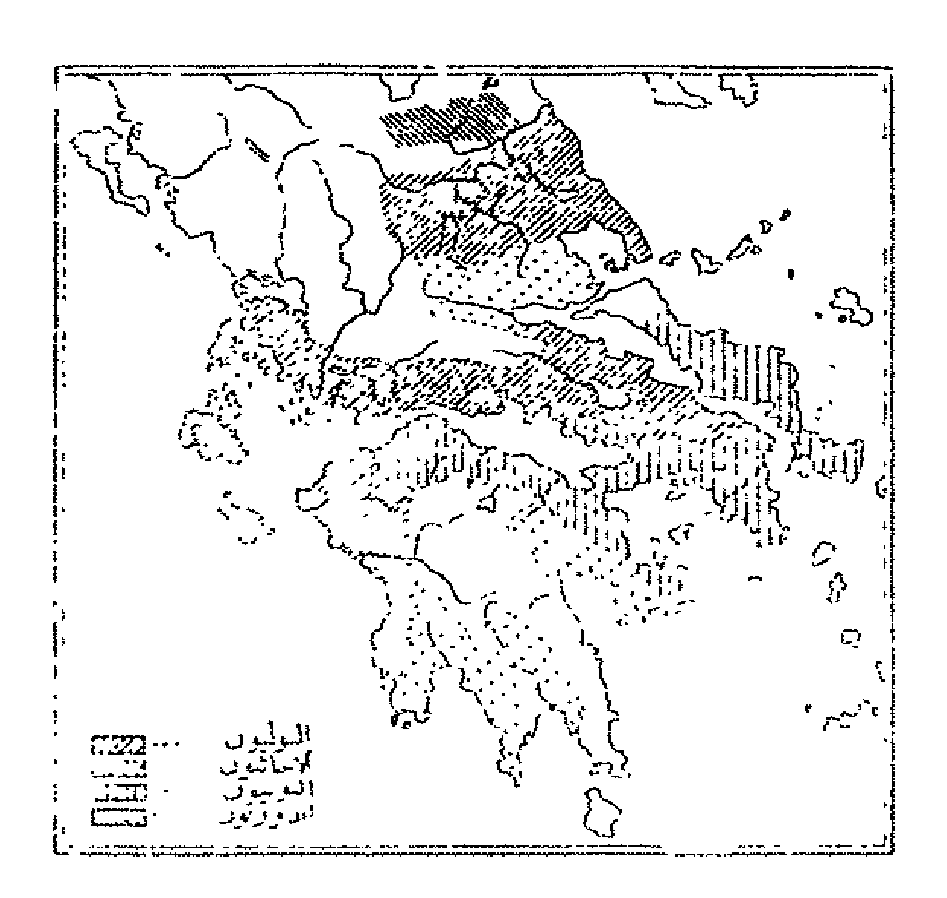
(١) أيبريا شبه جزيرة عظيمة فى الجنوب الغربى من أوروبا تشمل أسبانيا والبرتغال معاً.



موقع أغريقية بالنسبة للقارات الثلاث

(٣ - أصل الأغريق)

أول من سكن أغريقية البيلاچيّون ، وهم أقوام من بنى يافُث ، نشأوا فى آسيا وأقاموا بها طويلاً ، ثم عبروا مجاز البوسفور واخترقوا تُراقة ومَقدُنيا ، وإليهم ينسب كثير من الآثار التى لا يزال بعضها باقياً إلى اليوم ، ويشهد لهم بالقوة والنشاط بمدينة ميكينة وأرغوس .



(أغريقية فى عصر الأبطال) [1]

---

(١) هى أغريقية الاولى ، وسيأتى ذكر هذا العصر فيما بعد ، أما الغرض من هذه الخريطة والتى بعدها فهو بيان عدم استقرار القبائل المذكورة فى مكان واحد ، وأن هذا التنقل مع شن الغارات كان سبباً فى زحزحة بعض القبائل للبعض الآخر ، وانقسام القبيلة الواحدة إلى جملة اقسام .

وبعد ذلك بزمن طويل وفد الهيلينيون فرقاً متمايزة فى أوقات مختلفة ، فحضر منهـم أولاً اليوليون والأخـائيون ، وإليهم ينسب تأسيس الجمعيات المنظمة وهـى أول أنواع الحكومة ، وهؤلاء وفدوا من السواحل الأسيوية عن طريق جزر بحر الأرخبيل ، لم يعبروا سهول ثراقة ولم يخترقوا جبال مقذنيا ، فكانت حضارتهم أحدث من حضارة سابقيهم ، وعلى ذلك تكون الجزر هي التي استفادت من هذه الحضارة ، ثم حضر أخيراً فى القرن الثانى عشر قبل الميلاد الدوريون ، وهم أقوام من البرابرة مولعون بالحروب مشغوفون بالغارات ، وكان مجيئهم من الشمال ، فأغاروا أولاً على تِسَّاليا ، ثم تقدموا إلى الأمام وأوغلوا فى الجنوب فاتحين ما يصادفهم من البلدان حتى وصلوا إلى بيلوبونيسوس [1] ، ونزح بعضهم منها إلى جزيرة كريد .

(أغريقية بعد أغارة الدوريين)

(١) شبه الجزيرة المسماة بيلوبونيزة وتسمى موررياس (مورة) وهى الجزء الجنوبى من أغريقية .

فأشهر القبائل التى تكونت منها الأمة اليونانية هى اليوليون والأخائيون واليونيون والدوريون ، وقد بقيت هذه القبائل منفصلاً بعضها عن بعض إلى ما بعد القرن الحادى عشر قبل الميلاد ، ثم جمعتهم وحدة اللغة والدين وصاروا كأبناء أسرة واحدة أطلق عليها اسم هيلينيين ، وحفظوا وحدة جنسهم إلى اليوم ، وقد اندمج فيهم البيلاچيون بحيث لم يبق لهم ذكر أصلاً ، أما لفظ أغريق فهو تحريف غراى كُوا ، وهو اسم لقبيلة كانت تقطن جبال ذوذُونى [١] ، فسمع به الرومانيون وأطلقوه على الأمة بأسرها وعربه عنهم العرب .

* * *

(٤ - تأثير الشعوب الأجنبية فى بلاد اليونان)

إن الشعوب المتمدنة التى سكنت سوريا ودلتا النيل كانت تعرف من زمن بعيد بلاد الأغريق ، فالمصريون خصوصاً الفينيقيين الذين كل ثروتهم من التجارة البحرية كانوا كثيراً ما يترددون على سواحل الأتيكى وجزر الأرخبيل قبل وصول القبائل الهيلينية الأخيرة إليها ، وكانوا يستخرجون المعادن ولا سيما الفضة التى كانت بالطرف الجنوبى من شبه جزيرة الأتّيكى ، وقد عثر على آثار الطرق التى احتفروها فى المناجم للحصول على ذلك المعدن النفيس ، وهم الذين بثوا فيهم الميل إلى الفنون وتشييد الآثار حتى أن الأبنية الأولى التى أقامها اليونانيون لعظماء موتاهم والقبور التى وجدوها فى مدينة ميكينة كان يتجلى فيها الذوق المصرى تماماً، والأبواب والأفاريز التى كانت تقام عادة على رأسها ، والسباع الواقفة التى كانت تعتبر حارسة لأبواب المدافن ما هى إلا نموذجات من العمارات المصرية فى مدينة طيبة ومنف ، وكذلك ما عثر عليه من الأشياء الدقيقة والتيجان وصور وجوه الموتى التى وجدت فى التوابيت ، فإنها كانت من صناعة الفينيقيين أو مما نسج على منوالها ، فلا مبالغة إذا قلنا : إن أمم الشرق كانت أساتذة اليونانيين الذين صاروا فيما بعد أساتذة الغرب ، وأن تلك الأمم مهدت لهم طريق الحضارة وأرشدتهم إلى سبيل الفلاح ، وقد عرف اليونانيون ذلك فأُعجبوا بمهارة المصريين والفينيقيين ، وتغنوا بمديحهم فى أناشيدهم وأشعارهم ، فعزوا إلى ككْرُبس

---

(١) مدينة قديمة بقسم أبيروس فى الجنوب الغربى من يانيه الحالية .

المصرى أنه علمهم زراعة الكرم والحنطة والزيتون واستخراج الزيت ، وسن لهم الشرائع والنظامات ، وأسس قلعة أثينا وما حواليها من المنازل .

ونسبوا إلى ذاناؤس المصرى أنه أسس مدينة آرغوس وأدخل فيها شيئاً من صناعات مصر ، وإلى كدموس الفينيقى أنه شيد قلعة كَدْميا وأقام حولها مدينة ثيبة أو ثيقة ، وإلى بيلُبْس الفريغى أنه استوطن أيليس بقسم أَلِيذا التى انتشر منها أبناء جنسه فى أنحاء شبه الجزيرة فسميت بيلوبونيسوس .

* * *

(٥ - أشهر أقسام أغريقية القديمة)

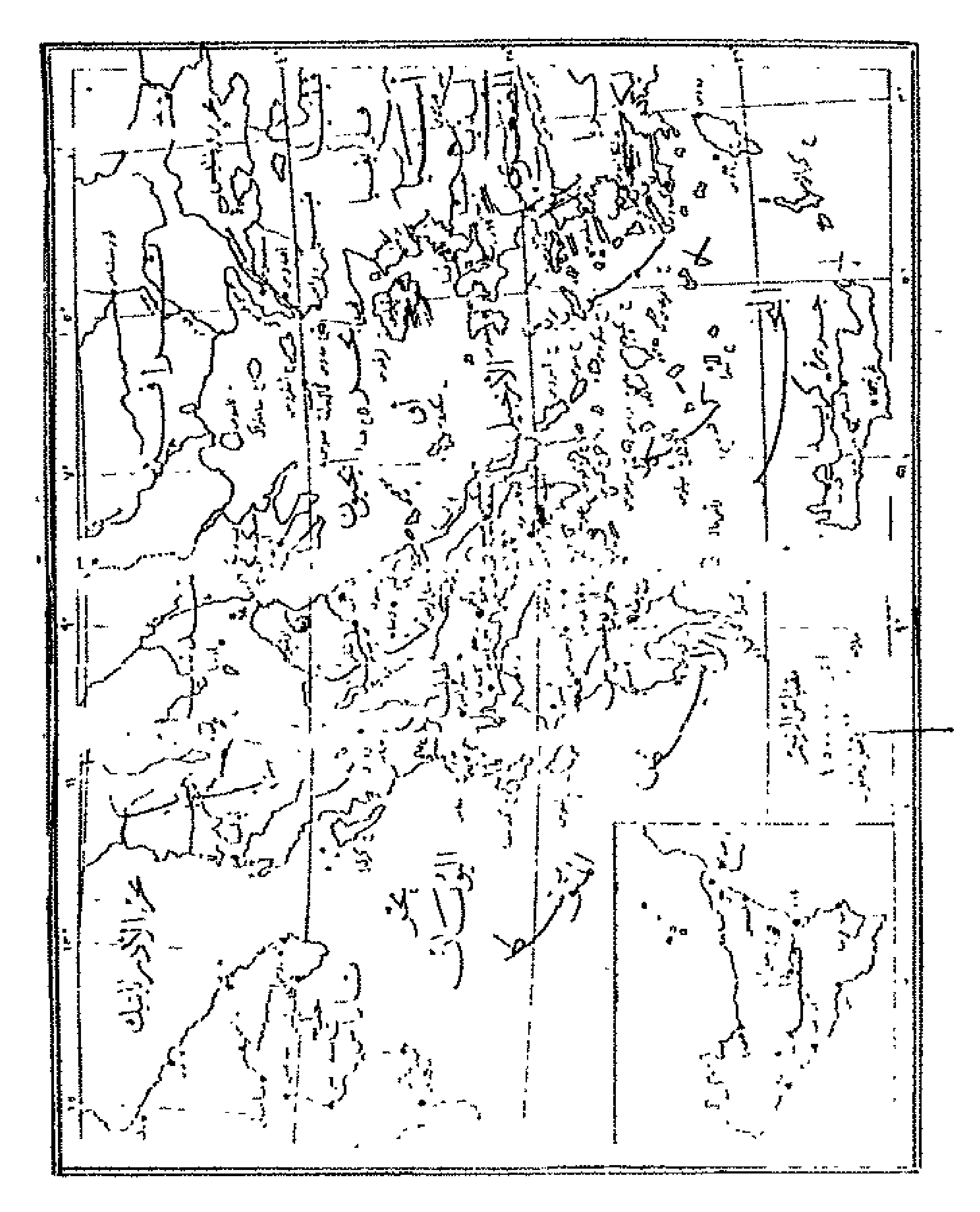
أقسام أغريقية هى : سهولها ، وأوديتها ، وهى بمثابة حجرات جدرانها الجبال وقد نزلت فيها القبائل اليونانية المختلفة ، وأطلق على كل منها اسم ساكنيه وبقى كثير من هذه الأقسام باسمه القديم إلى الآن .

ففى الشمال تمتد تِسَّاليا تحيط بها من كل جهة جبال بنذوس وأُولمبوس وأُسَّا وبِيليون وأُثْريس ، وفى وسطها يجرى نهر بِنْيوس فى واديه الضيق على شكل نصف دائرة ماراً بمدينة لاريسا المقامة على منتصف مجراه .

وعلى سواحل الأدرياتيك تمتد أبيروس فى إقليم كثير الجبال يقطنه بعض قبائل متبربرة منها قبيلة غراى كوا .

وفى جنوب تِسَّاليا وأبيروس بين خليج كورنثوس ومجاز أُقْيا ، تمتد فروع من جبال بنذوس نحو الشرق حتى يكاد الإنسان لا يجد ممراً على ساحل البحر ، ففى هذه الجهة يوجد مضيق الثرموبيل الشهير الذى هو الطريق الوحيد بين القارة وأغريقية الوسطى .

وفى الوسط جملة أقسام لا اتصال لها بالبحر إلا بمسايل ضيقة احتفرتها السيول أهمها : قسم فوكيس على جبل برناسوس ، وأهم مدينة فيه ذِلفى ، وقسم بيوثيا أو حوض بحيرة كوبايس ، وأهم مدينة فيه ثيبة ، وهو كثير المستنقعات غير صحى ، وبه من المدن : أُرخومينوس وبلاتيه وخيرُنيا وجميع الأماكن التى كانت حمامات للوقائع الحربية العظيمة .



أقسام أغريقية القديمة

ثم قسم الأتيكى وأرضه تغطيها الصخور والتلال المرتفعة وتقطعها أودية صغيرة قامت فيها ماراثون والفسيس وأثينا .

ويتوصل من قسم الأتيكى إلى شبه جزيرة بيلومسيسوس ببرزخ ضيق عرضه من جهة مدينة كورنثوس سبعة كيلومترات، ومن جهة ميغارا واحد وعشرون كيلومتراً.

ويشاهد وسط بيلوبونيسوس سهل كبير مرتفع (هضبة) يسمى سهل أركاديا تفشو فيه الحميات وتكثر به المياه ، ويحيط بهذه الهضبة سلاسل جبال تقطعها مسايل ماء ، وتتجه من الشمال إلى الجنوب حتى تصل إلى البحر وتمتد فيه وتنتهى موري‌اس عظيمة تجعل شبه الجزيرة على شكل ورقة التوت ، ولذا سماها الرومان مُورِياس [1] .

وفى شمال تلك الهضبة قسم أخائيا ممتداً على خليج كورنثوس ، وفى جنوبها ميسينيا ولاكُنْيا يفصلهما جبال تَايبوس ، وفى شرقها قسم أرغوليس .

ولم تنته أغريقية بانتهاء بيلوبونيسوس ، فإنها يربطها بآسيا ثلاثة صفوف من الجزائر التى هى ليست إلا قنناً لجبال اليونان الممتدة تحت البحر ومتجهة نحو بلاد الأناضول .

أما الصف الأول فيبتدئ من نهاية أُوفْيا الجنوبية (رأس ييرِسْتوس) ، ويتكون من أَنْتْروس وتينوس وميكونوس وباروس ونكوس وأمرُغُوس ، وتسمى جزائر الرخام .

والصف الثانى يبتدىء من نهاية الأتيكى الجنوبية (رأس سونيون) ، ويتكون من كِيُوس وكِثْنوس وسيريفوس وميلوس وثيرا .

والثالث يربط بيلوبونيسوس بكريد بواسطة جزيرة كيثيرا ، ويربط كريد بآسيا بواسطة كرباثوس ورودس .

ولقد أثر انقسام اليونان طبيعياً فى حالتها السياسية ، فانقسمت أيضاً إلى جمهوريات كثيرة مستقل بعضها عن بعض بسبب صعوبة المواصلات استقلالاً أدى إلى المنافسات والمخاصمات فالحروب الداخلية .

* * *

---

(١) لفظ مشتق من اللاتينية بمعنى شجرة التوت .

الباب الثانى

فى الأقاصيص اليونانية

● **ملخص تمهيدى :**

تنقسم أقاصيص اليونان إلى خمسة أقسام :

١ - أقاصيص عن أصلهم والجنس البشرى يزعمون فيها أن أباهم برُوميثِفْس ، وأن الآلهة أرسلت على ذريته طوفاناً لم ينج منه غير ذِفْكاليون الذى رزق هِيلين أبا الأمة اليونانية خاصة .

٢ - أقاصيص عن الأجانب الذين وفدوا على أغريقية وعن تأسيس بعض البلاد كرواياتهم عن كِكْرُبْس فى الأتيكى وعن قَدْموس فى ثيبة .

٣ - أقاصيص عن الأعمال الخارقة للعادة المنسوبة لأبطال اليونانيين مثل هيرقليس وثيزفس وبرسفس وفلليريفنتيس .

٤ - أقاصيص عن حروبهم وحملاتهم ككلامهم على حرب تُرواس وحملة الأرغونفتة .

٥ - أقاصيص خاصة بكل مدينة كروايات ثيبة عن إيذُبس وأولاده .

*

يبتدئ تاريخ اليونانيين بأقاصيص موضوعة بطريقة مستلطفة فى شكل حكاية مألوفة تعبد ذكرى العصور الخالية التى لا يعرف من حوادثها إلا النزر اليسير ، فإنه من السهل أن تعزى أعمال الأسلاف وفتوحهم وما قاسوه من الشدائد وذللوه من الصعاب إلى بعض أبطال من الأمة بدلاً من أن تمحص الحوادث وظلام التاريخ فى تلك الأزمنة حالك ومآخذه تكاد تكون معدومة .

وكانت هذه الأقاصيص بادئ بدء أحاديث خرافة ، ثم جرت مجرى العقائد والسنن ، وهى لا تخلو من مغاز أدبية وحكم غالية عليها مسحة من التاريخ وميزتها على العظات المجردة من الحوادث استقرارها بسهولة فى الذهن وانتقالها إلى الأعقاب لشبوعها ولذاذتها ، وهى تنقسم إلى خمسة أقسام :

(١ - أقاصيص عن أصل اليونانيين والجنس البشرى)

يقول اليونانيون : إن أباهم بروميثفس أحد أولاد أورانوس [(١)] ، وأن ابنه ذِفْكاليون استوطن تِسَّاليا على شواطئ نهر بينيوس ، ثم غضبت السماء فأفاضت النهر حتى أحدث طوفاناً أغرق البلاد ، ولم ينج من هذه المصيبة غير ذفكاليون وزوجه بِرًّا ، ورست السفينة التى كانت تحملها على رأس جبل عال وسط أرض مقفرة ، وأوحت الآلهة إلى ذِفْكاليون أن يلتقط بعضاً من عظام أمه ، ويعنون بها أحجاراً عظيمة من الأرض ويقذف بها بعيداً ففعل ، فكانت الحجارة كلما مست الأرض صارت رجالاً ، وتبعت برًّا مثل زوجها ، فكانت حجارتها نساءً ، فعاد إلى أغريقية عمرانها ، ثم رزق ذِفْكاليون ولداً يدعى هِيلين ، وهو أبو الأمة اليونانية الأصلية ، ورزق هِيلين ثلاثة أولاد : يولوس أبا اليوليين ، وذوروس أبا الذُّوريين ، وكْسُوثوس الذى رزق يون أبا اليونيين ، وأخِيوس أبا الأخائيين .

وهذه رواية سهلة ساذجة ولكنها تؤيد قرابة القبائل الأغريقية بعضها من بعض.

* * *

(٢ - أقاصيص عن الأجانب الذين وفدوا على أغريقية)

لليونانيين أقاصيص عن الأجانب الذين وفدوا على أغريقية ، وكان لهم يد فى رقيها وتمدينها ، وقد تقدم الكلام عليها لأنا ألفيناها أقرب إلى الحقيقة منها إلى الخرافات ، وبينا ذلك بدليل محاكاة الآثار الأغريقية آثار بلاد هؤلاء الأجانب .

* * *

(٣ - أقاصيص عن أعمال الأبطال اليونانيين)

سمع اليونانيون بالمشاق التى تكبدها آباؤهم حتى جعلوا أغريقية صالحة لسكناهم ، فتخيلوا النصب الذى تجشموه فى إصلاح الأرض ومطاردة الحيوان الكاسر وتطهير المستنقعات وتحويل مجارى الأنهار وتأثر اللصوص والأشقياء ، ونسبوا تلك الأعمال العظيمة إلى أبطال منهم : كهيرَقليس ، وثيزِفْس ، وبرسِفْس وفِلِلّيريفنّيس .

---

(١) كوكب سيار .

(أعمال هيرقَليس)

نسب اليونانيون لهيرقليس اثنتى عشرة مأثرة [1] تنحصر جميعها فى إعدام

---

(١) وهى :

١ - ظفره بأسد هائج فى غابة نِميا ، بأن ضيق عليه الخناق بذراعيه القويتين .

٢ - ضربه التنين الذى كان بمستنقعات لِرْنى ضربة واحدة قطع بها رءوسه السبعة ، وكان هذا التنين كلما قطع له رأس نما فى الحال غيره ، وتقول الرواية : إن هيرقليس غمس سهامه فى دم التنين فصارت سامة لا شفاء لما تحدثه من الجروح .

٣ - لحاقه بوحش الغزال ذى القوائم النحاسية والقرون الذهبية بعد أن عجز جميع الناس عن إدراكه .

٤ - إخضاعه الخنزير الوحشى الذى كان فى جبل أرِعنثوس .

٥ - إبعاده الطيور الجارحة عن بحيرة استِمْفاليس بعد أن أهلكت بمخالبها خلقاً كثيرين .

٦ - تطهيره اصطبلات أيجفس ملك إليذا بأن حول مجرى نهر ألفيوس وسلط ماءه عليها فنظفها وذهبت بما كان فيها من الروائح الكريهة .

٧ - ذهابه إلى جزيرة كريد واستيلاؤه على الثور الوحشى الذى خرب البلاد وأحزن العباد .

٨ - قتله ذِيوميذيس ملك ثراقة الذى كان يغذى خيوله بلحوم بنى آدم .

٩ - قتله چيريونيس ملك أيبريا الذى كان يغذى ثيرانه من لحوم رعاياه .

١٠ - فتحه مجازاً بين المحيط الأطلنطى والبحر الأبيض المتوسط بزحزحته الصخر الذى كان يربط أوروبا بأفريقية .

١١ - نزوله الجحيم لإنقاذ ثيزفس .

١٢ - استحواذه على تفاح الذهب من بستان هِسْبِريدون بعد قتله التنين ذى الرءوس السبعة الذى كان يحرسه ، وذلك بأنه حمل الدنيا على كتفيه بدل أطلس الجبار الذى ساعده فى جنى ذلك التفاح ، ويظهر أن ارتفاع جبال الأطلس أدهش اليونانيين فتخيلوا جباراً بهذا الاسم يحمل الدنيا على كتفيه وصار مرادفاً للفظ « دنيا » ، ولا يزال هذا المعنى باقيا إلى الآن على مجموع الخرطات الجغرافية للقارات الخمس .

ولهيرقليس أعمال أخرى كثيرة ، غير أنه فى آخر أيامه نزل من سماء ذلك الجبروت إلى حضيض الذلة والمسكنة ، وانهزم أمام السيدة أمفالى التى كبلته بسلاسل الغرام وجعلته يجلس صاغراً وفى يده المغزل تحت قدميها ، ولما علمت بذلك زوجه ثارت فى قلبها عوامل الغيرة وأرسلت له قميصاً مسموماً لم يكد يلبسه حتى أحس بنار تتأجج فى جسمه ، فآثر الموت العاجل وألقى بنفسه وسط نيران عظيمة أوقدها على جبل إيتى .

الوحوش التى كانت تلقى الرعب فى قلوب أهل البلاد ، ثم اتسع نطاق الخيال فعزوا إليه أنه كان ينتقل من مكان إلى آخر فى المعمورة ، وأنه فى ذلك الطواف فلق بيده الصخور التى كانت بين البحر الأبيض المتوسط والمحيط الأطلنطى ، فنشأ البوغاز المسمى الآن بوغاز جبل طارق ، وكان اسمه قديماً أعمدة هيرقليس ، وأنه زار جبال الأطلس العظيمة وشواطئ نهر تِيفِرِيس (التبر فى إيطاليا) وجزيرة صقلية .

ويعلم أيضاً من هذه الرواية أن اليونانيين تعرفوا تلك الجهات فى سياحاتهم وأنهم طوحوا بأنفسهم إلى المغرب الأقصى .

(أعمال ثيزِفْس)

لثيزِفْس أعمال جليلة أخلاقية تاريخية بعضها فى طوق البشر :

منها : أنه كان ملكاً لأثينا ، وأنه طهر البلاد من كل عات عائث فى الأرض فساداً ، فقطع دابر اللصوص وقطاع الطريق الذين كانوا ينهبون أموال المسافرين فى برزخ كورنثوس بعد تعذيبهم والتمثيل بهم [١] .

منها : أنه قتل مينوتَفْروس [٢] الذى كان فى جزيرة كريد ، وبذلك رفع عن كاهل الأثينيين الجزية البشرية التى كانوا يرسلونها إليه سنوياً ، وهى سبع بنات وسبعة غلمان أحياء غذاء له .

ومنها أنه أراد اختطاف بِرْسِفونى ملكة الجحيم ، فهم كِرفْروس [٣] بتمزيقه ، فخلصه هيرقليس خله المخلص وصديقه الحميم .

---

(١) يقال : إن أحد زعماء هؤلاء اللصوص المدعو برُكُوستيس كان يطرح المسافرين الذين يوقعهم سوء الطالع فى يده على سرير من حديد ويشد وثاقهم ، فإذا وجد أرجلهم طويلة قطعها ، وإذا وجدها قصيرة شدها حتى تنفصل عن أجسامها .

(٢) هو ثور هائل كان لمينوس ملك كريد يتغذى من اللحم البشرى ، ويقال : إنه إنسان له رأس ثور .

(٣) كرفروس وحش كاسر تعتقد العامة أنه حارس أبواب جهنم ، وهو كلب له خمسون رأساً على قول بعضهم ، ومائة على قول بعض آخر إلا أنهم كانوا يصورونه بثلاثة رءوس وذنب تنين ورءوس ثعابين على فقرات الظهر ، وهو دائماً فى مكانه متحفز لافتراس من يقترب منه ، وكان الأموات يكسرون حدة غضبه بتقديم فطير مصنوع من عسل كان يوضع =

إلا أن أيام ثيزفس الأخيرة كانت أيام بؤس وشقاء ، وسبب ذلك أنه غضب على ابنه هيبوليتوس ولعنه ودعا عليه بالشر بدون أن يسمع منه دفاعاً ، فاستجابت الآلهة دعاءه وأخرجوا من البحر وحشاً أفزع خيول هيبوليتوس ، فنفرت وألقته على الصخر فتهشم ، فاستاء الأثينيون من ذلك وطردوا ملكهم ، فذهب إلى جزيرة سكيروس وبقي بها حتى مات ذليلاً كئيباً ذكر الأثينيون فضله وعرفوا جميله فجمعوا عظامه وحفظوها فى الأتيكى .

(أعمال برسفس وفلليريفنتيس)

يعزو اليونانيون لبرسفس وفلليريفنتيس عجائب وحوادث خارقة للعادات لها شبيهات فى تاريخ الأمم الشرقية كقولهم : إن برسفس وضع يوم ولادته فى صندوق مع أمه دانائي بنت ملك أرغوس وتركا فريسة لأمواج البحر (١) ، فألقتهما على سواحل جزيرة سيريفوس فعثر عليها بعض الرعاة وأوصلهما إلى الجزيرة فتزوج بدانائى .

ثم أراد أن يتخلص من برسيفس ، فأمره بقطع رأس الغرغونة ميذوسة (٢) ففاجأها برسفس وهى نائمة واحتز رأسها ، فخرج من دم المقتولة بيغاسوس الجواد ذو الأجنحة ، وصار الرفيق الصادق لبرسفس وساعده القوى فى جميع أعماله ، ولم يتركه إلا بعد وفاته ، ثم صار رفيق فلليريفنتيس الذى كان يقطن

= معهم فى قبورهم ، وكان كرفروس شديداً جداً على الأحياء الذين يلقيهم أقدامهم وجرأتهم على اقتحام أبواب جهنم ، فمزق جسم بيريثوس ، وانقض على ثيزفس فخلصه هيرقليس .

(١) وسبب ذلك : أن ملك أرغوس أعلمه الوحى أن ابنته دانائى سترزق ولدا يقتله فحبسها فى برج حتى لا يصل إليها أحد ، غير أن الإله زفس (المشترى) أعجب بجمالها فدخل البرج بشكل مطر من ذهب فحملت ورزقت برسفس ولم يمسسها بشر ، فحنق عليها أبوها ووضعها مع المولود فى صندوق وألقاهما فى البحر ، فعثر عليهما بعض الرعاة وأوصلهما إلى ملك الجزيرة ، ولما شب برسفس وترعرع حمل أمه إلى أرغوس ، حيث قتل جده خطأ .

(٢) الغرغونات وحوش خيالية شعرها من ثعابين ملتفة ، وهى ثلاث : أكبرها وأعظمها ميذوسة ، وإنها كانت تنظر إلى الإنسان فتتركه جامداً خامداً خوفاً وفزعاً .

آسيا الصغرى وساعده على الظفر بالأمازونات [١] ، وهن فوارس من النسوة على سواحل البحر الأسود ، وعلى الظفر أيضاً بخيميرا ، وهى وحش له رأس سبع وجسم معزى وذنب تنين .

ويعلم من هذه الخرافة أنه كان بين اليونانيين فى أغريقية وآسيا الصغرى علاقات من قديم الزمان .

* * *

(٤ - أقاصيص عن حروب اليونانيين وحملاتهم الشهيرة)

أشهر حروب اليونانيين وأعظمها اثنتان : **الأول** : حملة الأرغونفتة [٢] ، **والثانية** : حرب تُرواس [٣] .

(حملة الأرغونفتة)

إن الاكتشافات الجغرافية الأولى التى قام بها بعض اليونانيين صارت موضوع حديثهم ، والثروة والكنوز فى البلاد المكتشفة أصبحت محل إعجابهم ، ثم بنوا على ذلك من الأقاصيص ما أدخله فى باب الخرافات ، فتخيلوا على سواحل البحر الأسود إقليماً عجيباً اسمه كلشيس فيه الكبش ذو الجزة المخلوقة من ذهب ، وما ذلك إلا رمز إلى ما فى تلك البلاد من الخيرات والكنوز ، وأعدوا حملة عظيمة بها بعض مشاهير أبطالهم : كهيرقليس ، وثيزفس ، والمغنى أُرففْس ، والبحار لَنْجفس ، وغيرهم تحت أمرة ياسون ملك تسّاليا ، وركبوا سفينة اسمها أرغو وساروا فرحين مستبشرين يطربهم أُرففْس بأغانيه ويبعدهم لنْجفْس الحديد النظر عن الصخور التى تحت الماء حتى وصلوا كلشيس بسلام ، غير أن حملتهم كادت تفشل ، لولا أن ياسون ظفر بمحبة ميدية ابنة الملك وكانت ساحرة عليمة قادرة دون غيرها على إرشادهم إلى الفتك بالتنين الهائل الذى كان يحرس ذلك الكبش الثمين ، فإنها أعطت ياسون شراباً سقاه التنين فنام نوماً عميقاً ، وفاز ياسون بطلبته .

---

(١) ينسب بعضهم قتل الأمازونات إلى هرقليس .

(٢) يترجمها بعضهم بلفظ : « أرغونوط » .

(٣) يترجمها بعضهم بلفظ : « طروداة » .

ثم تخيلوا بعد ذلك طواف أرغو بالدنيا المعلومة لديهم فى ذلك الزمن من أقصى البحر الأسود إلى أعمدة هيرقليس .

(حرب ترواس)

إن حرب ترواس واستيلاء اليونانيين عليها متحدين متكاتفين يقرب أنْ يكون من التاريخ الصحيح ، فإن أكبر مؤرخى اليونان ثوكيذيذس يعتقدها ويقول : إن وقوعها كان حوالى سنة ١١٩٠ قبل الميلاد ، ويظهر أن سببها مما يمكن التصديق به ، وهو أن منلاوس ملك أسبرطة كان تزوج هلينى إحدى اليونانيات العريقات فى النسب الكريمات فى الحسب اللاتى أفرغن فى قالب الجمال ، فنزل ضيفاً عليه أمير من تُرواس يدعى باريس اشتهر بالجمال ، وذاع صيته فى الكرم ، فلم يرع للضيافة حقاً ولا للصداقة واجباً ، بل اختطف هلينى ليلاً وفر هارباً ، وخطف النساء فى اليونان كان أمراً شائعاً ، فلما أصبح الصباح وعرف منلاوُس الحادثة حنق عليه وأذاع الخبر فى طول البلاد وعرضها ليستفز حمية أهلها ، فأجمعوا أمرهم على مهاجمة تُرواس وهدمها وتخليص هِلّينى ، وجهزوا الجيوش وأنفذوها تحت قيادة الشجاع الباسل أغاممنون ملك أرغوس ، وأخى ملك إسبرطة ولما وصلوها حاصروها زمناً طويلاً بدون جدوى ، ثم لجأوا إلى الحيلة ، فكانت أنفذ سهماً وأشد نكاية ، فإنهم أدخلوا بها خيرة شجعانهم فى المدينة ، فقتلوا الرجال وأسروا النساء ، وخلصوا هِلّينى ، وجعلوا عالى المدينة سافلها ، وشتتوا أهلها فى جميع الأنحاء .

هذا ما يمكن للتاريخ أن يعول عليه فى هذه القصة ، وما عداه إنما هو من الخرافة وخيال الشعراء ، كقولهم : إنهم اضطروا إلى تضحية حياة ابنة أغاممنون لتعتدل الريح على بحر الأرخبيل ، وأن هكتور اليقظ المقدام ابن برياموس ملك تُرواس وأخى باريس صد هجمات اليونانيين أكثر من مائة مرة بمساعدة فئة من الآلهة والآلاهات ، وأن أشيلفس اليونانى كان الوحيد القادر على الظفر بمثل ذلك الخصم العنيد ، ولكنه لإهانة أغامنون له لم يحرك ساكناً ولم يستفزه ما حاق باليونانيين من المصائب إلا قتل هكتور لصديقه بتركُلوس ، فقام ليثأر له ، وابتدأت الحرب العوان وظفر أشيلفس بخصمه وربط الجثة فى عجلته وطاف بها

ثلاث مرات حول المدينة ، ولكنه مات بعد ذلك بسهم سدده إليه باريس فى عقبه وهو الجزء الوحيد من جسمه الذى يمكن أن يصاب منه .

وكاد اليأس يستولى على اليونانيين وهموا بالأياب لولا بوارق الأمل ، ففكروا قليلاً وعمدوا إلى المكر والخديعة ، فعملوا حصاناً هائلاً من خشب وأدخلوا فيه خيرة شجعانهم وتركوه أمام باب المدينة ، وتظاهروا بالنكوص على أعقابهم والعودة إلى بلادهم ، فلما رأى أهل تُرواس ارتحالهم وغرر بهم بعض الخونة منهم ، وأفهمهم بأن هذا هيكل عمله اليونانيون قرباناً للآلهة ليسهلوا لهم العودة بسلام إلى بلادهم أدخلوه فى المدينة حتى لا يتم ما أُعد له .

فلما انتصف الليل خرج من كمن فيه من الرجال وانقضوا على أهل تُرواس حرباً ونهباً وإحراقاً ، وفى أثناء ذلك عادت سفن اليونانيين مع جموعهم وأجهزوا على من بقى بها ، ولم ينج منها إلا طريد وشريد .

وقد عظمت شهرة هذه الحرب بقصيدتين شهيرتين نظمهما هوميروس أكبر شعراء اليونان هما الأيلياسة والأُذيسيا ، وفيهما وصف كثير من عادات القوم ومشاربهم ومذاهبهم وأخلاقهم وسائر أحوالهم فى عصر الأبطال .

ولا يعلم شيء ثَبْت عن نسب هوميروس وحسبه ، ولدينا مما استبقاه المتقدمون أقوال متباينة لا يمكن الأخذ بشيء منها ، وصفوة ما عول عليه الكتاب النسبة التى كتبها هيرودوتُس ، وإليك مجملها نقلاً من مقدمة حضرة الكاتب المجيد سليمان أفندى البستانى للألياسة :

(مولده ونشوءه)

هو ابن كريثيس ابنة ميلانوفوس ولدته أمه على ضفة نهر ميليس فى ضاحية أزمير ودعته ميليسجينيس ، أى ابن النهر ميليس ، وكان فى أزمير إذ ذاك معلم كتاب يدعى فيميوس ، فاستأجرها لغزل الصوف الذى كان يتقاضاه أجرة من تلامذته ، وكانت كريثيس صناع اليدين ذات رجاحة وسكينة ، فأعجب بها فيميوس وخطبها لنفسه ، وما زال يمنيها بالوعود حتى أجابته إلى طلبه ، وكان جل ما استمالها به قوله لها : إنه توسم فى الغلام من الفطنة والذكاء ما جعله واثقاً أنه سيكون نابغة عصره إذا عهد إليه بتربيته ، فإذا رضيت به بعلاً لها فهو

يتبنى ابنها ويعكف على تهذيبه وتثقيفه ، وبر فيميوس بوعده فعني به ، فإذا به قد فاق جميع أقرانه ، ثم ما انقضت بضعة أعوام إلا وهو يكاد يظهر على أستاذه .

(مدرستهُ)

وتوفى فيميوس ولا وارث له إلا هوميروس ، ثم ما لبث أن توفيت كريثيس فخلت المدرسة لهوميروس ، فأقام مقام أستاذه فأعجب به بنو أزمير وطارت شهرته فقصده الداني والقاصي ، وأصبح مجلسه ديوان الأدب وكعبة الحكمة ، وكانت أزمير لذلك العهد محطاً لرجال التجار تُستورَد إليها الحبوب من تلك البقاع الخصبة ، فتمتاز منها المدن المجاورة ، فأصبح الغريب القادم إليها إذا فرغ من عمله أو سنحت له فرصة يهرع إلى مجلس الأستاذ الفتى ليلتقط درر حكمته ومن كان يختلف إليه ربان سفينة من ذوى العلم والدهاء اسمه منتس يحمل الحبوب إلى أزمير من لوقاديا ، فشغف بحديث ميليسجينيس وجعل يحسن له الأسفار ويزين له مشاهدة الأمصار وهو فى عنفوان الصبا قبل أن يدركه العجز ليزداد حكمة واطلاعاً ووعده أن يحمله على سفينته ، فيتخذه خدناً عزيزاً وإلفاً كريماً ، وما زال به حتى حملهُ على مغادرة المدرسة والتدريس واللحاق به رحالة على متن البحار .

(أسفارهُ)

وكان ميليسجينيس شديد المراقبة ، كثير البحث ، لا يقع بصره على شيء إلا تحراه ولا طرق مسمعه خبر إلا استجلاه ، فطالت الرحلة وهو فى أثنائها يختزن الفوائد ويجمع الأخبار حتى انتهى به التطواف إلى أيبيريا (أسبانيا) ، وأقلعت منها السفينة إلى أزمير فعرجت على أيثاكة (ثياكى) فى الأرخبيل اليونانى ، وهناك رمدت عينا ميليسجينيس فاضطر منتس على كره منه أن يستبقيه فيها لدى صديق له حميم من أهل تلك الجزيرة يدعى منطور ، فأنزله منطور فى داره وكان مضيافاً طيب العنصر رحب الصدر كريم الخلق ، ليس فى بلاده من يضاهيه شهرة بتلك الخلال ، ولم تكن العلة لتمنع الفتى من البحث والتحرى ، فظل وهو على فراش المرض يلتقط شوارد الفوائد من جملتها أخبار أوذيس (أوذيسس) ،

وأسفاره ، (فكانت له أساساً بنى عليه منظومته الأوذيسية وجعل فيها اسم منطور مرادفاً للحكمة والبر ، فخلد بها ذكراه أبد الدهر) .

وبقى ميليسجينيس نزيل منطور إلى أن عاد الربان منتس إلى أيثاكة ، فأنزله إلى سفينته واستأنفا الأسفار إلى أن بلغا كولوفون ، فاشتد عليه الرمد حتى فقد بصره جملة وظل كفيفاً إلى أن مات .

(شروعه فى قرض الشعر)

ولما كف بصره قصد أزمير وأقام فيها زمناً ينظم الشعر ، فضاقت ذات يده وبرحت به الحاجة ، فعول على الشخوص إلى كومة وسار يقطع هرمس (وهو نهر كديز أو سرابات) إلى أن بلغ به السير إلى نيونتيخوس وهى بلدة من مستعمرات الكوميين . قيل : إنه وقف فيها إلى حانوت تاجر جلد ، فأنشد أبياتاً شكا فيها بؤس الغريب الشريد المتضور فاقة وجوعاً ، وكان ذلك أول عهده بالإنشاد على مسمع الناس ، فأصابت تلك الأبيات موضع رفق وعطف من فؤاد ذلك التاجر ، فرحب به وآواه إليه ، فجلس فى الحانوت وأنشد على مسمع جماعة ممن حضر مقاطيع من شعره فى وصف حملة أمفياراوس على ثيبة وبضع ترانيم دينية ، فأجله القوم وأكرموا مثواه ، فأقام بينهم وصناعته الإنشاد .

قال هيرودوتس : « ولا يزال أهل تلك البلدة حتى يومنا يفتخرون بالإشارة إلى المجلس الذى كان ينتابه ، فينشد فيه ، ولذلك الموضع عندهم حرمة ومنزلة سامية، وفيه شجرة صفصاف يزعمون أنها زرعت يوم قدم ميليسجينيس ، فأقام بين ظهرانيهم » .

(تتمة أسفاره)

أقام الشاعر بضعة أعوام فى نيونتيخوس ، ثم قل رزقه فيها فبرحها إلى كومة وقصد الموضع الذى كان يجتمع فيه مجلس الشيوخ ، وأنشد ما تيسر فأرقص الحضور طرباً ، فطابت نفسه وعظمت أمانيه ، فسألهم أن يقوموا بنفقته على أن يقول فيهم من الشعر ما يطير شهرة مدينتهم فى الآفاق ويخلد لها جميل الذكر ، فلم يكن فيمن حضر إلا من استصوب السؤال وأوعزوا إليه أن يقول قوله هذا فى المجلس وهو ملتئم وهم من ورائه يعضدون ، فعمل بإشارتهم ، ولما اجتمع

الشيوخ أدخل إلى قاعة الاجتماع فانتصب خطيباً وأعاد الكلام الذى ألقاه على عامة الناس وخرج ينتظر الجواب ، فخلوا إلى شوراهم ، وكان معظمهم ممن يرغب فى موافقته ، فإذا بواحد منهم قد قام فاعترض وقال : لئن جنحنا إلى القيام بنفقات عميان الشعراء لنلقين على عواتقنا زمراً منهم لا قبل لنا بهم ، فأدى بهم ذلك إلى الانقلاب عن عزمهم .

ومن ثم لقب ميليسجينيس بهوميروس ، ومعناها : أعمى بلغة الكوميين ، وتنوسى اسمه ، فنقم هوميروس على كومة وأهلها ونظم قصيدة رثى بها حاله واستنزل اللعنة على من يتغنى بمدحها ومدحهم من الشعراء ، وغادرها إلى فوقيا على مقربة من أزمير ، وجعل يطرق منتدياتها فينشد فيها الأشعار .

وكان فى تلك البلدة معلم كتاب ذميم الخلق يسمى ثستورريذس ، فلما رأى ما كان من رواج بضاعة الشعر دعاه إلى منزله يقيم فيه ضيفاً كريماً على أن يلقنه كل ما نظم وما سينظم من الشعر ، فما وسع هوميروس إلا القبول فراراً من الفقر ، فأكب ثستوريذس على النسخ حتى استتم كل منظومات هوميروس ، فأقفل أبواب مدرسته وسار إلى جزيرة ساقس وأقام فيها ينشد شعر نزيله ويدعيه ، فبلغ هوميروس أمره فعزم على تعقبه ولم يبال بما اعترضه من المشاق ، فوصل الجزيرة بعد معاناة الأهوال ، ونزل فى بلدة من ثغورها تدعى بوليسوس فاتخذه بعض وجهائها معلماً لأولاده ، فأقام عنده وعكف على نظم الشعر ، ثم أذاع منظومات خلابة « كحرب الزرازير » ، و« حرب الضفادع والفيران » ، و« الكركوفة » فتناشدها الناس وتناقلها الركبان ، وكان ثستورريذس كلما علم بحلول هوميروس فى مكان فر منه إلى مكان آخر .

ولما رسخت شهرة هوميروس فى ثغور الجزيرة سأل صاحب منزله أن يذهب به إلى عاصمتها فشخص إليها وفتح مدرسة يعلم فيها النظم وطرائقه ، فعظم أمره وعلت منزلته وأكبر الناس قدره ، فطاب عيشه واتسعت حاله بينهم ، فزوجوه بنتاً فولدت له ابنتين ، وجادت قريحته فنظم وأبدع ، وكان وفياً ذكاراً للجميل ، فأودع شعره كل خلة محمودة خلد بها ذكر المحسنين إليه ، ولا سيما (منطور) الذى عنى به أثناء رمده فى (أيثاكة) . قال هيرودوتس : « جعل هوميروس منطور فى منظومته الأوذيسية رفيقاً (لأوذيس) وأبرزه بمظهر من الصدق والوفاء

عظيم حتى أن ملك أيثاكة استخلفه على بيته وعياله عندما شخص فيمن شخص إلى طروادة » .

فلهج الناس فى كل قطر بذكر هوميروس حتى ملأت شهرته بلاد يونيا وبلغت هيلاذة ، فأوعز إليه أن يقصد أغريقيا فطرب لذلك الإيعاز ، فأقلع إلى ساموس وقضى فيها فصل الشتاء يتكسب بالإنشاد فى منازل الأغنياء .

(مرضه ووفاته)

ولما انقضى الشتاء عول على السفر إلى أثينا ، فركب سفينة مع جماعة من أهل ساموس ، فبلغوا جزيرة يوس وأرسوا فى مضيق على مقربة من الثغر ، ففاجأ هوميروس الداء ، فنزل إلى البر وانطرح على الجرف ، ولم تقو السفينة على مواصلة السير لشدة الأنواء ، فأقاموا أياماً فى مكانهم وأهل الجزيرة يتهافتون أفواجاً لمحادثة هوميروس ، وقد بلغ بهم الإعجاب منتهاه لما كان ينثر عليهم من غرر الأقوال ودرر الأمثال ، ولكنه ما لبث أن توفى لاشتداد الداء ، فاجتمع رفاقه وأهل الجزيرة ودفنوه قرب الشاطئ .

ولما مرت السنون وذوت نضارة الشعر وانحطت منزلته اجتمع أهل الجزيرة إلى قبر هوميروس ، فنقشوا عليه بيتين من الشعر معناهما : إن من هذا النبات الأخضر غطاء للرأس المقدس رأس الشاعر هوميروس شبيه الآلهة الذى كان يتغنى بمدح الملوك والأبطال .

* * *

(٥ – الأقاصيص المحلية)

كان اليونانيون يميلون لوضع أنساب لرجال عظام قضى عليهم حظهم أن يكونوا شريرين مجرمين ليكون لهم من ذلك مندوحة فى اعتقادهم فى القضاء ، وهو قوة قاهرة تفوق قوة الآلهة إذا نزلت على رجل أشقته وأولاده من بعده .

ويتجلى هذا الاعتقاد فيما سطره الثيبيون عن ملكهم لايوس الذى قضى عليه سوء الطالع ، كما أخبره هاتف الآلهة أن يرزق ولداً شريراً يقتل أباه ويتزوج أمه ، وبعد ذلك بزمن يسير رزق بأيذيبوس ففزع منه وعزم على إعدامه ، وسلمه إلى خادم أمين وأمره بقتله سراً ، فرأى الخادم أن يكل أمره إلى الزمن فعلقه من قدميه

فى شجرة على الجبل وانصرف هادئاً مطمئناً ، فصادف أن مر بتلك الجهة راع سمع صراخه فخلصه وسماه أيذيبوس - أى ذا الأرجل المتفخة - وذكر الراعى أن بوليفوس ملك كورنثوس لم يرزق ولداً ، وقدم إليه أيذيبوس ففرح به فرحاً جماً واتخذه ولداً وأكرم مثواه .

فلما شب وترعرع جاءه الهاتف وأخبره بما يخبئه له القدر من أنه سيقتل أباه ويتزوج أمه ، ولما كان أيذيبوس معتقداً اعتقاداً لا يشوبه أدنى ريب أنه ولد بوليفوس الشرعى أراد أن يفر من القضاء، وخرج من كورنثوس قاصداً مدينة ثيبة ، وبينما هو سائر فى الطريق قابل مسافراً راكباً عجلة ومحثا السير ، فصاح السائق بشدة على أيذيبوس أن أخل الطريق فشتمه أيذيبوس فغضب المسافر وضرب ذلك الشاتم ، فلم يتحمل أيذيبوس هذه الإهانة وحمل عليه وقتله ، وبذلك حم القدر ونزل القضاء ، فإن المسافر كان لايوس نفسه وقد قتل بيد ابنه ، واختفى السائق خشية أن يتهم بقتل سيده ، ونسبت هذه الحادثة إلى قطاع الطريق واللصوص .

ووصل أيذيبوس إلى ثيبة ، فوجد الحزن مخيماً عليها والفزع سائداً على قلوب أهلها ، لأن وحشاً هائلاً اسمه أسفنكس على شكل سبع له أجنحة ورأس أنثى يطوف شوارع المدينة ويستوقف كل من يصادفه ويطالبه بحل لغز يوجهه إليه ، فإذا عجز عن حله انقض عليه وافترسه ، فوعدت الملكة يوكَستى أرملة لايوس أن تهب نفسها وتسلم عرش ثيبة لمن يقتل هذا الوحش ، فقصده أيذيبوس وسمع منه اللغز الآتى : « ما هو الحيوان الذى يمشى صباحاً على أربع وفى الظهر على اثنتين وفى المساء على ثلاث ؟ » فأجابه أيذيبوس : إنما هو الإنسان لأنه طفلاً يحبو على رجليه ويديه ورجلاً يمشى على رجليه وشيخاً يتكئ على عصا ، فاعترف الوحش بعجزه وهشم رأس نفسه على الصخر ، وتبوأ أيذيبوس عرش ثيبة وتزوج يوكَستى، فكان ذلك مصداقاً للهاتف ونفاذاً للمقدور لأنه تزوج بأمه .

فحاقت المصائب لهذه الذنوب بالمدينة ونزلت الكوارث على أهلها ، ورأى الملك أنه لا بد من إعدام قاتل لايوس لإيقاف تيار هذه النوازل ، فلم يهتد إليه إلا بعد موت بوليفوس ، فإن الراعى حضر بنفسه ، وتمثل أمام أيذيبوس وكشف له القناع عن حقيقة أمره ، فوقع أيذيبوس فى هاوية من اليأس وفقأ عينى نفسه ، وخرج قاصداً أثينا ملجأ البائسين ومأوى التعسين ، ثم تضرع إلى الآلهة أن

يخلصوه من متاعب الحياة الدنيا فاستجابوا دعاءه وأرسلوا عليه من الصواعق ما أجهز عليه إجهازاً .

غير أن النحس لحق ذريته ، فإن ابنيه أتيوكليس وبولينيكيس اتفقا على مناوبة السرير كل واحد يتبوؤه سنة ، فملك أتيوكليس البكر أولاً ، ثم لم يتخل عن الأمر بانقضاء الحول ، ففزع بولينيكيس إلى ملك أرغوس يستجير به عليه ، فأطلق ملك أرغوس في جميع البلاد نداء المناصرة وهم بمكانهم من الغضب على أتيوكليس لحنثه باليمين ، فوجهوا لقتاله جنداً عليه سبعة من الرؤساء الشجعان وحاصروه في ثيبة وقاتلوه قتالاً عنيفاً فاتهم منه الغرض المقصود بما كان من قتل كل من الأخوين الآخر في ميدان الوغى .

وقد هلك في هذه المعمعة جميع الرؤساء ، ثم قام أولادهم من بعدهم يطلبون بثأر آبائهم واسمهم أيبيغوني بمعنى خلفاء أو أعقاب ، فأخذوا ثيبة ، وخلصوا العرش من يد مغتصبه وأقاموا عليه ابن بولينيكيس ملكاً .

فكأن اليونانيين يقولون لأبنائهم بلسان هذه الأقاصيص وأمثالها : « تشبهوا بهؤلاء الأبطال آبائكم السالفين واعملوا لخير بلادكم » ، ويظهر أن الحضارة في كل الأمم لم تقم إلا على الغريب من القصص ، لأنه يؤثر في النفوس ويجتذبها ويبعثها إلى أن تكون كباراً ليدرك أصحابها شأو الأولين من حسن الذكرى وجميل الأحدوثة .

* * *

الباب الثالث

أغريقية الأولى

(الحالة الاجتماعية ، الحكومة ، الأخلاق والعادات)

● **ملخص تمهيدى :**

١ - **الحالة الاجتماعية** : أساسها الأسرة ، فإن شرائع أغريقية القديمة ونظاماتها العتيقة كانت ترمى إلى حفظ وحدة الأسرات وبقاء ذكرها .

٢ - **الحكومة** : نوع من الملوكية الاستبدادية للملك فيه الرياستان الدينية والدنيوية ، وإن كانت له مجالس شورى مؤلفة من شيوخ الأمة ورؤساء أسراتها، ثم انتهى الأمر بهذه المجالس إلى الاستئثار بالسلطة دون الملك ، فتحولت إلى حكومة أوليجرشيه (حكومة فى قبضة أفراد قليلين) .

٣ - **الديانة** : كانت ديانة الأغريق القدماء غاية فى السهولة يعبدون ما يتجلى لهم من مظاهر الطبيعة ، ثم تحورت كثيراً لما صوروا معبوداتهم ونسبوا لهم صفات البشر وأخلاقهم، وكان لكل مدينة بل لكل قبيلة وكل أسرة عبادة خاصة .

٤ ، ٥ - **الوحى والألعاب** : كان قدماء الأغريق يعتقدون بنزول الوحى على كهنتهم ويؤمون المعابد لتعرف أخبار المستقبل ، فكان اجتماعهم عاملاً قوياً فى تكوين العصبية القومية ، وساعد على تكوين تلك العصبية أيضاً اجتماعهم فى حفلات الألعاب الرياضية التى كان يقصدها القوم على اختلاف طبقاتهم من كل صوب .

٦ - **الأخلاق والعادات** : كانت عادات قدماء الأغريق سهلة كعادات الزراع والرعاة ، ولبثت كذلك إلى القرن السابع ، وفى حدوده انتشرت المعاملة بالنقود وتقدم فن الملاحة ، فدخلوا فى دور جديد من الحضارة .

*

إن المؤرخين الأولين من اليونان لم يعرفوا إلا من القرن الخامس قبل الميلاد ، وهم وإن كانوا كتبوا شيئاً عن العصور السابقة لذلك القرن ، فهم لم يستقوا أخبارهم إلا من القصائد الهومبرية : الأيلياسة والأذيسيا ، وهما أحسن ما قال شعراء أغريقية الأولى الذين كانوا يتغنون بشجاعة أبطالهم ويرددون ذكر رحلات عظمائهم ويطرون فضائل ملوكهم وعقلاء أمتهم فى أشعار كانوا ينشدونها على نغمات الأوتار حتى ألفها القوم وتغنوا بها وصارت لديهم محل الأناشيد الوطنية فى الأمم الحاضرة .

فالأيلياسة تمثل لنا صورة ناطقة من أغريقية القديمة والأذيسيا تصف الرحلات الجغرافية والعادات القومية ، بحيث ندرك منها كيف كان انتقال أغريقية من دورها القديم إلى دورها الجديد فى أوائل العصر التاريخى ، وهاتان القصيدتان وغيرهما مع ما عثر عليه حديثاً من الآثار القديمة كشفت لنا عن كثير من خفايا تلك العصور وأماطت اللثام عن تاريخ تلك الدهور .

(١ - الحالة الاجتماعية)

النظام الاجتماعى فى أغريقية القديمة كان مبنياً على نظام الأسرات ، ولم تكن الأسرة فى نظر الأغريق مجموع الأب والأم والأولاد فقط ، بل كانت تشمل فى عرفهم أولاد الأخ وأحفاده والأعمام والأخوال وأولادهم ، بحيث كان الجميع تحت كنف رئيس واحد هو الوارث لاسم الجد الأول المنتسبة إليه الأسرة كلها ، وقد وسعت الأسرة بعد هؤلاء العبيد المعتوقين الذين لا ينتسبون إلى أسرة خاصة ويعبدون ما تعبد مواليهم ، وكانت سلطة الرئيس مطلقة على جميع أعضاء أسرته مهما كبرت سن الواحد منهم أو علا مقامه ، ومع هذا الإطلاق فى السلطة كان ذلك الرئيس محترماً مبجلاً مطاعاً لاعتقادهم أنه الحريص على مصالح الأسرة المحافظ على كيانها الممثل لتاريخها الأمين على تقاليدها التى كانوا يحيون ذكراها بإيقاد النار المقدسة والتفافهم حولها بأمر رب الأسرة وتقديمهم القرابين لمعبوداتهم .

وكانت جميع النظامات القديمة لأغريقية ترمى إلى حفظ كيان الأسرة ، فمنعوا بيع العقار منعاً باتاً وحرموا الهبة والوصية ، وكان أعظم الأرزاء التى تلم بالرجل أن يموت غير معقب ولداً ذكراً ، وقد تداركت شريعتهم هذا المصاب بأن أباحت التبنى ، وإذا لم يكن لرئيس الأسرة المتوفى غير بنت حتم عليها أن تتزوج بمن هو

أقرب لها من طريق العصب كعمها ، فإن لم يوجد فبابن عمها ، وهكذا حتى لا ينتقل العقار إلى أسرة أخرى .

وكانت أفراد الأسرات لا يترفعون عن العمل عملاً بوصية شاعرهم أيسيوذُس: « اعمل تصر غنياً وتغبطك الكسالى » ، غير أن أشغال الزراعة كانت موكولة إلى الأسرى والعبيد نظير سهم مخصوص يتسلمه منهم كل سنة صاحب العقار ، وكان يوجد كذلك طائفة من المزارعين يستأجرون لخدمة الأرض ، ويستنتج من ذلك أن الرق كان شائعاً عند اليونانيين ، فإن الأسرى كانوا يؤخذون في الحروب مع البلاد المجاورة ويسلبون الحرية ويرغمون على ملازمة الحرث والزرع ، والعبيد كانوا يشترون من أسواق آسيا وأوروبا ويستخدمون ويباعون بيع السلع ، وقد كثروا في أثينا حتى صار الرجل الواحد يملك ثلاثة عبيد .

* * *

(٢ - الحكومة)

إن الأيلياسة كانت تقرن أسماء الملوك بلفظ قائد أو راع أو قاض ، وكانت مدن أغريقية حكومات مستقلاً بعضها عن بعض وسلطة الملك فيها كسلطة رئيس الأسرة ولا وجه للغرابة في ذلك ، فإن سكان كل مدينة كانوا في مجموعهم كأسرة عظيمة ، فكان الملك رئيساً دينياً وقاضياً وقائد حرب معاً ، فتراه تارة أمام مذبح القرابين ، وطوراً على منصة القضاء ، وآخر في يده الرمح أو السيف ، غير أنه في جميع ذلك لم يكن عليه جلال الملك ولا أبهة السلطان ، وكان يستشير رؤساء الأسرات ويجمع منهم حوله مجلساً من الشيوخ ينظر معه في أمور الأمة ، ثم استبد أعضاء ذلك المجلس شيئاً فشيئاً بالسلطة حتى أقاموا أنفسهم من الملك مقام القوام وصاروا يغيرون عليه في بيته وينازعونه مركزه ، وإذا كان متغيباً نهبوا متاعه وتسابقوا لتزوج امرأته لينزعوه من الملك ويحلوا محله ، هذا ما ترويه لنا الأذيسيا من الأخلاق والعادات ، وهو بخالف ما ذكر في الأيلياسة ، إلا أن تاريخ كورنثوس وأرغوس وأثينا وأيليس يؤيده تماماً ، ومن القرن التاسع إلى القرن السابع قامت نهضة سياسية حولت الحكومة من ملوكية إلى حكومة أوليجرشيَّة (حكومة الأفراد) ، وبقي أيضاً على رأسها الملوك زمناً طويلاً ، ولكن بدون نفوذ ولا سلطان .

(٣ - الديانة)

كان الأغريق لا يمجدون غير ظواهر الطبيعة التى تؤثر فى مخيلاتهم أو تقع تحت أبصارهم : كالهواء ، والجو ، والسماء ، والشمس ، والرياح ، والمحيط، والأمواج ، وكانت هياكل عبادتهم ساحات فسيحة فى الهواء الطلق على قنن الجبال أو وسط الغابات ، وما كانوا يصورون آلهتهم ولا يعرفون الوحى ، إنما كان البيلاچيون يؤولون تغريد الطيور وحفيف الأشجار معتبرين ذلك من كلام الله وهذا هو السبب فى شهرة غابات ذوذونى ، ثم تحور هذا الشكل من الديانة ، فأقاموا للآلهة التماثيل واعتقدوا فيهم ما للإنسان من الأخلاق والعادات والصفات والعيوب ، وجعلوا محل اجتماعهم قمة جبل أولمبوس ، ورأسوا عليهم زِفْس (المشترى) ، أعظم معبوداتهم وإله آلهتهم [1] ، وفى زمن الأيلياسة كان ذلك

---

(١) كانت آلهة اليونانيين المشهورة اثنى عشر إلهاً تمثل العناصر والقوى الطبيعية أو الصفات الأدبية .

١ - فكان زفس دلالة على الهواء والسماء يجمع السحب ويرسل الصواعق .

٢ - وأبولون إله النور والشمس يعطف على الإنسانية ويحسن إليها ويضع الفنون الجميلة .

٣ - ويوزيدون (نبتون) إله البحر ، وكانوا يمثلونه قابضاً على عصا فى آخرها ثلاث أسنان .

٤ - وآريس (مارس أو المريخ) إله الحرب ، يهب الشجاعة لبنى الإنسان .

٥ - وهرميس (مركور أو عطارد) إله المنازعات والدعاوى والتجارة والرسول بين الآلهة ويمثلونه بأجنحة فى عقبيه .

٦ - وهيفِسْتوس (ڤلكان) إله النار وقاهر المادة ، وهو الحداد الماهر والصانع الفرد .

وبجانب هؤلاء الآلهة الإلهات الآتية :

٧ - هيرا (يونون) حامية الزواج .

٨ - وهستيا (وستا) آلهة المنزل .

٩ - وأثينا (ميزوه) آلهة العلم والحكمة والفنون .

١٠ - وأفروديتى (ونوس أو الزهرة) آلهة الجمال والأفراح .

١١ - وأرتميس (ديانة) الصيادة آلهة الغابات .

١٢ - وديمترا (سيريس) الشقراء آلهة الحصيد .

ثم يلى هؤلاء الآلهة وتلك الإلهات معبودات ثانوية كثيرة لا ينفسح لذكرها هذا المختصر .

ولليونانيين بعد ذلك اعتقاد فى الحور ساكنات الأشجار ومنابع الماء ، وفى الزبانية عمال بلوتون ملك الجحيم .

التحوير تاماً ومعمولاً به ، بدليل ما هو معزو للآلهة من الأعمال والحروب فى تلك القصيدة المشهورة ، وهى كما علمنا مصدر جزء عظيم من تاريخ اليونان القديم .

ثم تسرب إلى اليونانيين كثير من معتقدات الأمم الأخرى كالفينيقيين والفريغيين والليديين ، فعبدوا كثيراً من آلهتهم .

وكانوا يعتقدون أن الآلهة والإلهات لا يترفعون عن الاقتران ببنى الإنسان ، فتخيلوا عدة من الأبطال وُجدوا من هذا الزواج ، واعتبروهم أنصاف آلهة ونسبوا إليهم أعمالاً جليلة تجعلهم جديرين بالانتساب لهؤلاء الأرباب ، فكان أبو أشيلِفس ثيتيس وبيلِفس وأبوا هرقليس المشترى والكمينى ، وبذلك كان يتيسر للأسرات العظيمة اليونانية أن تنتسب إلى إله من الآلهة .

وكان اليونانيون يوقدون فى دورهم ناراً يقدسونها ويقيمون حولها الصلوات ويقدمون القرابين لاعتقادهم أنها علامة على خلود الأسرة .

أوقد هذه النار أجدادهم السالفون وتعهدوها ووكلوا أمر حفظها لأولادهم من بعدهم دون غيرهم ، بحيث لو انقطع النسل فى أسرة ما ، فلاحق لأحد أن يوقدها فتنطفئ مع فناء أربابها .

فتلك الصلوات والقرابين إنما هى للروح التى حرصت على بقاء الأسرة وعملت لخلودها ، وهذا النوع من الديانة غير الديانة المجوسية ، لأن المجوس يقدسون النار لذاتها واليونانيون كانوا يعبدون موتاهم بواسطتها .

وكانوا يعتقدون كأسلافهم فى خلود الروح ، ويقولون بأن الإنسان يحيا فى الآخرة حياته فى الأولى ، فيجوع ويعطش ، ويأكل ويشرب ، ويحارب ويلعب ، ولذلك كانوا يقدمون إليه الأشربة والضحايا ويضعون فى قبره بعضاً من أنواع السلاح ، ويعتقدون بأن سعادته متوقفة على الاعتناء بجثته ، وأن الويل كل الويل لمن لم يكن له جدث ، فإن روحه تبقى هائمة لا تستقر فى مكان واحد ، ولا تذوق للراحة لذة ، فكانوا يتخيرون أحسن الأمكنة لدفن موتاهم ويعملون على تخليد قبورهم ، حتى إن الملوك كانوا يحتفرون سراديب ويحصنونها ويعدون فى آخرها مكاناً لجثتهم ، كما كان يفعل ملوك قدماء المصريين .

وما زالت الديانة الأغريقية في تحوير حتى اعتقد كثير من الناس أن في الآخرة جنات أعدت مقاماً للصالحين ، وأن الشريرين السفاكين سيصلون نار الجحيم .

* * *

(٤ – العبادة والوحي)

وهذه الديانة مع انحطاطها وقلة صلاحيتها لتهذيب النفوس كانت مناسكها وطرق التعبد فيها مما يرقي العقول في الشعر وسائر الفنون ، فكم من حفلات كانت تطوف الشوارع ساعات متوالية والناس يغنون أمامها القصائد والأشعار ، وكم من تماثيل فخمة أقيمت لآلهتهم ، وكم من نقوش عملت في الهياكل والناس يتنافسون في ذلك حتى نبغ منهم الصناع والشعراء .

ولم تكن الكهنة أرقى علماً وأرفع تهذيباً من سائر الناس ، إنما كانوا من أسرات كهنوتية تتوارث فيها هذه الوظائف الأبناء عن الآباء ، فهم لذلك أولى الناس حسب تقاليدهم باحترام تلك المعتقدات وبذل الجهد في المحافظة عليها .

وأعظم نقص في الديانة اليونانية كونها غير أهلية ، فكل مدينة وكل قرية ، بل كل قبيلة كان لها طرق خاصة للعبادة والآلهة التي تحترم وتبجل في مدينة غير التي تحترم وتبجل في مدينة أخرى ولو اتفقت المعبودات في الأسماء ، فأبولون ذلوس غير أبولون ذلفي ، ولذلك كانت أسماء الآلهة تقرن بأسماء الهياكل التي تعبد فيها تمييزاً لها .

وإذا تخاصمت مدينتان تتخاصم الآلهة الحافظة لهما ، فكانت الديانة اليونانية داعية للانقسام والانحلال بدلاً من أن تكون باعثة على الاتحاد والوئام .

وقد خفف وطأة هذا النقص نوعاً وجود بعض هياكل في أغريقية يقصدها جميع الأغريق على اختلاف نحلهم من كل حدب وصوب للتعبد فيها وسماع الوحي المنزل من الآلهة على بعض المتولين خدمتهم .

وقد سبق القول بأن البيلاچيين كانوا يعتقدون أن الآلهة يخاطبون الناس بلسان الرياح والظواهر الطبيعية ، ولذلك كانوا يرون وجوب تأويلها ، ولا بد أن يكون اليونانيون اعتبروا من تلك الظواهر حادثة تصاعد الغازات في وادي ذلفي التي اختنق بها كثير من الناس والحيوان ، فجزموا بوجود آلهة في ذلك المكان حل

غضبهم على ساكنيه وابتنوا لهم هيكلاً عظيماً عهدوا بخدمته إلى فئة من خيرة الكهنة ، ووكلوا أمر النطق بالوحى إلى عذراء من سدنة الهيكل يسمونها بيثيا لم تكن فى الحقيقة إلا إلهة فى يد الكهنة يملون عليها ما يجب أن تقول ويأمرونها بما ينبغى أن تفعل .

ومما كان يؤثر فى نفوس الزائرين تأثيراً دينياً شديداً أن هذه العذراء كانت قبل النطق بالوحى تنتفض وتخرج زبداً من فيها وتختلج اختلاجاً عصبياً حتى يبلغ منها الجهد ، ثم تنطق به متقطعاً لتظهر الصعوبة التى يلاقيها البشر عند تلقى الوحى .

ويجب على الزائرين ، سواء كانوا من عامة الناس أو من قبل الأمراء والملوك أن يقدموا مكتوباً يوضحون فيه سؤالهم للآلهة أبولون قبل الاجتماع بيوم واحد على الأقل ، وإذا هبط الوحى على بيثيا المذكورة نطقت به أمام الحضور ، ثم تُكتب صورته فى سجلات أعدت لذلك فى الهيكل .

وكانت الأجوبة على الأسئلة المتعلقة بالمستقبل غامضة أو محتملة يمكن صرفها على وجوه كثيرة ، وقد تكتفى الكهنة بإبداء آراء قلما تكون غير رشيدة للزائرين حسب ما تمليه عليهم فطنتهم وتوحيه إليهم تجاربهم الطويلة ووقوفهم على مجريات الأحوال العمومية والخصوصية لكثرة الوفود التى تقصدهم من جميع الأنحاء للزيارة والتبرك ، فكان حسن خبرتهم وأصالة آرائهم سبباً فى كثرة النذور والهبات المنقولة وغير المنقولة للهيكل .

فلما قوى سلطانه ونمت ثروته دعت الحال إلى تشكيل مجلس انتخبت أعضاؤه من قبائل اليونان المختلفة للنظر فى شؤونه ومراقبة أعماله ، وكان هذا المجلس يسمى أمفكتيونيا (١) .

---

(١) كان يطلق لفظ « أمفكتيونيا » على مجالس الحكومات الدينية والسياسية التى ينسب وضع نظامها إلى امفكتيون بن ذفكاليون ، وكانت هذه المجالس كثيرة فى أغريقية أشهرها وأهمها ما كان يجتمع بمدينة ذلفى فى فصل الربيع وبالثرموبيل فى فصل الخريف ، وكان أعضاؤه ينتخبون من اثنتى عشرة قبيلة يجتمعون للنظر فى الشؤون الدينية على الأخص ، وقد أثارت قرارتها جملة مرات الحروب المقدسة .

وكان من اختصاصها أيضاً النظر فى الخصومات التى تقع بين الحكومات المشتركة فى =

وقد عظم شأن هيكل ذلفي وتهافت الناس على استشارة الوحي فيه ، وقوى سلطان مجلسه حتى انطمست بجانبه الهياكل الأخرى ومجالسها ، وصار هيكلاً أهلياً قام بأجل الخدمات للأغريق .

* * *

(٥ - الألعاب)

إن مدينة أولمبيا وبرزخ كورنثوس كانا أهم مراكز اجتماع الأغريق فى مواسم ألعابهم ، فإنه من العادات القديمة إحياء ذكر بعض الحوادث العظيمة والأعياد الدينية بالتمارين الرياضية والرقص والعدو والعراك ، وهذا أمر شائع فى مصر وفينيقية ومملكة بنى إسرائيل ، فلا غرابة إذا سار اليونانيون على مثل ذلك فى مواسمهم .

وأقدم الاحتفالات اليونانية للألعاب هى التى أقيمت تمجيداً لزفس بمدينة أولمبيا غير أن الفوز الأول الذى سجل للاعبين لم يكن إلا فى سنة (٧٧٦ ق . م) ، وقد اتخذ مبدأً لتاريخ جملة من الحوادث اليونانية الشهيرة ، وبعد هذا التاريخ صار هيكل زفس فى أولمبيا كعبة يحج إليها اليونانيون كل أربع سنوات .

وكان من أجل مظاهر تلك المواسم العدو الذى كان فى مبدأ أمره على الأقدام مسافة استاد واحد (١٩٢ متراً) ، ثم صار المثلين وثلاثة الأمثال إلى الستة ، ثم زادوا على ذلك (المعاركة) التى يدخل فيها الأخصام عارى الأجسام والملاكمة

= تلك المجالس والإشراف على تنفيذ ما تعاهدت عليه تلك الحكومات أثناء الحروب كعقد الهدنات وعدم قطع الماء عن المحصورين ، وغير ذلك .

ومن حقوق المجلس الأمفكتيونى أن يدعو لتنفيذ قراراته جميع الشعوب المتحالفة ، وبمقتضى هذا النظام كان يمكن ذلك المجلس أن يغرس بذور الوحدة السياسية للبلاد الأغريقية .

ولكن روح الاجتماع عندهم كانت ضعيفة جداً لتغالى الأفراد فى حب الحرية الشخصية ، ولما كان الإنسان لا يمكن أن يكون حراً محضاً إلا إذا كان فى عزلة تامة ، لأن حرية الشخص فى الجماعات لا يتسع نطاقها إلا بقدر ما يسمح نطاق حرية الآخرين صعب على المجلس الأمفكتيونى أن يكون جمعية أهلية تنظر فى المصالح العامة ، وبقى مجلس مصالحات لم يتعد نفوذه حق النظر فى بعض المسائل القضائية والحكم على من ينتهكون حرمات المعابد والمحلات المقدسة بالحرمان من الانتساب إليها .

بقفاز جلد أو حديد وسباق الخيل والعجلات التى تجرها أربعة من الجياد ، وهذا النوع الأخير كان أعظم الألعاب شهرة .

وزاد الازدحام فى تلك المواسم زيادة عظمى حتى جعلت أوقاتها أيام هدنة ليتيسر لجميع الأغريق أن يشتركوا فيها ، وكانت رياسة الشرف فى الاحتفالات لكبرى كاهنات هيكل ديميتير والرياسة الفعلية لقضاة أيليس الذين يحكمون بالسبق للمتراهنين ويوزعون تيجان الزيتون مكافأة للفائزين .

فإذا ما فرغوا من الموسم وفازوا على أقرانهم عادوا إلى مسقط رأسهم ، فيجدون المدينة تموج بأهلها احتفالاً بمقدمهم وفرحاً بفوزهم ، فقوم يقدمون لهم التماثيل وطائفة تهب لهم النقود عن سعة وطيب خاطر شكراً لهم وتشجيعاً لغيرهم .

وللوقوف على مقدار عناية القوم بالفائزين نقول : إن الأمة كانت تعتبرهم أبطالاً حقيقيين يحترمون ويبجلون بما لا يحلم به القائد المنصور على العدو المغير على الوطن .

وكانت تقام احتفالات أخرى فى مدينة كورنثوس وذلفى وغيرهما تمجيداً لبعض الآلهة وأشهر الأبطال .

* * *

(٦ – الأخلاق والعادات)

إن أخلاق قدماء الأغريق وعاداتهم وأحوال معيشتهم كانت غاية فى السذاجة ، فإن جلهم كانوا من الزراع أو الرعاة يعيشون فى الخلوات ويرتادون الكلأ ، أما المدن فكانت قليلة العمران تحيط بها أسوار عالية ومقامة على رءوس الصخور لخوفهم من إغارة القرصان واللصوص ودورهم قليلة الارتفاع ليس على أبوابها فى النهار إلا ساتر خفيف لمنع الذباب والحشرات العديدة خصوصاً زمن الصيف، وأرض الحجرات من طين حتى فى مساكن الملوك والأمراء .

وكان بعضهم يترك شجرة أو جملة أشجار وسط المساكن ليرتكز عليها السقف أو لتعلق بها الأسرة ، ودور الحريم كانت منعزلة عن دور الرجال ، كما كانت الحال عند أمم الشرق ، وأفنية المنازل كانت معدة للولائم ومفتحة الأبواب لكل قادم ، لأن الضيافة عندهم كانت من أقدس الواجبات حتى إن الملوك أنفسهم كانوا يضيفون الشحاذين ويكرمونهم .

وكانوا في جميع أعمالهم مجدين نشيطين ، سواء كانوا في الحقل أو ميدان الحرب ، غير نهمين في الطعام ولا شرهين في الشراب ، ولا يكادون يتناولون ما يقوم بأودهم حتى يتهافتوا على الألعاب الرياضية البدنية والرقص وسماع الجداة الذين يمجدون أعمال أبطالهم ويصفون رحلات رجالهم ، ولذلك كانت الولائم عندهم اجتماعات أنس وحبور ، وكان اليوناني يحس بحاجته إلى الأصدقاء ، فكل محارب له خدن في السلاح يخلص له ويحافظ على مودته حتى لا تنفصم عروتها ، فإن منلاوس كان يبكي في خلوته الذين قتلوا من أحبابه في حرب ترواس بعد أن مضى على ذلك الحادث عشر سنوات .

غير أن هذه السذاجة عند اليوناني لم تبق خالصة على مر الزمان ، بل شابها عيبان كبيران : تضحية الذمم على مذبح الذهب واستعمال المكر والخديعة لفقرهم ووجودهم وسط أعداء من البرابرة العديدين يجب الاستعانة على قهرهم أو الاحتفاظ منهم بأعمال الفكر وولوج أبواب الحيلة .

وبعد زمن الأيلياسة نهجوا منهج تجار صور وصيدا الذين كانوا يؤمون السواحل اليونانية لابتياع المعادن والزيتون والأعناب والمتاجرة في العبيد والإماء الذين كانوا أهم أصناف التجارة في ذلك الزمن على سواحل البحر الأبيض المتوسط .

وأول من اشتغل بالملاحة من اليونانيين أهل كورنثوس ، فهم الذين سيروا السفن ذات ثلاثة الصفوف من المقاذيف .

فسهلوا لإخوانهم السفر إلى أطراف البحار ، فتتابعت المكتشفات الجغرافية وتغنت بوصفها الأذيسيا .

ومع الاشتغال بالتجارة ابتدأوا في انتحال الصناعات والفنون ومالوا إلى الزينة والزخرفة ، فكان الخزف أول مصنوعاتهم الأهلية ، وأشهر معامل الأواني السوداء والحمراء كانت بكورنثوس .

وفي سنة (٦٦٠) أدخل الزعيم فيذون العملة في البلاد فتطورت بها معيشتهم ودبت فيهم حياة جديدة غيرت وجهتهم .

وأقدم السكة عندهم دراهم من فضة وزن الواحد منها ستة جرامات ، وعليه علامة السحلفاة وأجزاؤه تسمى أوبول .

وبانتهاء القرن السابع ينتهي عصر الأبطال أو أغريقية الأولى ويبتدئ العصر التاريخي الذي ينحصر جله في الكلام على مدينتين اثنتين : أثينا وأسبرطة .

الباب الرابع

تاريخ أثينا وقسم الأتيكى إلى الحروب المادية

● **مختصر تمهيدى :**

١ - **السكان** : كان قسم الأتيكى أكثر عمراناً من جميع الأقسام اليونانية الأخرى ، وسكانه من كل الطبقات ، وكانوا أقساماً منعزلاً بعضها عن بعض ومتباينة فى الشرائع والعادات والعبادات ، ولذلك انفصلت مساكنهم فى اثنتى عشرة قرية أهمها أثينا .

٢ - **ثيزفس** : أولُ من ضم هذه القرى وجعلها مملكة واحدة ، فهو المؤسس للحكومة الأثينية .

٣ - **كُذروس** : خلفَ ثيزفس فى الحكم ، وبعد موته المشهور فداء للوطن انحلت الملوكية وقامت مقامها حكومة الأفراد سنة (١٠٥٠ - ٦٨٣ ق . م) .

٤ - **سولون** : لما نشبت الفاقة أظفارها فى أهل البلاد وساد الاضطراب فى جميع الأنحاء اضطر الأثينيون إلى قبول قوانين سولون سنة (٥٩٤ ق . م) التى قضت بأن تكون إدارة المملكة فى يد الطبقة الوسطى من السكان .

٥ - **بيسسْتراتُس وخلفاؤه** : ثم آثر الشعب أن يقيم على رأسه زعيماً يدير باسمه الأحكَام ، فاختاروا بيسِسْتراتُس سنة (٥٦٣ - ٥٢٧ ق . م) ، ثم على أولاده من بعده : هِبَّرْخس وهيبياس وثسَّالوس سنة (٥٢٧ - ٥١٠ ق . م) .

٦ - **كليسْثينس** : سقوط حكومة الزعماء جر على أثينا اضطرابات جديدة انتهت بإقامة الحَكومة الديموقراطية ، وذلك بفضل المشرع كِليسْثِنس .

❋

(١ - قسم الأتيكى وسكانه)

إنه على الرغم من قحولة الأرض قد أمَّ قسم الأتيكى من زمن بعيد خلق كثيرون ، واستوطنوه لصلاحية سواحله وسهولة الوصول إليها ولثروته المعدنية ،

فشوهد فيه أولاً الفينيقيون يبحثون عن الفضة ، ثم نزح إليه من الجزائر اليونيون واستقروا في ماراثون ، ولما أغار الدوريون على أغريقية ووصلوا إلى بيلوبونيسوس هاجر إلى قسم الأتيكي عدد وافر من الأسرات المغلوبة على أمرها ، فزاد بها قوة وثراء ، وما لبثت هذه العناصر إلا قليلاً ، وغلب العنصر اليوني عليها عادات وأخلاقاً وظهر فيها أهم ميزاته : ذكاء حاد يشوبه طيش وإقدام ، وحب للجميل والجديد .

وكان أهله منقسمين شعباً كثيرة مستقلاً بعضها عن بعض ابتنوا لسكناهم اثنتى عشرة قرية على رءوس الصخور ، لتكون فى مأمن من القرصان واللصوص ، وأهم هذه القرى لفسيس وماراثون وأثينا ، وكانت الطبقات التى تتكون منها الهيئة الاجتماعية ثلاثاً : الأشراف ، والزراع ، والصناع ، والأولى تحتقر الاثنتين الأخيرتين ، هذا سوى الإماء والعبيد الذين كثر عددهم حتى زاد عن حاجة البلاد .

وكان اليونيون يتقسمون إلى أربع قبائل ، وكل قبيلة تنقسم إلى ثلاث فصائل .

ولكل قسم من هذه الأقسام قوانين وعادات وعبادة خاصة ، وبذلك يتجلى الانقسام فى هذا الفريق من الأمة اليونانية فى أوضح معانيه .

* * *

(٢ – ثيزفس وتأسيس الحكومة فى أثينا)

إن بناء قلعة أثينا والمنازل الأولى التى حواليها منسوب إلى كِكْرُبْس المصرى ، ثم تنازع شرف الرياسة فيها معبودتان : بوزيدون وأثينا ، وتم الأمر أخيراً لأثينا وصارت الآلهة الحارسة للمدينة .

ولما دخل اليونيون قسم الأتيكى انقسموا إلى أربع قبائل ، والقبيلة إلى ثلاثة فصائل ، وسكن كل قسم جهة ، فنشأت اثنتا عشرة قرية كل واحدة مستقلة عن الأخرى ، فلما حكم ثيزفس على أثينا نصح لأهل القرى الأخرى أن ينضم بعضهم إلى بعض ، ووصل باللين وقوة الحجة إلى إقناعهم بقبول حماية أثينا ، وصار ثيزفس من ذلك الوقت (أواخر القرن الثالث عشر) بطل الأثينيين ومؤسس حكومتهم .

* * *

(٣ - كُذروس وتحويل الحكومة الملوكية إلى حكومة أوليجرشية)

يفخر الأثينيون بإخلاص كذروس أحد خلفاء ثيزفس لوطنه ، فيقولون : إن الوحى بشر الدوريين بالانتصار على أهل الأتيكى بشرط أن لا يقتلوا ملك الأثينيين فعلم بذلك كذروس وتزيا بزى فلاح وتقدم جهة معسكر العدو وتحرش بأحد الجنود وأثار غضبه ، فما كان من ذلك الجندى إلا أن قتله ، وعرف الدوريون الخبر فيئسوا من نجاح حملتهم وارتدوا على أعقابهم ، واعجب الأثينيون بإخلاص ملكهم أيما إعجاب حتى إنهم قرروا أولاً إلغاء الملوكية بحجة أنه لا يوجد من هو جدير بأن يخلف كذروس [١] ، ثم عزمت عدة أسرات من الأشراف الذين يغبطون الملك بسلطانه على أن يشاطروه الحكم ، بحيث تبقى الملوكية شكلاً فقط ، فنزعوا منه أولاً قيادة الجيش وسلموها لواحد منهم أطلقوا عليه اسم أرخُنت (قاض) ثم الإدارة الداخلية لقاض آخر ، ثم أوجدوا بعد ذلك ستة قضاة يحكمون بين الناس ، وبقى الملك بجانب هؤلاء الموظفين العظماء له رسوم الاحترام يسكن قصراً فخماً ، وينظر فى المسائل الدينية وجرائم القسوة والقتل ، واعتبروه قاضياً تاسعاً ، وإنما كانوا يسمونه القاضي الملك .

وكان القضاة أولاً لا يعزلون طول حياتهم ، فرأت الأسرات العظيمة سنة (٦٧٢ ق . م) أن تجعل مدة حكمهم عشر سنين ، ثم جعلوها سنة واحدة سنة (٦٨٣ ق . م) ، وكانوا أولاً ينتخبون القضاة من أسرة كذروس ، ثم عدلوا عن ذلك أيضاً سنة (٧١٤ ق . م) ، وقرروا انتخابهم من الأشراف بدون تمييز ، فتحولت الملوكية إلى حكومة أوليجرشية صرفه أعضاء مجلسها ومحكمتها من الأشراف ، وهم الذين ينتخبون القضاة ، أما باقى الطوائف من زراع وصناع فليس عليهم إلا الطاعة والاستسلام ، فاستاء الشعب من ذلك واشتد استياؤه مع ازدياد الفاقة ، ولما ضربت السكة الفضية فى القرن السابع انتشرت التجارة وارتفعت الأسعار حتى اضطر الفقراء إلى الاستدانة ، ولما لم يكن عندهم شيء يرهن قبلوا أن يضعوا أفراد أسراتهم تأميناً على الأموال المقترضة ، فلم يمض زمن طويل حتى أصبحوا هم وأولادهم وبناتهم عبيداً وإماء للأغنياء ، فثقلت وطأة

---

(١) يرى من خلال هذه الحادثة وما بعدها قيام ثورة من الأعيان ضد الملك لم تخمد إلا بعد أن سلبوه كثيراً من حقوقه .

الاستبداد حتى بكى الناس زمن الملوكية ، وفكروا فى انتخاب زعيم يتولى شؤونهم إلى أن قام بهذا الأمر كِيلُنْ أحد أغنياء الأثينيين ، والذى كان من الفائزين فى السباق الأخير بأولمبيا واستولى على القلعة وتحصن وأنصاره فيها ، غير أن الزراع لم ينضموا إلى حزبه ، وبذلك تقوى الأشراف وحاصروه إلى أن نفد ما عنده من القوت وطلب هو ومن معه الأمان فأمنوا ، ثم خرجوا من حصنهم ، وما كادوا يتوسطون ميدان القلعة حتى انقض عليهم الأشراف وأعملوا فيهم الذبح ، بحيث لم ينج منهم غير كِيلُنْ ونفر من رفاقه .

ولما مضى زمن الدهش وعاد إلى الشعب صوابه ، ورأوا أنهم خذلوا من كان لهم نصيراً حنقوا على ميغاكليس رئيس أسرة الألكميونيين الذى قام بتلك المذبحة وانفجر بركان غضبهم وقاموا قومة رجل واحد وأصدروا حكماً بنفى الألكميونيين فأذعنوا لإرادة الأمة وخرجوا من بلادهم صاغرين .

ثم انتخب الشعب رجلاً من الأشراف اسمه ذراكون ، وعهدوا إليه أمر سن القوانين خصوصاً الجنائية منها ، فجمع شيئاً من أساطير الأولين وحوره بعض التحوير ، فجاء غاية فى الشدة ونهاية فى القسوة ، فقد كانت أحكام الإعدام قصاصاً ممن يرتكب مخالفة أو جنحة ، وكانت مسطورة على اسطوانات من خشب أمام القصر الملوكى تدور حول محاور من حديد ليطلع عليها كل مارٍ فى الطريق ، غير أن ذلك لم يقمع الفتنة ولم يضع حداً للاضطراب ولم يزل شيئاً من أسباب الفوضى ، وتمشت الحال من سيئ إلى أسوأ حتى صار البلد على شفا الدمار ، فأخذ بيده سولون ذلك المشرع العظيم ونجاه من الهلاك .

* * *

(٤ – سولون سنة ٥٩٣)

لما رأت الأمة أن الخطر محدق بها أجمعت الأحزاب كلها على أن يعهدوا إلى سولون الأرخنتية (القضاء) ، وكلفوه بوضع قوانين جديدة اجتماعية وسياسية سنة (٥٩٣) ، وهو من جزيرة سلامين يتصل نسبه بكذروس ، ولد فى حدود سنة (٦٤٠) ، وتوفى سنة (٥٥٨ ق . م) ، وكان أولاً فقيراً ، ثم اشتغل بالتجارة وساح كثيراً ، فأفادته الأسفار ثروة وعلماً وعرفاناً ، وصار فيما بعد أحد حكماء اليونان المشهورين .

ولما عاد إلى أثينا كان عمره ثلاثين عاماً ، فوجد الأتيكى تمزقها الفتن ، وتنخرها الثورات ، وأهلها يرزحون من استبداد الأشراف ، ويئنون تحت ثقل الديون ، والحكومة تشعر بالضعف والوهن فى علاقاتها الخارجية ، حتى إنها صدرت منشوراً للأثينين بأن من يشير بالحرب لاسترداد جزيرة سلامين من يد الميغاريين يحكم عليه بالإعدام ، لم يرض سولون بهذا الخمول لقومه ، واحتال فى إنهاضهم وتنكر فى زى البله ، وجعل يركض فى الأسواق حتى اجتمع حوله خلق كثيرون ، فاستوى على حجر عال وطفق ينشدهم أبياتاً يذم فيها قعودهم عن استرداد حقهم المسلوب والمطالبة بدمائهم ، فاضطرمت فى رءوس القوم نار الحمية وساءهم ما لصق بهم من العار ، وصاحوا بأجمعهم الحرب ! الحرب ! فتوارى عنهم سولون ريثما خلع ما عليه من ثياب بالية ، ثم عاد إليهم يصيح معهم الحرب ! الحرب ! لنحمل إلى سلامين السيف والنار ! فصحت عزيمتهم للحرب وأمروا عليهم سولون ، واستردوا الجزيرة من الميغاريين ، فأعلى هذا الفوز منزلته ، وأجمع القوم على محبته فقلدوه الأرخنتية سنة (٥٩٣) ، وكلفوه بسن ما يوافق الأمة من القوانين ، فابتدأ أولاً بوضع نظام مخصوص سهل به وفاء الديون وخفض السعر ، ونقص من قيمة العملة الفضية ، وأفرج عن المدينين من عقال الأسر والعبودية ، وثنى بوضع القوانين وجعلها ثلاثة أقسام :

١ – سياسية .　　　٢ – اجتماعية .　　　٣ – قضائية .

(القوانين السياسية)

توخى سولون فى القوانين السياسية إضعاف شوكة الأشراف وإحلال الطبقة الوسطى محلهم ، فقسم الأثينين إلى أربع طوائف حسب دخلهم من المال ، وقرر أن أفراد الطوائف الثلاث الأولى هم الذين يمكن قبولهم فى الوظائف العمومية ، أما الطائفة الرابعة فلها أن تحضر جمعيات الشعب ومداولات المحاكم لتعطى صوتها فيها .

وكانت الطائفة الأولى ممن دخلهم خمسمائة مدمْن [١] من القمح قيمتها (٦٠٠٠ درهم) [٢] ، والطائفة الثانية ممن كان دخلهم (٣٦٠٠ درهم)، والطائفة

---

(١) المدمن : مكيال سعته ٥٢ لتراً تقريباً .

(٢) بما أن الدرهم عندهم ستة جرامات من الفضة ، فتكون قيمته ستة قروش صاغ تقريباً، ثم نقص بعد ذلك إلى أربعة .

الثالثة ممن كان دخلهم (٢٤٠٠ درهم) ، والطائفة الرابعة ممن كان دخلهم دون ذلك أو لا دخل لهم .

وقد أبقى القضاة التسعة على رأس الحكومة ، ولكنه حظر عليهم تولى المناصب العسكرية ، وشكل مجلساً مؤلفاً من أربعمائة عضو ينتخبون من الطوائف الثلاث الأولى ، بحيث يؤخذ مائة عضو من كل قبيلة ، ورأيه شورى فيما يعرضه عليه القضاة من الأعمال ، وله النظر فى كل اللوائح والمنشورات والرسوم ، فيتداول فيها ثم يعرضها على الجمعية العمومية لترفضها أو توافق عليها وجعل فوق ذلك محكمة الأريوباج وهى المجلس الأعلى ، وأعضاؤه من القضاة الذين اعتزلوا المناصب والشعب عنهم راض ، فكانوا من الشيوخ الفضلاء، ومن اختصاصه النظر فى المسائل الرئيسة ومراقبة أخلاق الأمة والإشراف على أعمال القضاة ، وله أن يبدى رأيه بعد المجلسين الأولين فيعمل به .

فكانت الحكومة بمقتضى هذا التشريع مزيجاً من الأرستقراطية والديمقراطية عمل بمهارة وحكمة .

(القوانين الاجتماعية والقضائية)

إن القوانين الاجتماعية التى وضعها سولون كانت أثبت دعامة من قوانينه السياسية ، ذلك لأن الأمة كان محظوراً عليها بعض أمور تستلزمها حياة الجماعات ، فأباح كثيراً منها كإجازته بيع العقار ، وعمل الوصية فى بعض الأحوال ، وحينئذ صارت الأملاك التى كانت عدة وقوة للأسرات العظيمة تتجزأ وتنتقل من شخص لآخر ، وكثر البيع والشراء ، وانتشر تبعاً لذلك الرهن ، ولكنه استبقاء للأسرة حظر الوصية على الأب الكثير الأولاد ، وحتم زواج البنت صاحبة الحق فى الميراث كله بأقرب رجل منها نسباً ، ثم وضع قواعد مخصوصة لتربية الأولاد ، فكان الولد يبقى فى بيت أبويه اللذين يتوليان أمر تربيته حتى يبلغ ست عشرة سنة ، ثم تتسلمه الحكومة وتدخله فى المدارس العمومية لتربيه تربية عسكرية وتخوله جميع الحقوق المدنية .

ولما كان سولون نفسه تاجراً اهتم كثيراً بتسهيل حركة الأعمال ، وضرب سكة جديدة من دراهم زنة الواحد منها أربعة جرامات بدلاً من ستة ليسهل اقتناؤها أو

الحصول عليها ، وأبقى المكاييل التي أوجدها فيذون ، ولكنه زادها بمقدار جزء من اثنى عشر جزءاً ، فكان المدمْن الذى وضعه يساوى اثنين وخمسين لتراً بخلاف المدِمْن الذى وضعه فيذون ، فإنه كان يساوى ثمانية وأربعين لتراً فقط .

ومن قوانينه تقسيم تركة المتوفى على الأولاد أنصبة متساوية جعله الزواج (١) بين رجل وامرأة ، كل منهما حائز للحقوق المدنية أباحته الطلاق فى حالتى العقر والزنا ، فإذا كان المطلق رجلاً يرد إلى زوجه مهرها (٢) ، وإذا كان امرأة ترفع أمرها إلى المجالس لتنظر فيه - عدم إعلان الحرب إلا بعد تفاوض الجمهور فى شأنها ثلاث مرات ، ثم تعد أهل البلاد الخيل والسلاح والسفن والأزودة كل بقدر طاقته .

ومن قوانينه القضائية أن من يطالب بميراث يودع تأميناً عشر قيمة الميراث ، ولا يرد له إذا رفض طلبه - جواز إعلان النمام بالحضور أمام المحكمة ، فإذا لم يحصل على خمس الأصوات بتبرئته آمكن الحكم عليه بعقاب جسمانى له أن يتخلص منه إذا انتفى من البلد قبل النطق بالحكم .

ومن حكم سولون المأثورة قوله : إن الظلم يرتفع من البلاد إذا تألم من يعلم به تألم الواقع عليه، فكان لكل واحد أن يكون مدعياً ويطلب محاكمة من يتعدى

---

(١) للزواج عند اليونان غرضان : سياسى ، ودينى ، لتخليد الأسرة والمحافظة على العبادة المنزلية ، وكان لا يقع إلا بعد إيجاب وقبول من والد العروس أو وليها ، وبعد إيداع المهر للزوج ، والاحتفال به يشمل :

١ - تقديم قرابين للآلهة زفس وهيرا وأبولون وأفرديتى وأثينا .

٢ - وليمة كبيرة فى منزل والد العروس أو وليها .

٣ - موكب حافل تسير فيه العروس راكبة عربة وسط أغانى الزفاف حتى تصل بيت بعلها .

٤ - احتفالات فى بيتها الجديد واستقبال أم الرجل لها وتقديم بعض الضحايا ، ثم تتوارد ثانى يوم إلى العروسين الهدايا من الأقارب والأحباب .

وفى بيوثيا يحرقون محور عجلتى العربة (دنجل) التى حملت العروس إلى بيت بعلها إشارة إلى أنها لا يمكنها أن تعود ثانية .

(٢) فى أرغوس لا تقدم البنت مهراً ، وفى تساليا يقدم الرجل لزوجه جواداً عليه عدة الحرب .

على طفل أو امرأة أو يبدو منه ضرب من ضروب الشدة والقسوة ، غير إنه يجب على المدعى أن يودع تأميناً فى المحكمة ، ثم يقف ويقسم بأغلظ الأيمان ويستنزل أكبر اللعنات إذا كان فى دعواه كاذباً .

ومنها أن من يغتصب امرأة يلزم بتزوجها أو يحكم عليه بالإعدام ، وأن الزانيات يحرمن من خدمة الآلهة ويوكل أمر عقابهن للأزواج ، وأن الأرخنت (القاضى) الذى يرى فى حالة سكر يحكم عليه بالإعدام بدون شفقة ولا رحمة .

وجملة القول : إن قوانين سولون وإن كان انتهك بعضها السياسي فى حياته إلا إنها خدمت البلاد خدمة جليلة أبقت له ذكراً خالداً .

* * *

(٥ - بيسِسْتراتُسْ وخلفاؤه)

بعد أن وضع سولون قوانينه تزاحم على بابه خلق كثير من الأمة ، هذا يستوضح أمراً وذاك يبدى اعتراضاً ، وثالث يطلب تبديلاً ، فسئم ذلك الإلحاح ، ورغب فى الارتحال عن البلاد ليترك للناس حرية العمل بسنته ، فافترقت الأمة أحزاباً فشت فيما بينها الاختلافات واحتدمت المجادلات ، حتى تمكن بيسِسْتراتس من التسلط على قلوب العامة ، وظهر بمظهر النصير لهم المناضل عن حقوقهم ، ثم خرج ذات يوم فى ميدان عمومي مثخناً بالجراح ملوثاً بالدماء ، وشرع يصيح فى العامة : « انظروا ما صنع بى أعداؤكم » ، فصدقوه وأقاموا له حرساً من خيرتهم ، يحفظونه من اغتيال الأشراف ومكايدهم ، فاستعان بهم على الاستيلاء على القلعة سنة (٥٦٣ ق . م) ، ولكن أخصامه قاموا فى وجهه وتمكنوا من طرده مرتين والشعب يدافع عنه ويناضل حتى يعيده إلى مركزه ، ثم ثبت سلطانه وتلاشى بجانبه سلطان القضاة ، فحكم بدون منازع من سنة (٥٤٦ ق . م) إلى أن مات سنة (٥٢٧ ق . م) ، ومع ذلك لم يستعمل شدة ولا قسوة ، بل نصر العلم والعلماء والأدب والأدباء ، وأقام الآثار وجمّل المدينة بالمبانى ، وأسس أول مكتبة عمومية فى اليونان ، وعُنى بجمع أشعار هوميروس ، فإن الأيلياسة والأُذيسيا كانتا محفوظتين لذلك الحين فى صدور الحداة الذين يطوفون البلاد ويتغنون بهما .

ولما مات بيسستْراتس والأمة عنه راضية لعطفه عليها وحبه لها قام بالأمر بعده أولاده : هِبَّرخُس ، وهيبياس ، وثِسَّالوس بدون أدنى معارضة ، وحذوا أولاً حذو أبيهم فى الحكم ، ثم نسوا أنهم صنيعة العامة وأن دعامة سلطانهم رضاء الأمة ، فتكبروا وشمخوا بأنوفهم وساموا الناس الخسف ، حتى سئموا حكمهم وتآمروا على قتلهم ، فاتفق هَرْموذِيوس وأرِيستيِيتون على الفتك بهم ، وتواعدا على أن يكون ذلك فى العيد الدينى الذى يجتمع فيه الإخوان الثلاثة ، ويحتفل به الناس مسلحين ، فلما كان ذلك اليوم ظهر هيبياس فى حرسه ينظم الاحتفال ظاهر المدينة ، وبينما هَرْموذيوس وأريستييتون يتقدمان صوبه وعليهما الخناجر تحت فروع من شجر الآس كان أحد المتآمرين من عصابتهما يحادث هيبياس بدون كلفة فظنا أن أمرهما قد انكشف وأسرعا بالعودة إلى المدينة ، فقابلا هِبَّرخوس وقتلاه ، فقبض على هَرموذِيوس وأعدم فى الحال ، ثم أُدرك زميله بعد أن كان اختفى عن أعين الحرس ، ولما علم هيبياس بالخبر أخفاه على القوم وأظهر الجلد والصبر ، وأمر المحتفلين أن يجتمعوا بغير سلاح فى موضع عيَّنه لهم ، وبذلك تمكن من القبض على المسلحين وكل من اشتبه فى أمره سنة (٥١٤ ق . م) .

ومما يحكى فى هذا الحادث أن أرِيستييتون اتهم أعز أصدقاء هيبياس فذبحهم فى الحال جميعاً ، وقال : « ثم من ؟ » فأجابه أرِيستييتون : « لم يبق غيرك ممن أود موتهم ، فقد غررت بك وحملتك على قتل من تحب » ، ثم زاد الأثينيون على ذلك أن لِبِينا صديقة أرِيستييتون عُذبت مثله لتحمل على الاعتراف ، فخافت أن تفضح أمر المتآمرين فاقتطعت لسانها ولفظته فى وجه الزعيم ، وبعد سقوط دولة آل بيسسْتراتُس أقام الأثينيون التماثيل تمجيداً لذينك الشابين وتغنوا بمديحهم :

« سأحمل السيف فى غصن الآس كما فعل هَرْموذِيوس وأرِيستييتون حينما قتلا الزعيم الظالم ووضعا أساس العدل والمساواة فى آثينا : أيها العزيز هَرْموذِيوس ، إنك لم تمت ، بل تعيش بلا ريب فى جزائر السعداء ، حيث يعيش آشيلفْس وذِيوميذيس . . . . » .

ولا يمكن تعليل ما قام به الأثينيون تمجيداً لذينك القاتلين السفاكين ، إلا إذا لاحظنا أن قدماء الأغريق ما كانوا يعتبرون قتل مغتصب الحكم المستبد جريمة يعاقب عليها .

وبعد قتل هِبَّرخوس طغى هيبياس وبغى وأعمل فى الأمة سيف الظلم والاستبداد ، فرأت أسرة الألكميونيين أن الوقت مناسب والفرصة سانحة لخلع آل بيسِسْتراتُس من الحكم ، فعادوا من منفاهم ونثروا الذهب وابتاعوا الذمم وأوعزوا إلى بيثيا هيكل ذلفى بأن تحمل الأسبرطيين على الأخذ بناصرهم ففعلت ، ودخل الألكميونيون المدينة ، وفر منها هيبياس وأخوه تِسَّالوس إلى آسيا ، ونزلا ضيفين على ملك الفرس .

* * *

(٦ - كليسثينس سنة ٥٠٨ ق . م ، الديمقراطية فى أثينا)

إن سقوط دولة آل بيسِسْتراتُس لم يُعد السلم إلى البلاد ، بل أشعل فيها نيران الحروب الأهلية بين العامة والأشراف حتى انتهى الأمر بفوز كليسثينس الذى جعل الحكومة ديمقراطية محضة مكافأة للشعب الذى نصره وأيده ، فجعل القبائل عشراً وأعضاء مجلس الشورى خمسمائة ، وخول حق العمل فى الحكومة والعضوية فى المجالس لجميع السكان على السواء لا فرق بين غنى وفقير ، وقسم السنة إلى عشرة أقسام متساوية تتناوب فيها إدارة الأعمال القبائل العشر .

وحور أيضاً نظام الجندية ، فجعل لكل قبيلة جنداً من المشاة والفرسان عليهم قائد من أبنائها يغير كل سنة .

وإلى كليسثينس ينسب قانون النفى الإدارى للكبراء وذوى الحول والقوة الذين يخشى بأسهم ، ولا يؤمن جانبهم فى اغتصاب الملك أو قلب نظام الحكومة ، ذلك لأن آل بيسِسْتراتس كان الشعب فى أثينا لا يزال يألفهم ويميل إليهم ، فخاف كليسثينس أن يعيدوا الزعامة ، فكانت الحكومة كلما آنست من أحد طمعاً فى الحكم أو رغبة فى انتهاك قانون ، أمرت بالاقتراع سراً للنظر فى أمره ، فإذا ما بلغت الأصوات ضده (٦٠٠٠) نفى مدة عشر سنوات وصالاً بدون أن يصادر فى أملاكه أو يحرم من التمتع بربعها ، وأول من ذهب ضحية هذا القانون هبرخوس الصغير أحد أقارب بيستراتس ، ثم أكسنثيبوس أبو بيريكليس وأريستيذِس وكيمون ابن ملتياذِس وغيرهم ، إلا أن أغلبهم كانوا يعودون إلى

بلادهم قبل انتهاء المدة المقررة ، ثم ظهر للأمة عدم صلاحية ذلك القانون ، ورأت فى إبعاد عظماء أبنائها من المضار ما حملها على إلغائه .

وقد تقدمت أثينا فى عهد تلك الحكومة تقدماً باهراً سريعاً على الرغم من حسد أسبرطة والعمل على معاكستها .

* * *

الباب الخامس

أسبرطة وبيلوبونيسوس إلى الحروب المادية

● **ملخص تمهيدى :**

١ – **بيلوبونيسوس والدوريون** : فى عصر حرب طروادة كانت بيلوبونيسوس مركز القوة والحضارة الهيلينية ، ولشهرتها قصدها الدوريون وأغاروا عليها سنة (١١٠٤ ق . م) ، فكان ذلك سبباً فى الانقلاب الاجتماعى والسياسى فيها .

٢ – **أسبرطة** : أهم المدن التى أنشأها الدوريون وتاريخها يعرفنا تاريخ بيلوبونيسوس كلها بعد إغارة الدوريين من أخلاق وعادات وحكومة .

٣ – **ليكورغوس** : المشرع الذى ينسب إليه وضع نظامات أسبرطة مع أنها فى الحقيقة كانت من قبل ، فنظمها ونسقها ، وقرر وجوب العمل بها ، فضمن بالقسم السياسى منها السيادة للأسبرطيين وبالقسم الاجتماعى المساواة بين أفراد الأمة ، وبالقسم الحربى خشونة الطباع وحب الحرب والكفاح .

٤ – **حروب ميسينى سنة (٧٤٣ – ٦٦٨ ق . م)** : هى النتيجة الطبيعية لحالة أسبرطة الاجتماعية ، وقد انتهت بتقسيم الأراضى على القوم المنصورين .

٥ – **تحوير الحكومة فى أسبرطة** : إن نواب طائفة الأعيان فى أسبرطة الذين أطلق عليهم اسم « أيفور » انتهت الحال بهم إلى الاستئثار بالنفوذ كله بعد أن كان فى يد الملوك ومجلس الشيوخ فى زمن ليكورغوس .

٦ – **الحكومات الأخرى فى بيلوبونيسوس** : أهم المدن الأخرى فى بيلوبونيسوس كانت كورنثوس وميغارا وأرغوس ، وهى لم تحذ حذو أسبرطة الأرستقراطية ، بل اقتفت أثر أثينا فى تقلبها السياسى .

*

(١ – بيلوبونيسوس والدوريون)

كانت بيلوبونيسوس فى عصر الأبطال وفى زمن حرب طروادة أعظم بلاد اليونان قوة وأرقاها حضارة ، وما كانت تضارع مدنها الشهيرة أرغوس وميكينى وبيلوس [١] مدن أخرى ، وملوكها كانوا مشهورين باسم « ملوك الملوك » غير أن شهرة البلاد بالثروة والرفاهية رغبت الدوريين فى استيطانها ، فأغاروا عليها فى أواخر القرن الثانى عشر سنة (١١٠٤ ق . م) .

وكانت القبائل الدورية ثلاثاً على رأس كل منها قائد ، ويقال : إن الرؤساء الثلاثة كانوا أخوة استولى أحدهم على ميسينى ، والثانى على وادى أفروتاس ، والثالث على الأرغوليد ، وهناك شراذم أخرى استولت على بعض المدن العظيمة ككورنثوس وغيرها ، وكلهم ينتسبون إلى هيراقليس ، ولما دخلوا البلاد شرعوا فى الاستيلاء على أحسن الأراضى ، فسلم لهم فيها البعض ، فتمت القسمة بالتوافق والتراضى ، وقاومهم البعض الآخر فانتشبت من جراء ذلك الحروب ، وعاش الفريق الأول من أخائيين ويوليين مع المغيرين بسلام لا ينازعه فيما بقى له من الأملاك منازع . أما الفريق الثانى : فقوتل حتى استعبد وألزم بحرث الأرض وخدمتها للدوريين الذين تملكوا شبه الجزيرة شيئاً فشيئاً ، وسادت لهجتهم فيها على اللهجة الأهلية .

* * *

(٢ – أسبرطة)

إن المعسكر الذى ابتناه الدوريون صار بتوالى الأيام مدينة حقيقية دعوها أسبرطة وهى على أكمة تشرف على نهر أفروتاس بينها وبين البحر بضعة كيلومترات ، ولما سادوا على الوادى كله وضعوا أيديهم على أحسن الأراضى التى على جانبى النهر واقتسموها فيما بينهم ، واكتفى السكان القدماء بما بقى لهم من الأراضى الجبلية المطلة على الوادى ، واشتهروا باسم اللاكونيين أو اللقدمونيين ، أما الذين لم يرتضوا هذه القسمة الظالمة فحوصروا حتى أذعنوا واستعبدوا وأطلق عليهم اسم

---

(١) مدينة فى أليذا على نهر بنيوس بين أيلبس وأولمبيا .

هيلوتس [1] ، وصاروا عبيداً يزرعون الأرض ويخدمونها ويؤدون نصف غلتها للأسبرطيين ، ومع ذلك ليس لهؤلاء الموالى أن يبيعوا عبيدهم أو يعتقوهم .

وكانت حكومة أسبرطة بادئ بدء ملوكية على رأسها ملكان ، ويعللون ذلك بأن أريستوديموس مؤسس المدينة رزق توأمان : أفريستينس وبروكليس لم يعرف أيهما البكر ، فأجمع على تمليكهما معاً ، وبقيت ذريتهما تحكم كذلك مدة قرون كانت الرعية في أثنائها ثلاث طوائف : الدوريون وهم السادة ، واللاكونيون وهم الرعية ، والهيلوتس وهم العبيد .

ولما كان الدوريون قليلي العدد تحيط بهم السكان المغلوب على أمرهم اضطروا بحكم الحال إلى أن يستنوا نظاماً حربياً ، ويكونوا على أهبة الاستعداد للدفاع والكفاح في كل وقت وآن كجيش معسكر في أرض الأعداء ، وهذا هو منشأ القوانين الغريبة التي ينسب وضعها إلى ليكورغوس .

* * *

(٣ - ليكورغوس)

يُنسب ليكورغوس [2] إلى إحدى الأسرات الملوكية في مدينة أسبرطة ، ويقال : إنه كان في وسعه بعد موت أخيه أن يتسلم مقاليد الملك ، ولكنه آثر أن يتولى أمر ابن أخيه القاصر حتى يبلغ أشده ويقبض على زمام الأحكام ، ثم قامت فتن في البلاد قضت بخروجه منها ، فركب متن الأسفار ليستطلع أفكار الحكماء ويستمد بآرائهم ويقف على عادات الأمم الأخرى وأخلاقهم ، فتعرف قوانين مينوس ملك جزيرة كريد ، وجمع أشعار هوميروس من آسيا الصغرى ، ويعده الكهنة المصريون من تلاميذهم .

---

(١) سكان مدينة هيلوس على خليج لاكونيا .

(٢) لم أعثر له على صورة في غير هذه القطعة من العملة .

وبعد غيبة طالت ثماني عشرة سنة عاد إلى أسبرطة فوجدها تموج بالقلاقل والقوم يحسون بحاجتهم إلى الأصلاح ، فعهدوا إليه وضع قوانين اجتماعية وسياسية تشيم سيف الفتنة وترتج بابها ، ولم يكتف ليكورغوس بثقة الناس فيه ، بل ألبس مشروعه حلة دينية باستنزاله الوحى فى هيكل ذلفى ، فلما حيته بيثيا باسم صديق زفس زادت الناس به إيماناً ، وعملوا بقوانينه طائعين مختارين .

(القوانين السياسية)

لم يغير ليكورغوس شيئاً فى شكل الحكومة الأسبرطية ونظامها السياسى ، وإنما بين حقوق الملكين وواجبات مجلس الشيوخ والجمعية العمومية .

الملكان : يرأسان مجلس الشيوخ والجمعية العمومية على أنهما رئيسان للحكومة ، ويقدمان القرابين للآلهة لنسبتهما إلى زفس ، ويقودان الجيوش لأنهما من نسل الفاتحين الأولين .

مجلس الشيوخ : مجلس مركب من ثمانية وعشرين عضواً تنتخبهم الأمة الأسبرطية بالاشتراك مع الملكين ممن لا تقل سنهم عن ستين سنة ، واختصاصه عرض المشروعات والمناقشة فيها والنظر فى سائر المسائل المدنية والجنائية .

الجمعية العمومية : مركبة من كل أسبرطى عمره ثلاثون سنة يدفع ضريبة مخصوصة فى الولائم العمومية ، وهى التى تقرر مسائل الحرب والسلم وتناقش أعمال الحكومة والأمور الدينية ، وتنظر فى قضايا الأمراء وعزل القضاة ، وتنعقد مرة فى منتصف كل شهر قمرى على قول بعض وأول كل شهر قمرى على قول بعض آخر .

(القوانين الاجتماعية والعسكرية)

عمل ليكورغوس فى قوانينه الاجتماعية على التسوية بين جميع الأسبرطيين ، فقسم الأراضى إلى تسعة وثلاثين ألف جزء ، منها ثلاثون ألفاً للأكونيين ، وتسعة آلاف للأسبرطيين ، وقد أثار هذا النظام فتنة جرح فيها ليكورغوس ، ولكنه أصر عليه وأقنع أمته بوجوب العمل به ، فإن أرض الأسبرطيين كانت أكبر مساحة وأجود تربة ، ثم منع بيعها منعاً باتاً حتى لا يتصرف أسبرطى فى نصيبه ولا يستأثر آخر بجملة منها ، فيصبح هذا غنياً وذاك فقيراً ، وتتآكل صدورهم حسداً .

ويظهر أن جميع المتشرعين فى الزمن القديم كانوا يفتخرون بتحريمهم التصرف فى العقار حفظاً لكيان الأسرات مع أن عملهم هذا لا يأتلف مع سنة الرقى الطبيعى فى الأحوال الاجتماعية والاقتصادية ، فإن الأمم كانت تنتبذ هذه السنن بعد وضعها بقليل ، إلا أن سنة ليكورغوس كانت أطولهن عمراً .

ولغرض التسوية أيضاً بين الأسبرطيين منع الزينة والزخارف والاشتغال بالفنون والآداب والتجارة ، وضرب سكة حديدية ثقيلة حتى يرغب الناس عن اقتناء الكثير منها ، فإن مبلغاً صغيراً قيمته أربعون جنيهاً كان يحتاج لحمله إلى عجلة يجرها ثوران عظيمان ، وفرض على جميع الأمة الحضور فى ولائم من طعام خشن ، بحيث لا يمكن أى إنسان سواء كان حاكماً أو نائباً أو ملكاً أن يتخلف عنها ، وأشهى طعام عندهم نوع يصنع من الملح والخل وشحم الخنزير وقطع صغيرة من اللحم ، وقد تناول من هذا الطعام زعيم سيراقوسة فقطب وجهه وصاح : « ما أردأ هذا الطعام ! » فأجابه الطاهى : « لا شك أنه ينقصه شىء » فقال الزعيم : « وما هو ؟ » ، قال : « أن تغتسل فى نهر أفروتاس وتتدرب على تمارين الميدان » .

وفى الحقيقة أن ليكورغوس فرض على جميع الأسبرطيين الاشتغال بالتمارين الرياضية الشاقة ، لأنه كان يرمى إلى تكوين رجال أقوياء أشداء يدافعون عن الوطن ويحمون ذماره .

وقد وصل إلى غايته وصار لا يضارع الأسبرطى أحد من سائر اليونانيين فى استعمال السلاح وتحمل المشاق واقتحام الأخطار والاستخفاف بالموت ، وذلك بما قرره فى أمر تربية الأولاد ، فقد وكلها إلى الحكومة وحرم الضعيف منهم مشوه الخلقة من الحياة بإلقائه فى أخدود اسمه « كياذس » ، لأنه لا يصلح أن يكون جندياً باسلاً .

أما الولد السليم فكان يغسل يوم ولادته بالنبيذ ويلقى مجرداً من كل لباس وبغير غطاء على درقة أبيه بجانب الرمح حتى لا يقع نظره أول مرة على غير السلاح فيألفه ويحبه ، ثم يوطدونه على تحمل لفح الهجير ونفح الزمهرير بإلباسه نفس الثياب صيفاً وشتاء ، وكان يفترش الغاب الذى يقطعه بنفسه من نهر أفروتاس ، ويختطف ما يشتهيه من الزاد لقلة ما يقدم له من الغذاء ، وما كانوا

يعتبرون ذلك سرقة ، بل تمريناً على الخدعة فى الحرب واستعمال المكر والحيلة فى استطلاع الأعداء ، والولد الذى يكشف أمره كان يعذب لا بصفته مجرماً ، ولكن لأنه غير ماهر فى إخفاء ما يختطفه من الأشياء ، ومن أفظع ضروب القسوة ضرب الأولاد بالعصى لتعويدهم تحمل الألم ، وقد شوهد بعضهم يسلم الروح بدون أن يتأوه أو تبدو منه علامة ضجر .

ومع هذه التمارين الوحشية كانوا يعلمون الأولاد الضرب بالناى وعلى العيدان والتغنى بالقصائد الدينية والأشعار الحماسية .

وكان الأسبرطى يدخل الجيش فى سن العشرين ويتزوج فى سن الثلاثين ويخول الحقوق المدنية ، فإذا ما بلغ الستين أعفى من الخدمة العسكرية ، وتولى إدارة الأعمال العمومية وتربية الأولاد .

وفى غير أوقات الحروب والتمارين لا يشتغل بغير الصيد والقنص أو تجاذب أطراف الحديث فى الأماكن العمومية ، وإذا ما فرغ من القيام بواجبه نحو وطنه يستسلم للبطالة التى يراها ميزة الرجل الحر وحقه الطبيعى ، لأنه يحتقر الصناعة والتجارة وكل عمل يدوى ولا يهتم بالفلسفة والفنون الجميلة والآداب ، وإن كان يحفظ بعض الأشعار ويعرف طرفاً من الموسيقى .

ويحكى أن أسبرطيا علم وهو بأثينا أنه حكم على رجل بغرامة لبطالته ، فتعجب كثيراً وطلب أن يرى ذلك الرجل الحر الذى احتقر الصنائع اليدوية والأعمال الدينية التى إن أغنت المرء على زعمه حقرته .

وبعد واجب الإخلاص للوطن وافتدائه بالأرواح والمهج حتم احترام الشيخوخة وهذا أمر تدعو إليه الحال فى أسبرطة ، ذلك البلد الذى قضاته من الشيوخ وحفاظ قوانينه من الشيوخ والقائمون بتربية النشأ فيه من الشيوخ وأهله يعتقدون أن العمر الطويل هبة من الآلهة للقوم الصالحين ، فقد دخل شيخ فى دار تمثيل بأثينا يوم عيد ومر بين المقاعد هذا يدفعه وذاك يسخر منه حتى رآه نواب أسبرطيون ، فقاموا إجلالاً له وأجلسوه بينهم ، فقال الشيخ : « حقاً أن اليونانيين جميعهم يعرفون الفضيلة ، ولكن الأسبرطيين وحدهم يعملون بها » .

ومع ذلك لا يكلف الأسبرطى بمثل هذا الاحترام للشيخ الأعزب ، فقد قدم

على جمعية قائد من أكبر القواد وأشهرهم ، فلم يقف لمقدمه أحد الشبان ، فأظهر ذلك القائد دهشة عظيمة ، فقال له الشاب : « لا تعجب فليس لك ولد يؤدى لى ما أقوم لك به من الاحترام إذا ما صرتُ شيخاً » فلم يلمه أحد .

ولا تقل تربية البنات الأسبرطيات خشونة عن تربية الأولاد ، ولذلك كن صحيحات الأجسام سليمات البنية قويات العضلات ، عندهن إحساس الرجال نحو وطنهن المحبوب ، ولا ينقصن عنهم فى الشجاعة والإقدام ، فقد أخبرت أسبرطية بموت ابنها فى الحرب فقالت : « إنى ولدته فانياً » ، وقالت أخرى لابنها: إن سُمعتك سيئة فلتُمت هذه السمعة أو تمت .

وقالت ثالثة وهى تناول ابنها درقته : « عد بها أو محمولاً عليها » ، واشتكى شاب لأمه قصر سيفه ، فقالت له : « صله بخطوك » ، وعلمت خامسة بهرب ابنها فأسرعت للقائه وقتلته ، وقالت : « إن نهر أفروتاس لا يستقى منه الجبناء » وعلمت سادسة أن ابنها يأبى إلا أن يقف فى مكان خطر فقالت : « إن قتل فليقف أخوه مكانه » ، وأسرعت سابعة لاستقبال البريد وتنسم الأخبار فأعلمها أحد القادمين بموت أولادها الخمسة فى القتال ، فصاحت : « ما أتيت لهذا هل النصر لأسبرطة ؟ فأجيبت : نعم ، فقالت : هلموا بنا نقم الصلوات شكراً للآلهة » وهكذا من الأمور التى تفتخر بها الأمم فى بداوتها ولا تخلو واحدة من أمثالها .

ومما تقدم يعلم أن ليكورغوس أراد أن يضع الأسبرطيين حيث اقتضاه مركزهم ودعت إليه الظروف التى وجدوا فيها ، فجعلهم أمة حربية تمجد الشجاعة والإقدام وتمتهن الاشتغال بالعلوم والتجارة ، حتى لا يميلوا إلى الترف والرفة فتلين قلوبهم وترق طباعهم ، فيصبحوا الضعفاء وغيرهم القوى وهم وسط أعداء عديدين يتحينون الفرص للتخلص من نير استبدادهم وربقة استعبادهم .

وإذا قارنا قوانين سولون بقوانين ليكورغوس وجدنا أن **الأولى** : تخدم حقوق الأسرات وحرية الأفراد ، وتشجع على العمل ، وترغب فى الصناعة ، وتنشر التجارة ، وتحسن وفادة الأغراب ، لم تميز بين طبقة وأخرى إلا بما تقضى به حالة الجماعات فى كل الأمم ، فكانت حكومتها دستورية ديمقراطية .

أما الثانية : فكانت غايتها المساواة بين الأسبرطيين وحصر النفوذ بيدهم مع الأثرة الشديدة ، فصمت تلك القوانين عرى الأسرات بإبعادها الأولاد عن الآباء

والأمهات حتى قست القلوب واخشوشنت الطباع ، وصار الوطن كل شيء عند الأسبرطيين ، فكانت أسبرطة شديدة الحول عزيزة الجانب ، غير أنها لما سقطت لم تترك لها أثراً محموداً .

أما أثينا : فلما غُلب على دولتها غلبت حضارتها على كثير من أمم الشرق والغرب عدة أجيال .

* * *

(٤ - حروب ميسينى سنة ٧٤٣ - ٦٦٨)

الحرب الأولى سنة (٧٤٣ - ٧٢٤) : إن ليكورغوس بقوانينه حمل الأسبرطيين على مقاتلة الأمم المجاورة وفتح بلدانها ، ذلك لأن الأراضى التى يملكونها كانت محدودة وعدد أجزائها محصوراً ، وهى تنتقل من الأب إلى البكر من الأولاد ، فتضطر أخوته إلى البحث عن الأثراء خارج البلاد ، فكانت الحاجة ماسة إلى فتح ميسينيا ، فإنه لا يفصلها عن لاكونيا إلا جبل تايتوس ، والطامع فى البلاد لا يعدم وسيلة للتحرش بها وشن الغارة عليها ، وخلق مشاكل الحدود أقرب من حبل الوريد ، فكانوا طوراً يحتجون بخطف الماشية وطوراً بنهب المسافرين أو إهانة الرعايا الأسبرطيين ، ثم قطعوا المواصلات بين البلدين ، ونشبت من جراء ذلك بين الفريقين حرب عبوس دامت خمس قرن تقريباً أبلى فيها أريستوذيموس بلاء حسناً ، ثم قدم ابنته قرباناً للآلهة طلباً للفوز والانتصار ، كما نزل الوحى فكافأه الميسينيون بتنصيبه ملكاً عليهم سنة (٧٣١) مكان ابن عمه الذى أبى أن يقدم هذه الضحية ، والتجأ إلى أرض الأعداء قاوم ذلك القائد الأسبرطيين زمناً طويلاً ، وانتصر عليهم فى السهل والجبل ، ثم قتل نفسه لما نشب الطاعون أظفاره فى الميسينيين واضطرهم إلى تسليم قلعة أيثوموس [١] ، وحينئذ اقتسم الفاتحون البلاد وسخروا أهلها فى حرث الأرض وتقديم نصف غلتها كما فعلوا باللاكونيين .

الحرب الثانية سنة (٦٧٥ - ٦٦٨) : إن خضوع ميسينيا للأسبرطيين أفزع

---

(١) مكانها الآن قُركانو فى الشمال الغربى من مدينة ميسينى .

البلاد المجاورة لها ، وهى أركاذيا وأليذا والأرغوليد ، فاستنفروا الميسينيين وأنهضوهم لمناوأة متبوعيهم ، فقامت بين الأمتين الحرب الثانية سنة (٦٧٥) وبطلها أريستومِنوس الذى يشبه أريستموذيموس فى الشجاعة والإقدام ، فدوخ الأسبرطيين حتى اضطروا بعد سؤال الوحى إلى الاستنجاد بالأثينيين ليرسلوا لهم قائداً يرأس جيوشهم ، فأرسلوا إليهم تيرتيوس الشاعر استخفافاً بهم وتصغيراً لشأنهم ، لأنه كان أعرج قصير القامة غير أن المرء بأصغريه ، فإن تيرتيوس بأشعاره وخطبه الحماسية أضرم فى رءوس الأسبرطيين نار الحمية إلى أن حازوا النصر على أريستومنوس ، وألقوه حياً فى هاوية مع بعض الأسرى ، ولكنه نجا بعد ذلك وعاود عليهم الكرة مستعيناً بملك أركاذيا ، فخانه وتخلى عنه ، فحاز الأسبرطيون النصر التام باستيلائهم على قلعة أيرا [1] سنة (٦٦٨) ، وحينئذ تبدد شمل الميسينيين وأقلع بعضهم إلى صقلية ، حيث أسسوا مدينة أخرى باسم ميسينى، وقصد البعض الآخر جزيرة رودس .

ولما تم للأسبرطيين إخضاع ميسينى شرعوا فى لم شعثهم والإغارة على أركاذيا فهزموهم ، ولكن لم ينزعوا منهم أملاكهم ، وقد زادت هذه الانتصارات فى شهرة أسبرطة حتى هابتها جميع البلاد الأغريقية ، وأصبحت تحكم أربعة أخماس بيلوبونيسوس قبيل الحروب المادية .

* * *

(٥ – تحوير الحكومة فى أسبرطة)

لم يكن بأسبرطة فى زمن ليكورغوس نفوذ لغير الملوك ومجلس الشيوخ ، غير أن طائفة الأعيان طمعت فى الاستئثار بالسلطة ورغبت فى جعل الملوكية منصب شرف فقط ، فأثاروا الفتن فى البلاد أثناء حرب ميسينى الثانية ، وزادوا فى نفوذ القضاة الخمسة الذين أقيموا فى منتصف القرن الثامن ، أى بعد وضع قوانين ليكورغوس بنحو مائة وثلاثين سنة ، فبعد أن كان عملهم لا يتعدى السهر على الأمن فى المدينة صاروا الأعضاء الممتازين العاملين فى الحكومة ينظرون فى القضايا

---

(١) أيرا . جبل حصين فى ميسينيا شمال مدينة ميسينى حاصره الأسبرطيون إحدى عشرة سنة .

المدنية ويحاسبون القضاة على أعمالهم ويوقفون من يرتكب منهم شططاً ، ويحكمون عليه بالغرامة أو بالحبس ، ويجمعون الجيوش ويصدرون الأوامر للقواد ويعقدون المعاهدات ، وبلغ من نفوذهم فى زمن خيلون سنة (٥٦٠) أن يستحلفوا الملوك كل ثلاثة أشهر ويعلنوهم بالحضور أمام المحكمة .

وقد اتبع هذا النظام كثير من المدن الأخرى فى بلاد اليونان ، غير أنها لم تعمل به طويلاً بخلاف أسبرطة ، فقد حافظت عليه قروناً عدة .

* * *

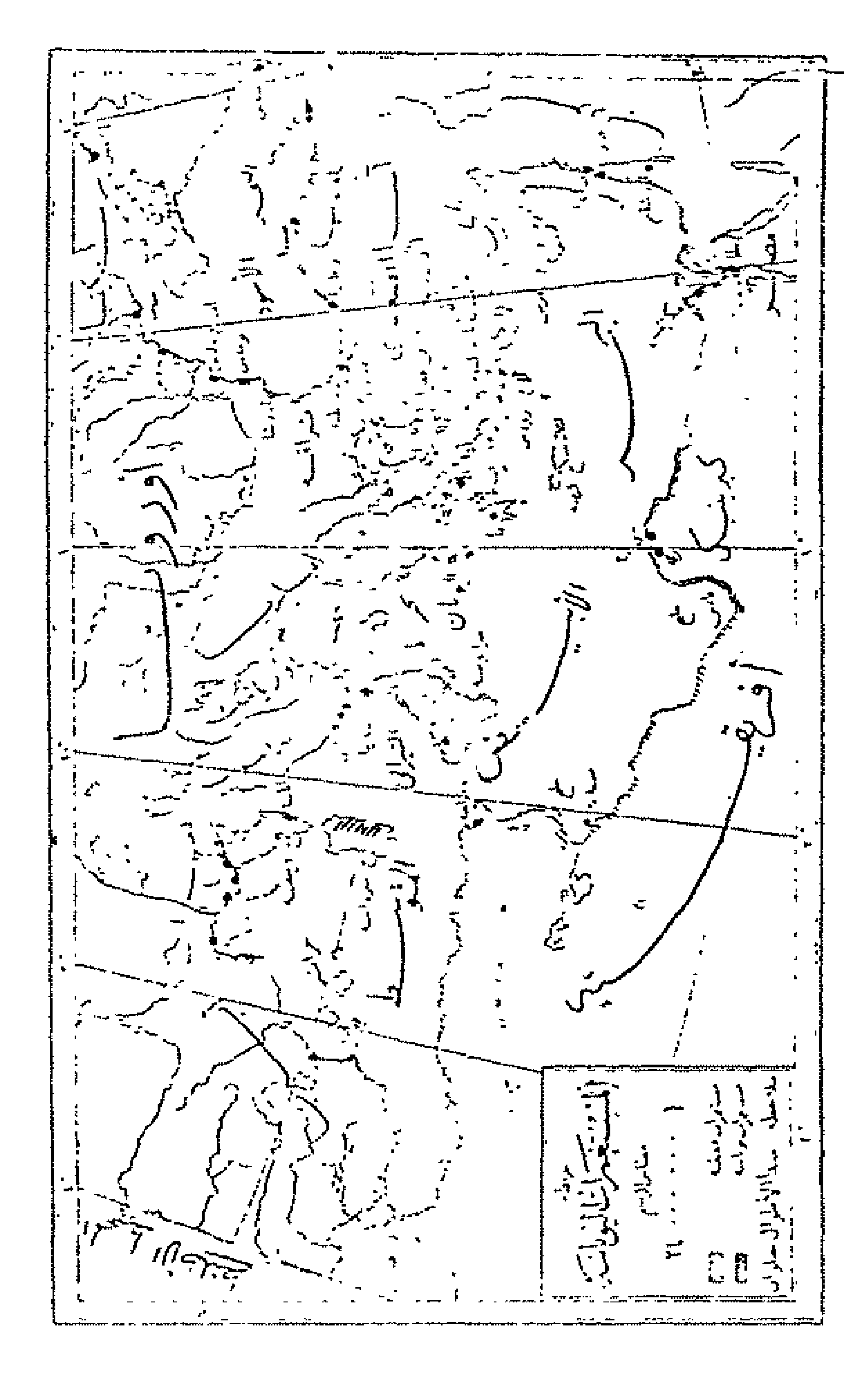
(٦ – الحكومات الأخرى فى بيلوبونيسوس)

لم يمتد نفوذ أسبرطة على السواحل الشرقية لبيلوبونيسوس ولا على الأرغوليد وبرزخ كورنثوس ، فقد كان فى هذه الجهات مدن قديمة لم تحذ حذو أسبرطة فى تقلباتها السياسية ، بل اقتفت فى ذلك أثر أثينا ، فكانت الحكومة فيها بادىء بدء ملوكية فأوليجرشية حلت محلها حكومة الزعماء ، ثم ديمقراطية .

ففى أرغوس تحالف فيذون ملكها مع جميع أعداء الأسبرطيين لاتقاء شرهم ونشر التجارة ، وشجع العلوم ، وضرب أول سكة يونانية فى مصانع أيجينا وهى دراهم فضية وزنها ستة جرامات ، ووضع مجموعة من المقاييس والمكاييل حورها سولون فيما بعد .

وفى كورنثوس بقيت الأوليجرشية نحو قرنين ، ثم تولى الأمر فيها زعماء كبيستراتُس نشروا ألوية الأمن على البلاد ، وساعدوا العلوم والمعارف وأنشأوا السفن ذات ثلاثة الصفوف من المجاذيف .

وفى ميغارا لم تدم الزعامة طويلاً وتحورت إلى ديمقراطية ، وبذلك اتحدت حكومات أكثر البلاد مع أثينا فى هذا النوع من الحكم الدستورى ، فتمهدت لهم طريق العمل متحدين فى الحروب المادية .



(خريطة المستعمرات اليونانية)

الباب السادس

المستعمرات اليونانية

● **ملخص تمهيدى :**

١ - **الغرض من الاستعمار وأسبابه** : أن ضيق أغريقية بسكانها حملهم على المهاجرة إلى أراض أخرى عرفوا أن وسائل الارتزاق فيها وافرة .

٢ - **المدن المستعمرة** [١] : هى التى تقدم أهلها فى الملاحة قبل القرن الثامن قبل الميلاد مثل كورنثوس وميغارا ومدائن أُقيا فى أغريقية وميليتوس وفقيا فى آسيا الصغرى .

٣ - **تاريخ استعمار اليونانيين ومناحيه** : يبتدئ من منتصف القرن الثامن سنة (٧٥٠) إلى نهاية القرن السابع سنة (٦٠٠) ، أى فى عصر الحكم الأرستقراطى ، ومنازلهم من جهة الشرق آسيا الصغرى وثراقة وسواحل البحر الأسود ، ومن جهة الغرب إيطاليا وصقلية وغالة [٢] .

٤ - **نتائج الاستعمار وعلاقة المستعمرات بأغريقية** : منافسة اليونانيين فى الخارج لإخوانهم فى بلادهم الأصلية ، ونبوغ كل منهما فى العلوم والفنون ، لأنهما كانا يعملان باستقلال تام ، بحيث كان لا يربطهما بعضهما ببعض إلا العلاقات الدينية .

*

لم يكن ببلاد اليونان فى القرن الخامس بلد أو حكومة تضارع أثينا أو أسبرطة أو بعض مدن أخرى عظيمة فى شبه جزيرة مورياس ، فإن ثيبة فى بيوثيا كان لها ماض مجيد فى أقاصيص مشهورة ، ولكن حكومتها كانت استبدادية ، ولذلك

---

(١) المدن المستعمرة هى التى نزح عنها بعض أهلها للاستعمار .

(٢) هى جنوب فرنسا الحالية ، وتسمى بلاد الغول ، وكانت تطلق أيضاً على شمال إيطاليا .

لم يكن لها فى التاريخ شأن فى ذلك العصر ولا بعده بزمن طويل ، وكانت ثساليا وهي أجمل أقسام أغريقية وأكثرها عمراناً يخربها معول الدمار الحروب والخصومات ، ولم يكن فى وسع الأعيان أن يقوموا برتق هذه الفتوق ، لأن الأمة كانت تهددهم من حين إلى آخر بإشهار الثورة عليهم ، وبذلك لم تكن ثساليا أيضاً ميداناً للعمل ، فحرم اليونانيون من استغلالها .

فكأن أغريقية الأصلية كانت قاصرة على الأتيكى وبيلوبونيسوس ، ولكن اليونانيين مدوا يد اجتهادهم إلى الخارج ، فأنشأوا أغريقية جديدة أكبر مسطحاً وأجود أرضاً وأعظم نشاطا ، وتناول استعمارهم نحو ثلاثة أرباع حوض البحر الأبيض المتوسط .

(١ - الغرض من الاستعمار وأسبابه)

إن سبب مهاجرة اليونانيين من بلادهم واستعمارهم جهات أخرى فى الخارج كان قاصراً على حالة الهيئة الاجتماعية والسياسية فى أغريقية الأصلية ، لأن جميع القوانين فى ذلك العصر (القرن السادس) وما قبله كانت تقدس حبس العقار على الأسرات ، ففى أسبرطة وكورنثوس وثيبة وفى أثينا نفسها كانت فكرة المشرع واحدة : « لا بيع ولا وصية ولا هبة » ، وكان هذا العقار صغيراً قليل الإيراد يكاد لا يقوم بحاجات رؤساء الأسرات وأقاربهم ، فاضطر كثير من اليونانيين إلى البحث عن أراض أخرى فيما وراء البحار .

وساعد على ذلك الاضطرابُ السائد فى المدن والمنازعات السياسية والاجتماعية التى كانت تلجأ المقهورين إلى المهاجرة من بلادهم فراراً من جور الظافرين وظلم المعتدين ، فكان عدد الفارين والمطرودين كثيراً جداً ، ومتى نضجت فكرة المهاجرة عند فئة من الناس لتأسيس مستعمرة جديدة قصدوا أحد المرافئ العظيمة ، واختاروا لهم زعيماً يرغب فى السفر طمعاً فى الرياسة أو اضطراراً للمهاجرة ويتعبؤون فى السفن ، حيث يقيمون طويلاً ، موطدين النفس على المشقة والفاقة ، فإن أغلبهم لا يحمل معه إلا الكفاف مدة السفر وبينهم من يرهن الحصة التى ستؤول إليه فى المستعمرة الجديدة ليجد ما يقتات به إلى أن يحط رحاله .

فإذا ما وصلوا إلى الجهة المقصودة يتخير الزعيم المكان اللائق ، وينزل الجميع إلى البر ويقدمون القرابين إلى الآلهة ، ويحددون المستعمرة ويقتسمونها فيما بينهم

بعد تخصيص جزء منها للمبانى اللازمة للميناء وأشغال الملاحة ومقر الحكومة ، ويطلق عليها اسم بطل أو إله ، فكانت تسمى هرقليا وأبولونيا وبوسيذنيا ، أو باسم بلد المستعمرين مثل كيمى وميغارا وميسينى .

* * *

(٢ - المدن المستعمرة)

لكل مدينة من مدن أغريقية نصيب فى هذه الحركة حركة الاستعمار ، غير أن بعضها برّز فيه على البعض الآخر وهو الأكثر عمراناً والأعظم اشتغالاً بالتجارة كمدن جزيرة أُفيا لوفرة وسائل الاستعمار فيها من وجود الراغبين فى المهاجرة والمدربين على الأسفار البحرية والسفن المعدة للسياحات ورؤسائها وبحارتها ونواتيها ، وهذه المدن وإن لم يكن لها شأن فى عصر اليونان الزاهر مثل كيمى وخلكيس وأرتريا كانت من القرن الثامن إلى القرن السابع من أكبر المدن المستعمرة وحسبنا دليلاً على ذلك المدن العديدة التى تسمت باسم مدينة كيمى مثلاً ، مع أنها لم يبق لها أثر فى القرن السادس ، وكذلك كان شأن مدينة كورنثوس وميغارا فى الاستعمار ، فإن منازلهما تجاورت وتزاحمت على سواحل ثراقة وصقلية .

أما أثينا فإنه لم يتسع نطاقها البحرى والسياسى إلا من عهد بيسِستْراتس - أى من القرن السادس - ، وكان شأنها فى بدء ذلك الاستعمار الأول ضعيفاً جداً .

* * *

(٣ - تاريخ استعمار اليونانيين ومناحيه)

ابتدئ الاستعمار لأول عهد الحكومة الأرستقراطية التى خضعت لها بلاد اليونان نحو مائتى سنة ، أى بعد سقوط حكومة الأفراد إلى قيام الحكومات الديمقراطية ، فكان شيوعه فى القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد خصوصاً فيما بين سنتى (٧٥٠ و ٦٠٠) .

ومهما يكن من الصعب تحديد طرفيه ، فإنه يمكن الجزم بأن اليونانيين من القرن الخامس قبل الميلاد لم يؤسسوا إلا نقطا حربية وسياسية لا تشبه المستعمرات الأولى فى وجه من الوجوه .

وأولى الجهات التى قصدها المهاجرون سواحل جزر الأرخبيل وسواحل آسيا

الصغرى ، وهذا أمر طبيعى لأن سكان هذه السواحل كانوا من اليونانيين أو من ذوى قرباهم ، ثم قصدوا ثراقة وهِلِّبُنْتُسْوس (سواحل الدردانيل) ، ثم البحر الأسود وبحر آزاق ، فكان ذلك نهاية استعمارهم من جهة الشرق .

أما من المغرب فقصدوا أولاً سواحل الجزائر اليونية ، ثم ما يقابلها من سواحل أيلريا ، وبتتبع السواحل وصلوا إلى أغريقية الكبرى ، وهى جنوب إيطاليا وصقلية وقُرسقة وغالة ، ثم إلى أسبانيا حتى أدركوا أعمدة هيراقليس .

ومن الجنوب على سواحل أفريقية لم يطأ اليونانيون غير أرض برقة ، لأن باقى السواحل كانت منازل للقرطاچيين ومستودعاً لتجارتهم ، وهؤلاء أقوام سبقوا اليونانيين بجملة قرون ، فلا يقبلون طبعاً منافسة أحد لهم فى تلك الجهات ، ومع ذلك لم يجتهد اليونانيون فى مزاحمتهم فى أفريقية ، ولكنهم تقابلوا فيما بعد اضطراراً وجهاً لوجه فى سردانية وصقلية .

ولنذكر الآن شيئاً عن المستعمرات الأغريقية :

١ - **المستعمرات الآسيوية** : نزل المستعمرون اليونانيون على سواحل آسيا زرافات حتى صار بحر الأرخبيل بين أغريقيتين ، ونشأت من القرن الثامن بسرعة مدهشة مدن كثيرة فاقت مدن بلاد اليونان فى الثروة والعمران مثل ميتيلينى وأترنوس (أتَرْنِفْس) وفُقْيا وكِيمى وأزْمير ومَغْنيسيا وميليتوس وخيوس وساموس وكوس وشبه جزيرة كينذوس وهاليكرناسوس .

٢ - **مستعمرات ثراقة وبحر مرمرة** : لليونانيين شمالى بحر الأرخبيل مستعمرات مهمة معظم الفضل فى تأسيسها عائد على مدينتى خلكيس وأرِتْريا من جزيرة أُقْيا ومدينة كورنثوس فى البرزخ الواقع بين الأتيكى وبيلوبونيسوس ، وتشمل هذه المستعمرات شبه جزيرة خَلْكيديكى ، ومن مدنها الشهيرة أُولَنْتوس وسواحل ثراقة لغاية خِرْسونيسوس ، وهى شبه الجزيرة الممتدة على بوغاز الدردانيل ، ثم جزيرة ثاسوس (طاشوز) وسامُثراكى .

وفى الجزء الضيق من الدردانيل البالغ عرضه سبعة كيلومترات فقط مدينتا سسْتوس وأَبِيذوس حارستا البوغاز .

وعلى بحر مرمرة جهة الجنوب في آسيا مدينة كيزيكوس [١] ، ثم مدينة بيزنطية وهى أجمل مدينة في الموقع على خليج عميق من بوغاز البوسفور في أوروبا أسسها أهل ميغارا سنة (٦٦٠) .

٣ - مستعمرات البحر الأسود : قبل أن تؤسس مدينة بيزنطية كان يونانيو ميليتوس اخترقوا بوغاز البوسفور ، وتعرفوا سواحل البحر الأسود ، ولما رأوا خصوبة الأرض ووفرة المحصول الذى يجنيه السكيثيون من سهول الروسيا الواسعة ، وفكروا فيما يعود عليهم من الفوائد الجمة إذا تبادلوا مع هذه الجهات مصنوعاتهم من المعادن والجلود والمنسوجات والحبوب استوطنوا سواحل البحر الأسود خصوصاً ما جاور مصبات الأنهار العظيمة ، فأقاموا أُدسا [٢] وتوميس [٣] وأيسترابوليس [٤] ، وثيروس [٥] ، وأُلْبيا [٦] ، ثم احتلوا شبه جزيرة القرم وتانايس [٧] على خليج دون ، ثم يلى هذه المستعمرات سواحل البحر الأسود القائمة عليها جبال القوقاز ، وهى بطبيعتها غير صالحة للاستعمار كثيراً ، ومع ذلك لم يغب عن اليونانيين فائدة نهر فاسيس [٨] الذى هو الطريق الطبيعية إلى قفقاسيا الشرقية ، ومنها إلى بحر الخزر والتركستان ، فاستعمروا مدينة فاسيس [٩] على سواحل كُلْشيس .

أما السواحل الجنوبية الصغرى فهى المكان الفسيح الذى رأى فيه أهل ميليتوس صلاحية عظيمة للاستعمار ، فاستوطنوه وأكثروا من عماريته منذ القرن الخامس ،

---

(١) على البرزخ الصغير الذى بين شبه الجزيرة المسماة بهذا الاسم وآسيا الصغرى .

(٢) ورنة الحالية فى بلغاريا .

(٣) تومسوار الحالية فى بلغاريا ايضاً على بعد ١٢٥ كيلومتراً من الجنوب الشرقى لسيلستريا .

(٤) يرجح أنها بُربنزا بالقرب من مصب نهر أيسترا المسمى الآن الدانوب أو الطونة .

(٥) على مصب نهر نيروس وهو دِنيسْتر الآن .

(٦) أرشا كوف الآن حسب دائرة المعارف الفرنسية .

(٧) كانت غربى آزوف الحاليه ، وقد وجدت آثارها فى ذلك المكان .

(٨) نهر فاسيس هو الآن نهر ريونى ، وكان القدماء يعتبرونه الحد الطبيعى بين آسيا وأوروبا فاصلاً بين أرمينيه فى الجنوب وكلشيس فى الشمال .

(٩) مكانها الآن بوتى .

فشيدوا سينوبى [١] سنة (٧٧٠ ق . م) ، ثم هرقليا وكيراسون وطرابزوس [٢] وكثيراً غيرها .

٤ - **مستعمرات المغرب - البحر اليونانى -** : إن استعمار اليونانيين للسواحل الغربية من البحر الأبيض المتوسط لاحق لاستعمارهم آسيا ، فإنه يبتدىء من منتصف القرن الثامن قبل الميلاد ، وقد مكثوا زمناً طويلاً محجمين عن الخروج من بحر الأرخبيل لا يخاطرون بأنفسهم فى السفر جنوبى بيلوبونيسوس ، وأول من أقدم على ذلك بحارو جزيرة أُقْيا ، ثم بحارو كورنثوس وميغارا ، استعمروا جميع سواحل البحر اليونانى ، فنشأت أغريقية الكبرى وهى إيطاليا الجنوبية التى من أشهر مدنها تاراس [٣] وميتابنتين وسيريس وسيفاريس ، ثم جاوز اليونانيون بوغاز خاريِفذِس [٤] ، وبنى عليه منفيوميسينى مدينتى ريغيوم وزنجلى المسماة أيضاً ميسينى ، وهما متقابلتان ومتشابهتان تماماً ، ثم عمروا خليج نيابوليس وأقاموا عليه كيمى ونيابوليس [٥] ، وبوسيذنيا وغيرها .

وأول من استوطن سواحل صقلية مهاجرو خلكيس ، وكان ذلك سنة (٧٣٥) وهى السنة التى أسست فيها مدينة نَكْسُس ، ثم اقتفت ميغارا أثر خلكيس فابتنت ميغارا وتبعتهما رودس ، فابتنت أكْراغُس .

أما أهل كورنثوس ، فأقاموا مدينة سيراقوسة سنة (٧٣٤) التى صارت أعظم مدينة فى الجزيرة ، ولم يتيسر لليونانيين أن يبتنوا غير هيميرة على السواحل الشمالية لصقلية ، وذلك لأن القرطاجيين كانوا نازلين فى بانُرْمة محصنين بها ، فلم يقبلوا أن يزاحموا فى تلك الجهات ، بل لم يتركوا لليونانيين منفذاً للوصول إلى سردانيا وقُرسْقة وإن كانوا توصلوا إلى تأسيس أَلليا فى هذه الجزيرة .

٥ - **مستعمرات غالة وأسبانيا** : لم يتعرف اليونانيون الطريق الموصلة لغالة

---

(١) هى سينوب حسب كتاب : « ممالك محروسة شاهانه يه مخصوص مكمل ومفصل أطلاس » .

(٢) هى طربزون حسب الكتاب التركى المذكور .

(٣) هى تارنتة .

(٤) هو بوغار ميسينى .

(٥) بمعنى المدينة الجديدة ، وهى نابولى ، والخليج سمى باسم المدينة .

وأسبانيا إلا فى سنة (٦٠٠) فأسس الفينيقيون مدينة مَسَّاليا [١] على شبه جزيرة عالية ذات مرفأ أمين ، ولم تلبث هذه المستعمرة أن جنت ثمرة حسن موقعها فابتنت لها منازل كثيرة على ساحل غالة : هرقليا ، وأنتيبوليس [٢] ، ونيكيا[٣] ، ومونوخن فى الشرق [٤] ، وأجاثوس [٥] ، ولفكاتة [٦] فى الغرب ، ولم يستعمر اليونانيون فى أسبانيا غير نقط لا أهمية لها ، ويقال : إنهم تخطوا أعمدة هيرقليس وأسسوا ترتسّوس فى خليج فيتس [٧] .

٦ - **مستعمرات أفريقية** : لم يسمح القرطاچيون أصلاً لأحد من الأجانب أن يستعمر شيئاً من سواحل أفريقية الشمالية الواقعة بين خليج قابس وبوغاز جبل طارق ، لأن تلك السواحل واقعة فى نطاق أملاكهم مباشرة ، ولم يكن الأمر كذلك بالنسبة لشبه جزيرة كيرينيكى [٨] ، فإنها أرض مرتفعة تفصلها الصحراء عن مصر شرقاً ، وعن تونس غرباً ، وأكثر التصاقاً بجزائر الأرخبيل وكريد منها بجارتيها فى أفريقية ، فأسس فيها الدوريون كيرينة [٩] سنة (٦٣٢) التى صارت فيما بعد مدينة يونانية صرفة ومهداً لحضارة عظيمة .

والأسباب التى أبعدت اليونانيين عن السواحل الشمالية الأفريقية التى يقطنها الفينيقيون هى نفس الأسباب التى أبعدتهم عن مصر ومصبات النيل ، حيث يقيم شعب أعرق فى الحضارة ومتمسك بحقوقه غيور على سلطانه ، غير أن اليونانيين انتهزوا فرصة المنازعات بين الأسرات المالكة ومدوا يد المساعدة لأمراء الدلتا وتعاهدوا معهم على شد أزرهم فى الحروب مع أخصامهم ، وبذلك حصلوا على إنشاء نِفْكراتيس [١٠] بمثابة مستودع عظيم لتجارتهم ، كانوا فيه أحراراً فى جميع

---

(١) مرسيليا . (٢) أنتيبة . (٣) موناكو .

(٤) توجد على بعد خمسة كيلو مترات من البحر ، و٥١ كيلومتراً من الجنوب الغربى لمدينة منبلييه .

(٦) قرية صغيرة على بعد ٣٣ كيلومراً من جنوب نربونة . (٧) نهر الوادى الكبير .

(٨) شبه جزيرة برقة . (٩) مدينة برقة .

(١٠) كان ذلك فى عهد أموزيس ، وهو أحمس الثانى من فراعنة الأسرة السادسة والعشرين ، ومحل نفكراتيس فوه على قول بعض ، وكوم نكراش على قول بعض آخر ، وبالقرب من دمنهور على قول المرحوم محمود باشا الفلكى .

أعمالهم التجارية ، وقد عثر على كتابة لهم منقوشة على أعمدة أبى سنبل [1] يقصون فيها تاريخ حروبهم مع بسامتيك الثالث سنة (٦٠٠) ، وهى أقدم كتابة يونانية أصلية عثر عليها إلى الآن .

* * *

(٤ - نتائج الاستعمار وعلاقة المستعمرات بأغريقية)

لما ضاقت أغريقية بأهلها ولم تنفسح أرضها لهمة بنيها تحول نظر فريق عظيم من زهرة شبانها إلى الاستعمار ، فاتسع ميدان العمل فى الداخل والخارج ، ونافست أغريقية الجديدة أغريقية القديمة وقطعت كل منهما فى سبيل العلم أشواطاً بعيدة فى زمن قريب .

فإذا نظرنا إلى الفلاسفة الذين تفتخر بهم أغريقية وجدنا أغلبهم من النابغين فى مستعمراتها فبتّاكوس من ميتيليني وفيثاغورَس من ساموس ، وثاليس (طاليس) من ميليتوس ، وأنكساغوراَس من كلازومينة ، وكذلك أعظم شعرائهم الأولين وأشهرهم فسافو من ميتيليني وسيمونيدِس من كيوس ، وأكبر المؤرخين وأقدمهم وأبعدهم صيتاً وأبقاهم ذكراً فهيرودوتس من هاليكرناسوس ، وهيكاتى من ميليتوس .

ولم يكن نبوغ المستعمرات فى الفنون والصنائع أقل منه فى العلوم والمعارف ، وقد ساعدها على جميع ذلك عملها باستقلال تام فى الداخل والخارج بدون أن يربطها بأغريقية الأصلية غير العلاقات الدينية والعادات القومية .

(ذكر من نبغ فى المستعمرات من الفلاسفة والحكماء)

(بتاكوس)

أحد حكماء اليونان السبعة [2] ، ولد فى ميتيليني نحو سنة (٦٥٢ ق . م) وتوفى فيها سنة (٥٦٩) ، وهو رجل حرب وسياسة وفلسفة ، قَتل فى مؤامرة زعيم ميتيليني ، وتولى قيادة الميتيلينيين فى حرب جرت لهم مع الأثينيين ، فانهزمت جيوشه أولاً ، ثم طلب إلى فرينون قائد جيش الأثينيين أن يحقن دماء

---

(١) شمالى وادى حلفا .

(٢) حكماء اليونان السبعة : خيلون ، بتاكوس ، سولون ، طاليس ، كليوفولس ، بريندرس ، ڤياس .

العسكر ويبرز إليه بنفسه ، فمن استظهر على قرنه كان لقومه النصر ، فرضى فرينون بذلك ، وكان من الأبطال المشهورين ، وبعد أن جال القائدان قليلاً فى ساحة النزال مد بتاكوس إلى خصمه شركاً كان قد خبأه وراء مجنة ، فوقع فيه فقتله ، ففرح الميتيلينيون بما أوتوا من النصر وقدموا لقائدهم من الهدايا ما لا يوصف ، فأخذ أرضاً بقدر رمية رمحه ورفض الباقى وجعلها معبداً فنسبت إليه بعد ذلك .

ثم تجدد الاضطراب بين الشعب والأعيان ، ونشب بين الفريقين القتال ، فانهزم الأعيان ونفوا من البلاد ، وانتخب الشعب بتاكوس أميراً لهم ، لأنه كان من حزبهم وقيدوه بشروط منها : أن يكون ثباته فى الإمارة موقوفاً على إرادة الأمة خلافاً للزعماء ، فنهج بتاكوس فى سياسته منهج الحكمة ، أما أعداؤه فقرفوه بالظلم وهجاه ألكيوس فى شعره هجوا شديداً .

وبعد أن تولى الإمارة من سنة (٥٨٩) إلى سنة (٥٧٩) تنازل عنها طلباً للراحة وتفرغ للفلسفة فبرع فيها ، وكان قد أتقن الشعر ونظم قصائد غراء وكتب خطباً بليغة .

ومن حكمه : « ينبغى للإنسان أن يدور مع الزمان وأن لا يضيع الفرصة » «للشرائع المقام الأول» ، « يجب على الرجل الحكيم أن يصبر على ما يطرأ عليه من الشدائد » ، « يصعب على الإنسان أن يسعد نفسه بنفسه » ، « من أحسن الأشياء صنع المعروف المعجل » ، « إذا أردت نجاح أمر ففكر فيه وحدك ، وإذا أردت فعل شىء فلا تكن بطيئاً » ، « النصر العظيم هو الذى يحصل دون سفك الدماء » ، « يلزم الملك إذا أراد ضبط مملكته أن يكون هو وخاصته وجنوده خاضعين للشرائع كأدنى الشعب » ، « لا تشمتوا بأحد لمكروه أصابه لئلا ينوبكم مثل ما نابه » ، « لا تتكلموا بسوء فى أحد وإن كان عدواً لكم » ، « احفظوا أصدقاءكم وداروهم فإنهم ربما انقلبوا أعداء » ، « عليكم بالعفة والزهد والصدق والتقوى » ، « احفظوا ما ائتمنتم عليه من الودائع والأمانات لتؤدوها إلى أهلها » « لا تبيحوا بالسر البتة » .

وكان بتاكوس قبيح الصورة وزوجته متعجرفة تفاخره بجمالها ونسبها ، وفى بعض الأيام أولم بتاكوس لجماعة من الفلاسفة ، فلما دنا وقت الأكل قلبت

زوجته المائدة بما عليها من الأطعمة فلم يغمه ذلك وقال للمدعوين : لا تلوموها فإنها مجنونة ، وكان قنوعاً لا يشرب مسكراً مع أن ذلك لم يكن محظوراً في ميتيليني، وفي أيام إمارته أمر بمضاعفة عقاب من يرتكب ذنباً حال سكره .

وسئل يوماً : أي شيء لا يفعله الإنسان إلا بمزيد التأني ؟ فقال : اقتراض الدراهم من الأصدقاء ، وسئل ما الذي يلزم في كل زمان ومكان ؟ فأجاب اغتنام الخير والصبر على الشر حين وقوعه ، وسئل ما أعظم الأشياء ؟ قال : الزمن . وما أخفاها ؟ قال : المستقبل ، وقال له فقيوس : أريد أن استشير رجلاً صالحاً في شيء في ضميري ، فقال : تريد ما لا يدرك .

(فيثاغورس)

فيلسوف ومشرع يوناني رفعه تلاميذه إلى مصاف الآلهة حتى صار ما قيل فيه من قبيل الخرافات المحضة كإطرائهم في جماله الباهر الذي يزيده بهاء شَعره الطويل وفخذه الذهبي ، وقولهم : إنه ابن أبولون ، رزق به من عذراء ، ومثل هذا ما قيل عن رحلاته في بلاد اليونان وآسيا الصغرى ومصر وكلديا والهند ، والأقرب إلى الصواب أنه فيما بين سنة (٥٤٠) وسنة (٥١٠) قبل الميلاد اشتهر يوناني من ساموس باسم فيثاغورس يرجع أصله إلى صور عرف معتقدات الكهنة المصريين ، وتشبع بالآراء الشرقية كتناسخ الأرواح ، واعتبار رؤساء الأمم نواباً عن الآلهة ، ثم أسس في كروتن جمعية أخوية بين سياسية ودينية وفلسفية عرفت باسم المجمع الفيثاغوري ، وكانت ترمي إلى القبض على مقاليد الحكم في أغريقية الكبرى (إيطاليا) ، ولكنه آنس جفاء من الكروتنيين ، فالتجأ إلى ميتابنتين ، حيث مات سنة (٥٠٠ ق . م) ، وينسب إليه جدول الضرب المشهور ، ونظرية المربع المنشأ على وتر المثلث القائم الزاوية ، واشتغل تلاميذه كثيراً بالحساب والهندسة والموسيقى وعلم الفلك ، فعاد اشتغالهم على تلك العلوم والفنون بالفوائد الجمة .

(ثالس)

هو طالس أو طاليس ، من أقدم من بلغنا خبرهم من فلاسفة اليونان ، وهو أحد حكمائهم السبعة ، قيل : إن أسرته فينيقية الأصل ، ولد في ميليتوس في نحو سنة (٦٣٦ ق . م) ، وتوفي نحو سنة (٥٤٦ ق . م) ، وأنه زار كريد

ومصر ، واطلع فيها على فن الهندسة ، وأكثر من التردد على فينيقية ، وتعرف بالكهنة المصريين وأخذ عنهم وقاس ارتفاع الهرم بالمقابلة بين ظله فى منتصف النهار وظل جسم آخر ، واكتشف بعض خصائص الدائرة والزوايا ، وقال بكروية الأرض ، وقسم الفلك إلى خمس مناطق وحكم بثبوت النجم القطبى إلى غير ذلك ، وزعموا أنه جعل السنة (٣٦٥ يوماً) ، وأنه أول من كان ينذر بالكسوف من اليونان قبل وقوعه، والراجح أنه لم يتمكن إلا من تعيين السنة التى يقع فيها.

ومن تعاليمه أن الرطوبة غذاء لسائر الموجودات حتى الحرارة فإنها تقوم بالرطوبة ، فذهب إلى أن الماء أصل الموجودات بأسرها ، وأنه بتقلب المادة الأصلية نشأت الكائنات على أنواعها ، فإذا ولد مولود أو مات موجود فلا يكون ذلك إلا نسبياً بالنظر إلى الظاهر ، إذ لا يخلق شيء جديد ولا يتلاشى ما مات فعلاً .

ومما ينسب إلى طاليس أنه ذهب إلى أن كل الموجودات حية حتى ما يتراءى لنا منها غير حى ، فهو حى ذو حركة ، ولا تبدو حركته إلا فى بعض الأجسام كالمغنطيس مثلاً ، فإنه يجذب الحديد والكهرباء إذا حكت جذبت الأجسام الخفيفة واتبع فلسفة طاليس كثيرون ، فأدخل بعضهم على مذهبه بعض التحوير دون أن يخرجوا عن مبدئه الأصلى العام ، وهو وحدة المادة الأصلية .

ومن حكمه : « لا تخبر أحداً بما يصح له اتخاذه وسيلة إلى الإضرار بك » ، « وكن مع أصدقائك كما لو كتب لهم أن ينقلبوا يوماً أعداء لك » ، ومنها « أن الله تعالى أقدم الكائنات لأنه لم يخلق » ، و« أكبر الأشياء الفضاء لأنه يحوى سائر الكائنات ، وأسرعها الفكر ، وأقواها الحاجة ، وأحكمها الوقت لأنه يعلم الحكمة ، وأشدها ثباتا الأمل فإنه يتبقى وحده للإنسان وقد خسر كل شيء ، وأفضلها الفضيلة » .

ومن أقواله : « إن أصعب شيء على الإنسان معرفة نفسه ، وأسهل الأشياء عليه أن يبذل لغيره النصح ، وأعذبها لديه نيل ما يتمنى ، وإن سعادة الجسم تتوقف على الصحة ، وسعادة العقل تتم بالاطلاع » .

على أنه لا دليل على ثبوت نسبة هذه الأقوال وأمثالها إليه .

(أنكساغورس)

فيلسوف يوناني ولد في كلازومينة نحو سنة (٥٠٠) ، وتوفي سنة (٤٢٨ ق. م) ، رغب في الفلسفة والتأمل عن المال والمناصب العالية ونبغ فيها ، وانتقل إلى أثينا سنة (٤٧٥) ، فاستوطنها وأنشأ فيها مدرسة شهيرة علم فيها مذهب طاليس ، وكان بين تلاميذه بريكليس مصلح أثينا ورئيس جمهوريتها في تلك الأيام ، ويقال : إن سقراط تتلمذ له أيضاً وتغذى بلبان معارفه .

واتفق في بعض الأيام إنه جئ بشاة إلى مكتب بريكليس وكان لها قرن في وسط جبهتها ، فقال بعض المنجمين : « إن هذا يدل على أن تفرق الأثينيين إلى عصبتين متباينتين سينقضي وتلتئم الفرقتان فتصيران فرقة واحدة » ، فقال أنكساغورس : « إن ما بالشاة إنما هو أمر خلقي لا يدل على شيء ، وسببه إن المخ لم يملأ جمجمة الرأس التي هي على شكل بيضة تنتهي بطرف مسنن في الموضع الذي ينبت منه القرن » ، وشرح لهم رأس الشاة علناً ، فوجد الأمر كما قال ، فحصلت له شهرة عظيمة وصار محترماً عندهم .

ويقال : إنه أول من أذاع الفلسفة في بلاد اليونان بطريقة صريحة جلية ، وفلسفته كلها مبنية على مبدأين اثنين : **أحدهما** : أنه لا يخرج شيء من العدم ، **والثاني** : أنه لا بد للعالم من علة منظمة ، فاستنتج من الأول أن العناصر المؤلفة منها الكائنات المتنوعة موجودة منذ الأزل ، واستنتج من الثاني وجود مبدأ روحي عاقل غير متناه ، رتب العناصر المختلطة واستخرج منها العالم على حالته الحاضرة، ولم يتمكن أنكساغورس من إدراك القوة الخالقة ، غير إنه أول من قال بالعقل المبدئ الطبيعة ، فكان مذهبه تمهيداً لمذهبي سقراط وأفلاطون من بعده .

وينسب إليه أيضاً أنه اشتغل بالرياضيات وعلم الطبيعة وعلم الهيئة ، وأنه أول من كشف سبب ضوء القمر وخسوفه وكسوف الشمس ، وألف في عقائده الفلسفية تآليف مفيدة فقدت كما فقد غيرها من الكتابات المعتبرة .

وكان يقول : لا فراغ في الجو ، وأن كل الأجسام تقبل القسمة إلى ما لا نهاية، وأن كل جسم مركب من أجزاء صغيرة متجانسة ، وأن الشمس قطعة من حديد ملتهبة جرمها أكبر من جميع بلاد مورياس ، وأن الرياح تهب عندما يقل الهواء بحرارة الشمس ، وأن الرعد ينشأ من تلاطم السحاب ومصادمة بعضه

بعضاً ، وأن البرق ينشأ عن تماس السحاب فقط ، وأن سبب تزلزل الأرض تحرك الهواء المخزون بمغائر تحتها ، وأن سبب فيضان النيل ثلج فى بعض بلاد الحبشة يذوب فى أوقات معينة ، فيسيل منه ماء كثير يجتمع فى مجرى ذلك النهر .

وسئل يوماً عن أسعد الناس ؟ فقال : إنه ليس من الذين تظنونهم سعداء ، ولكن من الذين تظنونهم تعساء ، وسمع يوماً رجلاً يشكو الموت غريباً ، قال له: ليس فى الدنيا مكان إلا وبه طريق إلى بطن الأرض .

وأخبر بموت ابنه فلم يبال بذلك ، وقال : إنه ولد فانياً وسار إليه ودفنه بيده .

غير أن مذهبه جعل له أعداء كثيرين وكفره بآلهة بلاده جلب عليه غضب رجال الدولة ، فسيق إلى المحاكمة وحكم عليه بالقتل ، فتوسط بريكليس فى الأمر وبدل قصاصه بالنفى ، فسار إلى هللسبندس وتوفى بعد بضع سنين فى فقر مدقع، وقبل وفاته أرسل إليه مجلس الأعيان يسأله عما يحب أن يصنع تذكاراً له بعد وفاته ؟ قال : فليكن للصبيان عيد فى مثل يوم وفاتى ، فأجيب إلى ذلك ، وكان العيد المذكور يعرف بأنكساغوريا ، وقد حافظ عليه اليونان قروناً عديدة .

(سافو)

شاعرة يونانية من ميتيلينى ، عاشت بين سنتى (٦٢٧ و ٥٧٠) ، ضرب بها المثل فى رقة الشعر النسائى وخلابته ، غير إنه يتعسر الآن تحقق هذه الإشاعة عنها لفقد أكثر آثارها ، قيل : إنها كانت باهرة فى الجمال تبحث شاباً يدعى فاون قد شغفها حباً ، ولكنه زهد فيها فملكها اليأس وألقت بنفسها من على صخر لفكاس، وقيل : إنها ماتت ودفنت فى وطنها ، وينسب إليها نشيد فى الزهرة (الكوكب) باق إلى الآن ومنقول إلى جملة لغات .

(سيمونيدس)

شاعر يونانى ولد فى بوليس فى جزيرة كبوس نحو عام (٥٥٦ ق . م) ، وتوفى فى سيراقوسة سنة (٤٦٧) ، قيل : كانت أسرته من خدمة هيكل باخوس (إله الخمر) ، أتى أثينا وبقى بها حتى بلغ الثمانين من عمره ، وقضى آخر حياته فى صقلية فى بلاط هيرون السيراقوسى ، نسبه بنداروس الشاعر إلى البخل ، لأنه أول من كتب الشعر وباع أشعاره ، وكان من أعظم شعراء اليونان،

نظم كثيراً من الشعر ، ولم يبق منه سوى قطع قليلة أهمها رثاء ذا نائى وأهجوة فى النساء .

(هيرودوتُس)

هيرودوتس الملقب بأبى التاريخ ، ولد بمدينة هاليكرناسوس سنة (٤٨٤ ق . م) ، وخرج من موطنه فراراً من ظلم لِغدامس الثانى حاكم المدينة من قبل الفرس وساح منذ شبوبيته كثيراً فى بلاد اليونان ومصر وآسيا ليتعرف أخبار الشعوب المختلفة ويقف على عاداتهم ، ثم عاد إلى مسقط رأسه ، واشترك فى خلع لغدامس وطرده ، وقصد إيطاليا حيث شرع فى عمل تاريخه المشهور مما جمعه فى سياحاته ، وقرأ بعضاً منه فى حفلة الألعاب الأولمبية ، فأقبل الناس على سماعه وأعجبوا بعمله ، ويقال : قرأ الكتاب كله فى أحد المواسم ، فكافأه الأثينيون من عملتهم بما يعادل ٢١٦٠ جنيهاً مصرياً تقريباً ، ثم مات سنة (٤٠٦ ق . م) .

وتاريخه تسعة أجزاء تكلم فيها على الحروب المادية كموضوع أصلى ، وعلى تاريخ الفرس والماديين والمصريين وغيرهم كمقدمات ومواضيع ثانوية .

وكان هيرودوتس سريع التصديق إذا نقل عن الغير ، محباً للغريب من أساطير الأولين ، دقيقاً إذا وصف ، صادقاً إذا حدث ، وهاتان الصفتان الأخيرتان يشهد له بهما السياحون فى كتاباتهم والأثريون فى أبحاثهم .

أما إنشاؤه : فكان حسن المعنى جميل المبنى ، يلذ القارىء ويطرب السامع ، وإقراراً بفضل ذلك الكتاب سماه اليونانيون « موسى » (بأمالة) باسم الملكات التسع للعلوم والفنون إشارة إلى عدد أجزائه .

(هيكاتى)

كاتب مؤرخ ، ولد فى ميليتوس سنة (٥٤٦ ق . م) ، له ضلع فى ثورة اليونانيين ضد الفرس سنة (٥٠٣) ، ولحبوط عمله فى تلك الثورة ترك مسقط رأسه وساح كثيراً فى آسيا وأغريقية ليستجمع المعلومات الكافية لكتاباته ، وهو من أقدم من كتبوا التاريخ نثراً ، فقد وضع مؤلفاً فى الأنساب إلى عصور الأبطال ورسالة فى علم الجغرافية محلاة بالخرطات والرسوم .

* * *

(ذكر من بقى من حكماء اليونان السبعة)

(خيلون)

أحد الحكماء السبعة ، اشتهر فى القرن السادس قبل الميلاد ، وانتخب من قضاة أسبرطة الخمسة (أيفورى) على قول بعض ، وأنشأ ذلك النظام فى القضاء على قول بعض آخر ، والثابت أنه زاد فى سلطة القضاة باغتصابه كثيراً من حقوق الملكية ، ويقال : إنه مات من فرط الفرح حينما عانق ابنه وهو حامل التاج الذى حصل عليه فى الألعاب الأولمبية ، ومن كتاباته الشهيرة مرثية وكتاب لبريندروس ، وينسب إليه بعض حكم أدبية وعظات أخلاقية .

(برِيَنْدُروس)

زعيم كورنثوس وأحد الحكماء السبعة ، حكم من سنة (٦٢٥) إلى سنة (٥٨٥) ، وسار على سياسة أبيه فى قلب الحكومة الأرستقراطية إلى حكومة ديمقراطية ، وجذب الناس لمحبته بسيره الرشيد وسلوكه القويم ، وشجع التجارة وساعد الفنون ، وقام ببعض حروب كان النصر فيها حليفه ، واستولى على جزيرة كُركيرا ، وينسب إليه مشروع حفر برزخ كورنثوس ، وبالرغم من اشتهاره بالعلم والحكمة ، كان شكس الخلق غليظ الكبد ، فقد قتل زوجته رفساً ، ونفى ابنه ليكفْرون إلى كركيرا لحزنه على موت أمه ، وفى آخر أيامه استدعاه ليشركه معه فى الحكم ، فقال له : لا يجمعنى بلد قط مع قاتل أمى ، فعهد إليه بالأمر من بعده ، وسمح له بالإقامة فى كركيرا ، غير أن سكان تلك الجزيرة لم يمهلوه حتى يؤول إليه الحكم ، بل فتكوا به فى حياة أبيه ، فعاش بريندروس بعد ذلك كاسف البال إلى أن مات حزناً ، وخلف من الحكم الغالية والأفكار الصائبة ما أبقى ذكره إلى اليوم .

(كليوفولس)

أحد الحكماء السبعة ، ولد سنة (٦٣٠ ق . م) فى مدينة لنذوس بجزيرة رودس ، وزار مصر وتجول فيها ، ثم عاد إلى بلاده وتسلم مقاليد الملك مكان أبيه المتوفى ، ومات سنة (٥٦٠ ق . م) ، وينسب إليه بعض أناشيد وألغاز ، قيل : إنها بلغت (٣٠٠٠) .

ومن حكمه : « اصنع المعروف مع أحبابك يزدد تعلقهم بك ومع أعدائك تكسب مودتهم » .

(فياس)

فيلسوف يونانى وأحد الحكماء السبعة ، ولد فى بريئينى [1] نحو سنة (٥٧٠ ق . م) ، ودرس الشريعة فى وطنه درساً خصوصياً وتفرغ للمحاماة عن دعاوى أصدقائه ، قيل : إنه لم يحام قط عن دعوى ليس فيها وجه حق ، ولما أخذ كورش [2] مدينة بريئينى حمل أهلها عند انهزامهم كل ما قدروا عليه من الأشياء الثمينة إلا فِياس ، فسئل عن ذلك فقال : « إنى أحمل معى كل شىء » ، وكان لا يأخذ أجرة عن الدعاوى التى يحامى عنها .

ومات وهو مشتغل فى إحدى القضايا فى المحكمة .

وقد تقدم فى السن فاحتفل أهل وطنه بجنازته احتفالاً جليلاً ، ونظم فِياس قصيدة عدد أبياتها ألفان ، وله حِكَم غاية فى الدقة والفطنة .

* * *

---

(١) مدينة فى آسيا الصغرى من يونيا تجاه جزيرة ساموس بين جبل ميكالى ومصب نهر ميندروس على ساحل البحر وآثار أطلالها باقية إلى الآن بالقرب من قرية صامسون التركية فى الشمال الغربى منها .

(٢) هو كَيْخُسْرَو بالفارسية ، واشتهر بالعبرانية فى التوراة باسم قورش ، وهذا ما حققه لى العالم الاجتماعى رعيم الدولة الدكتور ميرزا محمد بك مهدى خان رئيس الحكماء الإيرانى الأذربيجانى التبريزى ، نزيل مصر - القاهرة الآن - كما تفضل علىّ أيضاً بضبط الأعلام الفارسية المذكورة فى هذا الكتاب .

الباب السابع

الحروب المادية سنة (٤٩٠) إلى سنة (٤٤٩ ق . م)

● **ملخص تمهيدى :**

١ – **أسباب الحروب المادية** : الحروب المادية هى النتيجة الطبيعية للفتوح المتوالية التى قامت بها الدولة الفارسية ، فإن آسيا لم تتسع لها من جهة الشرق، فولت شطرها إلى الغرب وأخضعت جميع آسيا الصغرى ، وقامت بعد قليل من الزمن جملة حوادث عجلت هجوم الفرس على بلاد اليونان ، وأهم هذه الحوادث إرسال الأثينيين مدداً للمستعمرات اليونانية الأسيوية ميليتوس وفُقيا وغيرهما عند ما قامت بالثورة ضد متبوعيهم (الفرس) .

٢ – **الحرب المادية الأولى سنة (٤٩٠)** : همّ فيها الفرس بالاستيلاء على أثينا بمساعدة الخائن هيبياس اليونانى الذى تقدم ذكره ، وتقابل الأثينيون عند ماراثون مع فريق من جيش الفرس كان صعد إلى البر ، فولى هؤلاء الأدبار بعد أن تركوا فى ميدان القتال (٦٠٠٠) جثة بينها جثة هيبياس ، وبطل هذه الواقعة من اليونانيين ملتيادس ، وكان ذلك فى عهد دارا ملك الفرس .

٣ – **الحرب المادية الثانية سنة (٤٨٠)** : حصلت فيها ثلاث وقائع شهيرة : وهى وقعة الترموبيلة ، ووقعة سلاميس ، ووقعة بلاتيه ، وسببها : أن كرسيوز بن دارا وجه حملة عظيمة منظمة ضد أغريقية كلها سنة (٤٨٠) ، فانتصر أولاً الفرس فى وقعة الترموبيلة على ليونيداس الأسبرطى رغم استماتته فى الدفاع عن وطنه ، وأشعلوا النيران فى أثينا ووصلوا إلى برزخ كورنثوس ، غير أن ثيمبستُكلبس الأثينى انتصر عليهم بحراً فى جزيرة سلاميس ، وبَفْساتِيَسْ ملك الأسبرطيين براً فى بلاتيه ، فخلصت بذلك أغريقية الأصلية .

٤ – **الحرب المادية الثالثة سنة (٤٤٩)** : بعد أن كان اليونانيون مدافعين انقلبوا عقب انتصاراتهم مهاجمين وطردوا الفرس بفضل قوة أساطيلهم المتحدة من جزر بحر الأرخبيل تحت قيادة كيمون بن ملتيادس حتى اضطر أردشير درازدست إلى

عقد معاهدة اعترف فيها باستقلال المستعمرات اليونانية الأسيوية ، وبعدم إرسال سفن حربية إلى بحر أيجيون .

٥ - **نتيجة الحروب المادية** : تفوق أثينا على أسبرطة فى الوقائع البحرية - انسلاخ أسبرطة من التحالف اليونانى بعد سنة (٤٧٨ ق . م) لتخوفها من استبداد ملوكها إذا تسلموا قيادة الجيوش زمناً طويلاً ، ولتذمر المتحالفين من سلوك بَفسانِيس ملكها الذى ظهر تمالؤه مع الفرس ضد اليونان التفاف يونان آسيا حول أثينا وقبول رياستها عليهم .

❋

(١ - أسباب الحروب المادية)

مكث اليونانيون فى أغريقية الأصلية وفى المستعمرات الأسيوية زمناً طويلاً يعملون فى بلادهم باستقلال تام لا يتوقعون من أمم آسيا الصغرى اعتداء ، ولا يخشون لهم بأساً ، ذلك لأن تلك الأمم كانت متخاصمة متعادية فى شغل شاغل بنفسها عما سواها ، ثم تغيرت الحال وتبدلت الأمور بعد سقوط مملكة ميديا فى يد الفرس فى عهد كَيخُسْرَو [١] من الأسرة الكيانية الذى شرع بعد ذلك فى إخضاع الممالك الأسيوية الغربية حتى وصل إلى سواحل البحر الأبيض المتوسط ، فإنه استولى أولاً على مملكة ليذيا التى يطرى اليونانيون ثروتها ويكبرون سعادة أهلها لكثرة ما توارد منها على أغريقية من ذهب وفضة ، ثم تقدم إلى الغرب وأخضع المستعمرات اليونانية ميليتوس وفقيا وأزمير وهاليكرناسوس بالرغم من رسائل الاستعطاف العديدة التى أرسلتها إليه أسبرطة وأثينا .

وبهذه الفتوح تاخمت الدولة الفارسية بحر الأرخبيل وبوغاز هللسبندس ، ولما كانت صحراوات بقطريانة [٢] وجبال الهند تحول بين الفرس وبين التوغل جهة الشرق لم يجدوا بدأ من مهاجمة اليونان فى الغرب والمصريين فى الجنوب الغربى

---

(١) كى من كيخسرو لفظ يضاف إلى أسماء الملوك الفاتحين من الفرس من الأسرة الكيانية لبلاد أخرى ، ومعناه يقابل معنى امبراطور الآن ، والذى يضاف إلى اسمه هذا اللفظ يقال له بالفارسية : شاهنشاه ، وبالعربية : ملك الملوك .

(٢) التركستان الآن .

وكذلك فعل الترك لما تملكوا آسيا الصغرى ، فإنهم أغاروا على ثراقة وأغريقية فى القرن الخامس عشر بعد الميلاد .

ولما مات كيخُسْرو لم يأل خلفاؤه جهداً فى تنفيذ خطته الجديدة ، فقد سير كاوس [١] حملة على أفريقية وأخضع مصر ، وبعد قمع الفتن التى قامت عقب موته وخلع سمردس الكذاب [٢] عاد الحكم للأسرة الكيانية وجلس على سرير الملك دارا [٣] بن كشتاسب [٤] ، فعبر البوسفور وأخضع بلاد ثراقة إلى نهر الدانوب وتخطاه إلى سهول السيكيثيين الواقعة فيما وراء ذلك النهر ، ولكنه كاد يفقد جيشه فى بلاد غير مأهولة كلها صحار مترامية الأطراف ، فعزم على أن يعوض ما لحقه من الخسارة فى تلك الجهة بفتح مقذنيا وجزائر بحر الأرخبيل ، وقد نفذ تماماً ما تصدى له من سنة (٤٩٥) إلى سنة (٤٩٠) ، فلا ينتظر بعد ذلك إلا التحام الجيشين اليونانى والفارسى فى حروب تشيب من هولها الولدان ، وقد دامت هذه الحروب نيفاً وأربعين سنة ظهر فيها فضل المدنية على الهمجية والحرية على الاستبداد ، فكان فى طرف منها قوم قليل عددهم يدافعون عن استقلال بلادهم بوطنية صادقة وعزيمة لا تفل ، ويبذلون النفس والنفيس فى حماية ذمارهم ، وفى الطرف الآخر جموع محشودة من شعوب مختلفة مغتصبة بلادهم مسلوبة حريتهم يسيرهم ملك مستبد ويسوقهم بالسياط إلى القتال .

وقد عرضت ظروف ثانوية عجلت تلك الحروب يعدها بعض المؤرخين السبب الأصلى فى انتشابها ، فقامت يونيا وخصوصاً ميليتوس فى وجه دارا شاقة عصا الطاعة سنة (٤٩٥) ، وأعلن الأثينيون تحيزهم إليها بإرسالهم سفناً حربية إمداداً لها ، وصعدت إلى البر فئة منهم أشعلت النيران فى مدينة سرديس عاصمة ليذيا ، فعد الفرس ذلك إهانة لا تغسل إلا بدم الأثينيين .

---

(١) معروف بكيكاوس ، ويوجد جملة ملوك بهذا الاسم من الملوك الماديين وملوك فارس وأما قمبيز فهو معرب عن اليونانية .

(٢) هو بردية .

(٣) دارا أو داريوش : لقب لبعض الملوك الفاتحين من الأسرة الكيانية من أسرات الفرس المالكة ، كما أن كسرى لقب لبعض الملوك الفاتحين من الفرس من الأسرة الساسانية الأخيرة مثل كسرى أنوشيروان ، وكسرى أبرويز وأصله : خسرو .

(٤) هكذا يكتب بالفارسيه ولكنه ينطق جُشْتاسب .

وكان فى حاشية الملك بمدينة سوس [1] بعض اليونانيين المطرودين من رؤساء الأحزاب يحسنون لدارا فتح أغريقية ويسهلون له الإغارة عليها ، فكان هيبياس ونفر من آل بيسستراتس يرشدونه إلى طريقة الدخول فى الأتيكى عن طريق البحر وديماراتس الذى كان أحد ملوك أسبرطة ، وعزله القضاة بحجة أنه ليس من الأسرة المالكة يصف لها الشقاق السائد فى شبه جزيرة بيلوبونيسوس ، فقويت عزيمة دارا فى فتوحه جهة الغرب بعد احتلال جزائر كيكلادس وقسم الأتيكى .

* * *

(٢ – الحرب المادية الأولى سنة ٤٩٠)

عُهد بأمر هذه الحملة مردونيوس [2] صهر دارا ، وكان لهيبياس اليونانى الخائن الذى صحبه فيها صوت مسموع فى حركاتها الحربية ، فإن الفرس بعد أن استولوا على جزائر بحر الأرخبيل بمجرد طوافهم بها وجهوا سفنهم إلى سواحل الأتيكى واختاروا خليج ماراثون للصعود منه إلى البر ، وهو نفس المكان الذى نزل منه آل بيسسْتراتُس قبل هذه الوقعة بخمسين سنة حينما استردوا الحكم لأنفسهم فى أثينا .

ويقول هيرودوتس : إنهم أنزلوا فى الحال مشاتهم وفرسانهم ، وانتظروا هجوم الأثينيين عليهم ، وكان جيش أثينا عشرة آلاف من الجند من كل قبيلة من قبائلهم ألف ، ولم يكن بينهم من رأى الفرس وشهد حروبهم غير ملتيادس أحد القواد العشرة ، فإنه كان ملكاً على الثراقيين فى خرسونسوس ، ورأى حملتهم الأولى فى الشمال عند نهر الدانوب ، وهو من أصل أثينى خرجت أسرته من البلاد فراراً من اضطهاد آل بيسسْتراتُس .

وكانت سنة الأثينيين فى الحروب أن يتأمر القواد الجيش بالتناوب ، فانتظر ملتيادس حتى كان دوره ، وحينذاك قرر الهجوم على جيش الأعداء الذى كان (١١٠٠٠٠) أو يزيد .

---

(١) بالقرب من مدينة « شوشتر » عاصمة ولاية « خورستان » الواقعة فى القسم الجنوبى من إيران على سواحل الخليج الفارسى ومشهورة عند العرب باسم « تستر » التى منها الشيخ عبد الله التسترى الصوفى الشهير .

(٢) يشترك فى هذا الاسم كثير من ملوك الأرمن

ولم يلب نداء الأثينيين بإرسال النجدات غير بلاتيه وأسبرطة ، فقد أرسلت لهم الأولى ألفاً من خيرة أبنائها ، وبهم بلغ الجيش اليونانى (١١٠٠٠) ، أما الثانية فتأخرت نجدتها بسبب خسوف القمر الذى كان علامة شؤم فى نظر القدماء فحمل الأثينيون والبلاتيون والرماح بأيديهم على الأعداء بخفة مدهشة لم يعهدها هؤلاء من قبل ، فأنثنت الفرس إلى الوراء وأسرعوا إلى سفنهم التى اجتهد الأثينيون كثيراً فى إمساكها حتى أن كينيجيرُس أخا الشاعر أسخِليوس قطعت يداه الواحدة بعد الأخرى ، وهو يحاول حجز واحدة منها .

ويظهر أن الغرض من هذا الإسراع فى الهرب من أول صدمة إنما كان للإقلاع إلى أثينا وهى خالية من أهلها ، غير أن ملتيادس علم بقصدهم وحث السير بجنوده نحو المدينة ، ولولا ذلك لكانت طعمة سائغة للأعداء ، ولما عرف مَرْدُونَ خيبة مسعاه قذف بسفنه فى عرض البحر وعدل عن الحملة على أثينا .

وبعد هذا النصر المبين شرع ملتيادس فى تأديب جزائر كيكلادس لاستسلامهم إلى الفرس ، ولكنه خذل فى جزيرة باروس واتهم بالخيانة ، فحكم عليه بغرامة فادحة لم يقدر على وفائها ، ومات بعد ذلك بأيام قلائل عقب جرح خطير ، وقيل : إنه حكم عليه بالسجن حتى أسلم الروح كأحد المجرمين ، غير أن التاريخ الصحيح ينكر هذه الحادثة ويلوم الأثينيين على عدم غفرانهم انهزامه فى باروس فى مقابلة ظفره بالفرس فى ماراثون وتخليصه البلاد مما كان يتهددها من الخراب العاجل .

وبالرغم من ذلك اتخذ له فيما بعد جدث فى سهل ماراثون بجانب قبور الأثينيين الذين ذهبوا فداء وطنهم المحبوب ، وبقى اسمه خالداً إلى الآن يذكر مقروناً بالتعظيم والتكريم ، وأقيم على تلك القبور أعمدة بقدر عدد القبائل العشر ونقش على كل منها أسماء (١٩٢) بطلاً ، ونال البلاتيين مثل هذا الشرف وجعلت لهم مقبرة خاصة بموتاهم ، وصار يدعى لهم وقت تقديم القرابين وإقامة الصلوات .

* * *

(الحرب المادية الثانية سنة ٤٨٠)

إن خذلان الفرس سنة (٤٩٠) لم يثن عزيمة أولياء الأمر فى سوس ، ولم يحل بين دارا ومعاودته الكرة على اليونانيين غير الموت الذى عاجله قبل تنفيذ مشروعه ، فآل الحكم لابنه كَرْسيوز الذى كان أبعد الناس عن سياسة السلم والسكينة ، ولم يكن أمير من الأسرة الكيانية أكثر اعتقاداً منه فى قوة دولته وشدة بأسها ، أضف إلى ذلك أنه كان عدواً لليونانيين خصوصاً الأثينيين منهم لا يستشير أحداً من محبى السلم ، ولا يسمع منهم نصيحة ، فقد قال لعمه أرتيان : « أنت عمى ، ولولا هذه الصلة لحاق بك عذابى لجرأتك على التكلم معى فى هذا الصدد ، ومع ذلك سألحق بك العار أيها الرجل العديم الحمية الفاقد الروح بحرمانك من مصاحبتى إلى اليونان ، وبتركك تجلس مع نساء سوس ، وأنا بدون مشاركتك أقوم بجميع ما رسمته ولا أكون من الأسرة الكيانية إذا عدلت عن معاقبة الأثينيين » .

ولقد طاوع هيرودوتُس هواه فى وصف الجيش الذى ساقه كرسيوز إلى أغريقية بما يخرج عن طوق الاحتمال ، فقال : إن الجيش العامل كان ١٧٠٠٠٠٠ عدا الفرسان والجنود البحرية والخدم والأتباع ، وبهذا الاعتبار يكون قد دخل بلاد اليونان ثلاثة ملايين من الفرس ، مع أن تساليا وهى أوسع سهول أغريقية وأكثرها خصباً لا تحتمل ربع هذا العدد ، ولا تكفى لحاجاته .

والحقيقة أن كرسيوز عنى كثيراً بهذه الحملة ، ومكث خمس سنوات يعد لها عدتها ، وأعلن أمرها لجميع رعاياه على اختلاف أجناسهم ، وذهبت به الثقة بقوته أنه قال ساخراً لديماراتس : « هل يجرأ الأثينيون على القتال ؟ » .

فأجابه الأسبرطى : « إن اليونانيين لقوم يخشى بأسهم ويهاب جانبهم ، فلا تنظر لقلة عددهم – إن الأسبرطيين وحدهم وإن كانوا ألفاً أو أقل من ألف ينتظرون مقدمك بجنان ثابت وجأش رابط ، فإنهم يطيعون سلطاناً قادراً يأمرهم بالموت أو الظفر– ذلك السلطان هو القانون » .

(طريق كرسيوز إلى الثرموبيلة)

جرت عادة الفرس فى حملاتهم لفتح بلد من البلدان أن يرسل كل عامل من عمال الولايات جنداً يجمعهم من ولايته ، وكذلك كان شأنهم فى فتح مصر

والهند ، وكذلك فعلوا فى حملتهم هذه على أغريقية ، فكانت فرق جيشهم متباينة فى النظام والسلاح واللغة ، فمنهم المصريون ، والفينيقيون ، ويونانيون من آسيا ، وفريغيون ، وأرمن ، وهنود ، وماديون ، وفارسيون ، وعرب ، ومنهم الأبيض ، والأسود ، والأصفر ، فكان فريق يحارب بالمقاليع ، وفريق بالوهق ، وثالث بالرماح ، وآخر بالمدى ، وغيرهم بالسيوف ، أما الأسطول فكانت رجاله من المصريين والفينيقيين واليونانيين الأسيويين ، وهؤلاء كانوا يتمنون من صميم أفئدتهم خذلان الفرس وسقوط دولتهم لتقوم على أنقاضها دولهم .

واجتمع جيش الفرس فى ترواس ، وعبر هللسبندس من أضيق مكان فيه بين مدينتى سستوس وأڤيدوس على قنطرتين أقامهما الفينيقيون لذلك الغرض ، ثم اخترقوا ثراقة بدون أن يلاقوا أدنى مقاومة ، وكذلك مقدُنيا لأن ملكها الاسكندر كان خاضعاً للفرس فلم تبد منه معارضة ما فى الانضمام إلى حاشية كرسيوز ، واستمروا فى المسير إلى جبل أولمبوس على حدود ثساليا من أغريقية ، وسار الأسطول قريباً من الساحل حتى وصل أمام جبل آثوس [1] ، وخشى الغرق إذا استمر بمحاذاة ذلك الرأس الصخرى ، فصعد فريق من الرجال إلى البر واحتفروا قناة فى البرزخ الضيق الذى يربط شبه الجزيرة الصغيرة بالقارة ، ومروا منها آمنين شر الزوابع ثم دخلت الأعداء ثساليا واحتلوا وادى بنيوس بدون مقاومة ، واستمروا نحو الجنوب إلى أبواب بيوثيا وأغريقية الوسطى أمام مضيق الثرموبيل .

(وقعة الثرموبيل سنة ٤٨٠ ق . م)

لا مناص للدخول فى أغريقية الوسطى من اجتياز مضيق الثرموبيل الواقع بين جبل أيتى عند حدود ثساليا من الجنوب وبين الساحل عند النقطة المقابلة للطرف الشمالى الغربى من جزيرة أڤيا ، ويحكم هذا المضيق بابان عرض الواحد منهما لا يتسع إلا لمرور عجلة واحدة ، والمسافة التى بينهما (١٦٠٠ متر) ، أما عرض المضيق فلا يزيد عن (١٥ متراً) فى جزئه الضيق ويربو على ذلك بقليل فى كثير

---

(١) جبل ارتفاعه (١٩٣٥) متراً فى الطرف الجنوبى الشرقى من شبة جزيرة حلكيديكى وهى شبه جزيرة سلانيك الآن ، وهذا الجبل داخل فى البحر ، ويكون رأساً صخرياً مرتفعاً. انظر : خريطة أقسام أغريقية القديمة .

من أجزائه ، حيث يوجد جملة ينابيع ساخنة بعضها ملح والبعض الآخر كبريتى، ولذلك أطلق عليه اسم الثرموبيل - أى أبواب المياه الساخنة .

فى ذلك المكان وقف ليونيذاس ملك أسبرطة ومعه (٦٠٠٠) من الجند محشودين من مدن اليونان المتحالفة ، ومما يجب أن يلاحظ فى مثل هذا الموقف أن كثرة العدد كانت قليلة الجدوى أو لا فائدة فيها .

أما فى البحر فكان يحمى السواحل (٢٧٠) سفينة منها ، للأثينيين وحدهم (١٢٧) .

وكان كرسيوز يتيه عجباً بكثرة جنوده ، ويظن أن مجرد نظر اليونانيين إليهم يحملهم على التسليم والمثول بين يديه صاغرين ، فلما لم يرعهم كثرة العدد أنفذ إليهم جملة فرق من جيشه عادت جميعها مدحورة الواحدة بعد الأخرى بعد أن تركت خيرة أبنائها صرعى أمام مدخل المضيق ، فداخل كرسيوز الرعب وشرع يفكر فى أمر الاستيلاء على ذلك المكان المنيع ، وبينما هو كذلك تطوع رجل من الفارين من جزيرة ميلوس ومن نزلاء أثينا بخيانة أبناء جنسه ، وتقدم إلى كرسيوز وأرشده إلى شعب [1] كثير المنعطفات يُتوصل منه إلى مفاجأة ليونيذاس وجيشه من الوراء ، فكافأ كرسيوز ذلك الخائن الأثيم مكافأة عظيمة لم يتمتع بها طويلاً، فإن اليونانيين جعلوا مقداراً من المال لمن يأتى برأسه فقتله أثينى بعد هذا الحادث بزمن قليل .

وكان ليونيذاس جعل جنود فوكيس لحراسة هذا الشعب ، فلما رأى هؤلاء جنود الفرس أخلوا الطريق أمامهم وذهبوا سراعاً إلى ليونيذاس وأعلموه الخبر ، فرأى هذا القائد العظيم أنه من الخرق أن يضحى جيشه بدون فائدة والبلاد فى حاجة إليه ، فصرف الجنود المتحالفة وأبقى معه الأسبرطيين وكانوا ثلثمائة جندى فقط ، وقال لهم : « إن أسبرطة عهدت إلينا حراسة هذا المكان فلنبق حيث أقامتنا » ، ثم جاءهم العدو من فوقهم ومن أمامهم ومن خلفهم وهم يقاتلون حتى تكسرت سنانهم وفلت سيوفهم وتغلبت عليهم الفرس ، فماتوا مثخنين بالجراح ، ولكنهم بقوا إلى الآن فخر أسبرطة ومحل إعجاب العالم بأسره .

---

(١) الطريق فى الجبل .

(استيلاء الفرس على أثينا وإشعال النيران فيها)
(الأسطول اليوناني في سلامين)

بعد أن انتصر كرسيوز في الترموبيل دخل بإرشاد الشاليين أغريقية الوسطى وأغار على الفوكيد وبيسوثيا ودمرهما ، وأعمل فيهما السلب والنهب ، غير أن ذلفي قاومته مقاومة شديدة فانثنى عنها إلى الأتيكى ، ودخل أثينا فلم يجد فيها إلا بعض شيوخ تخلفوا عن الخروج منها ، فذبحهم جميعاً وأشعل النيران في المدينة أما باقي أهلها فنزلوا إلى السفن التي كانت مجتمعة بين جزيرة سلامين وسواحل الأتيكى ، غير أن أمراء تلك السفن رأوا أن مكانهم هذا غير أمين ورغبوا في الإقلاع منه ليدافع كل فريق عن مدينته ، ونزع عن هذا الرأى ثيمستكليس وقال : « إذا كانت ثمت دفاع عن أغريقية ، ففي هذا المكان ، أما إذا تفرقت السفن فلا سبيل إلى المقاومة » ، وألح على المجلس العسكرى في طلب مهاجمة السفن الفارسية ، فعلت الضوضاء واحتدم الجدال وتقدم قائد أسبرطى نحو ثيمستكليس شاهراً عصاه ، فقال له هذا بثبات عجيب : « اضرب ولكن أصغ » ، ولكنه كاد يفشل في مسعاه لولا أنه أرسل إلى كرسيوز ثقة يقول له : « إن ثيمستكليس يخلص سراً للفرس وينصح لهم إذا أرادوا وقعة حاسمة أن يسدوا منافذ البحر على السفن اليونانية ، لأن الرؤساء أجمعوا أمرهم على الفرار إلى الجنوب » .

فأمر كرسيوز أسطوله أن يحيط بسفن اليونانيين ولا يدع ممراً لواحدة منها ، فكان ما أمر به فلم يجد اليونانيون بداً من القتال .

(وقعة سلاميس سنة ٤٨٠ ق . م)

بلغت سفن اليونانيين في هذه الوقعة ألفاً ، وسفن الأعداء نيفاً وألفين ، غير أن ضيق بوغاز سلاميس لا يسمح بمواجهة جميع تلك السفن بعضها لبعض ، فلا فضل كبيراً للكثرة على القلة ، وإذا خلت سفن الفرس من الفينيقيين وهم الوحيدون الذين يرغبون في محاربة اليونانيين منافسيهم في الملاحة والتجارة لانحاز يونانيو آسيا إلى إخوانهم وقفل المصريون راجعين بسلام ، ومما تقدم يعلم أن الظفر سيكون حتماً في جانب اليونانيين ، فإنهم انقضوا بسفنهم الخفيفة على سفن أعدائهم الثقيلة انقضاضاً أوقع الفرس في الارتباك ، وهشم كثيراً من سفنهم فلاذوا إلى الفرار كالأسماك تتهددها الشباك كما قال الشاعر إسخيلوس .

(هرب كرسيوز)

كان كرسيوز وهو على عرشه يشرف على هذه الوقعة من أكمة على الساحل متوقعاً لجيوشه الظفر العاجل باليونانيين ، فخاب أمله ورأى أسطوله الضخم يولى الأدبار ، فهاله الأمر وخشى أن تسد فى وجهه الطريق إلى آسيا ، وقيل : إن ثيمستُكْليس أرسل إليه يخبره أن اليونانيين عازمون على هدم قناطر هللسبندس وحبس الملك فى أوروبا ، فأخذ كرسيوز شطراً من الجيش وحث المسير نحو آسيا تاركاً فى أغريقية مع مَرِدُون ثلثمائة ألف مقاتل ، وظل سائراً خمسة وأربعين يوماً حتى قطع مقدُنيا وثراقة ورجاله يتساقطون فى الطريق من رشق السهام التى يصوبها إليهم أهل البلاد ، ومن ألم الجوع والعطش وفتك الأمراض ، حتى إذا ما وصل إلى سستوس وجد القناطر قد ذهبت بها الزوابع فاضطر إلى الإبحار على قارب صياد ليعبر البوغاز الذى اجتازه قبل ذلك بستة أشهر ، وهو فى أبهة الملك وعزة السلطان باسم قاهر الشعوب وحاكم البر والبحر .

(وقعة بلاتيه)

بقى مَرْدُوَن فى أغريقية مع نخبة الجيش معللاً النفس بالانتقام من اليونانيين ، فمضى الشتاء فى ثساليا ، وفى أول الربيع أرسل الاسكندرَ ملك مقدنيا إلى الأثينيين يعرض عليهم الصلح الذى من شروطه : أن لا يمس استقلالهم التام بسوء وأن يعطى لهم ذهب كثير لإصلاح مدينتهم فى مقابلة تحالفهم مع كرسيوز، وقد أراد بذلك فصم عروة اتحادهم وإخماد جذوة حميتهم ، فلم يصدق حدسه ، ورد الأثينيون الرسول رداً يشف عن وطنية خالصة وعزيمة صادقة ، إذ قالوا له : «ما دامت الشمس تسبح فى فلكها فلا نتحالف مع كرسيوز ولا نفتأ نقاتله معتمدين على هؤلاء الآلهة والأبطال الذين أوقد النيران بدون اكتراث فى هياكلهم وصورهم » ، فشخص مَرْدُوَن بجيوشه نحو الجنوب ، وأغار مرة ثانية على الأتيكى ، ففر الأثينيون إلى سلامين ، وبعد أن تباطأ الأسبرطيون فى إرسال جيوشهم خافوا أن يضطر الأثينيون إلى التسليم ، وحين ذاك لا يعدم الفرس وسيلة للإغارة على بيلوبونيسوس ، فأنفذوا جيشاً منهم تحت أمرة ملكهم بَفْسانيس، وعلم مَرْدوَن بالخبر فانسحب إلى بيوثيا ، حيث ينفسح له ميدان القتال، وعاد الفارون إلى أرض الأتيكى وتقابلوا مع الأسبرطين فى ألفسيس ،

فاجتمع من الفريقين (١٠٠ ألف) مقاتل زحفوا على الأعداء وتقابلوا معهم فى مدينة بلاتية ، ومكثت الحرب سجالاً إلى أن وقع مردون ، وحينئذ التجأ الفرس إلى معسكرهم الذى كان ابتناه مردون المذكور وتأثرهم الأسبرطيون ، ولكنهم عجزوا عن اقتحام المعسكر واضطروا إلى انتظار الأثينيين الذين كانوا يحاربون اليونانيين الموالين للأعداء ، فلما فرغوا من مهمتهم هذه لحقوا بإخوانهم الأسبرطيين ، وبعد عراك شديد أحدثوا ثلمة فى أحد الجدران انسلوا منها زرافات وأجهزوا على معظم الجيش الفارسى ذبحاً ، حتى إنه لم ينج من الثلثمائة ألف غير أربعين ألفاً نجا بهم ارتباز فراراً نحو الشمال .

وبعد تمام النصر اختلف فيمن له الفخر فى هذه الواقعة وتم الأمر أخيراً على أن يكون للبلاتيين ، ثم اتفق المتحالفون بفضل مسعى أريستيذس أحد القواد العشرة على عقد معاهدة دفاعية ضد الفرس أهم شروطها : تجنيد عشرة آلاف من المشاة وألف من الفرسان ، وتسليح مائة سفينة من ذات ثلاثة الصفوف من المجاذيف ، وإرسال نواب منهم إلى بلاتيه للاحتفال بإحياء ذكرى من قتلوا فى تلك الواقعة وإقامة ألعاب كل خمس سنوات تسمى بأعياد الحرية .

وقد ترك الفرس فى معسكرهم غنائم كثيرة قسمها اليونانيون إلى عشرة أنصبة جعلوا ثلاثة منها للآلهة : أبولون ذلفى ، وزفس أولمبيا ، ونبتون البرزخ ، وواحداً لبَفسانِيَس ، والستة الباقية لجيشهم المظفر .

وفى يوم انتصار اليونانيين فى بلاتية كانت سفنهم تتأثر السفن الفارسية فى بحر الأرخبيل حتى أدركتها فى ميكالى [1] وانتصرت عليها انتصاراً باهراً قبرت به عظمة الفرس فى أرض اليونان .

(ذكر أبطال الحرب المادية الثانية)

(بفْسانِيَس ، ثيمستكليس ، أريستيذس)

أبطال الحرب المادية الثانية ثلاثة رجال : اثنان من الأثينيين ، وهما : ثيمستكليس ، وأريستيذس ، وأسبرطى واحد وهو بفسانيس ملك أسبرطة .

---

(١) جبل فى يونيا من آسيا الصغرى اسمه الآن : صامسون ، وارتفاعه (١٢٦٩ متراً) ومكوّن لرأس تجاه جزيرة ساموس ، يسمى الآن رأس سنت مارى (القديسة مريم) .

(بفسانيس)

رأى هذا القائد نفسه على رأس (١٠٠ ألف) من اليونانيين فداخله الغرور وأطغاه المال وأعماه الجاه ونسى أن بطل بلاتيه لم يكن إلا ملكاً على أسبرطة تقيده القوانين وتوقفه عند حده القضاة .

ولما ذهب إلى ثراقة وطرد الحاميات الفارسية ، واستولى على بيزنطية بهره الأسرى بأحاديثهم عن عظمة البلاط الفارسى فى شوش ، وعن رفاهية العظماء وترفهم الزائد وسلطانهم غير المحدود على من هم دونهم من الرجال ، فقابل تلك الحال بحال الأسبرطيين ، فتمثل له الشقاء والنعيم وشظف العيش ورغده ، فعلقت آماله بذلك النعيم الزائل والسعادة الكاذبة وألقى بنفسه من شاهق المجد إلى حضيض الحطة وشرع يراسل سراً أرتباز مرزبان بِثْنِيا ، وطلب أن يتزوج إحدى بنات كرسيوز ويقدم لها مهراً حرية الأسبرطيين أبناء جنسه ، ومن ذلك الحين نبذ الزى اليونانى ولبس المزركش من الثياب الفارسى ، واتخذ حرساً من الماديين والمصريين ، ونسى أنه يرأس جنداً أحراراً لا يقبلون الضيم ولا يحتملون الحيف ، فأساء معاملتهم واستبد فيهم ، فعاد بعضهم إلى ببرا وعصا بعضهم الآخر والتفوا حول قواد أثينيين .

علمت أسبرطة بذلك فاستدعته ، وظن هو أن المال منجيه ، فأجاب دعوتها فألقى فى غياهب السجن وشرعوا ينظرون فى أمره ، فلم يقفوا على ما يثبت إدانته فأطلقوا سراحه ، ولم يمض إلا قليل حتى رأوه يحرض أناساً من الهيلوتس ضد القضاة ليخلو له الجو ويستبد بالحكم بدون مراقب غير أنه نجا أيضاً هذه المرة لعدم جواز شهادة العبيد ، وتمادى فى بغيه وطغيانه حتى وقع فى شر أعماله ، فقد ارتاب أحد رسله فى أمر من سبقوه لعدم عودتهم ، ففض الجواب وقرأ فيه الأمر بقتله ، فعاد وسلمه إلى القضاء .

وعلم بفْسَانِيَس بذلك ، فتيقن الهلاك ولجأ إلى هيكل أثينا ، وهو ملاذ لا تنتهك له حرمة ، فأقاموا فى الباب سداً حتى يموت من الجوع ذلك الخائن الأثيم وقد مقته الناس جميعاً حتى إن أمه كانت أول من وضع حجراً فى البناء ، وقبل أن يفيض نفسه الأخير أخرجوه من الهيكل غير مأسوف عليه حتى لا تدنس رمته هذا المكان المقدس .

(ثيمستكليس)

علمنا مما تقدم بالخدمات الجليلة التي قام بها ثيمستكليس نحو وطنه وأغريقية كلها ، وها نحن ذاكرون الإصلاحات العظيمة التي تمت على يديه بعد انهزام الفرس وعودتهم مدحورين إلى بلادهم .

خرجت أغريقية من الوقائع السالفة رافعة الرأس عالية الشأن ، ولكن بعد أن صارت أثينا ركاماً من أثر الحريق ، فشرع ثيمستكليس في إقامة أسوار المدينة وتحصينها وباشر العمل جميع الشعب الأثيني بجد وإخلاص ، فلم يرق ذلك في نظر الأسبرطيين ، وطلبوا ألا تحصن مدن خارج بيلوبونيسوس لئلا تكون للعدو إذا أعاد عليهم الكرة موضع اعتصام يمكنه من جميع البلاد اليونانية ، يقولون ذلك ويخفون ما بأنفسهم من غيرة وحسد نحو الأثينيين ، وهؤلاء يعرفون ما تكن صدور الأسبرطيين ، فشخص ثميستكليس إليهم بأمر استصدره من حكومته ليوقفهم على جلية الأمر وغرضه منه ، وفي الوقت نفسه حث الأثينيين على الاشتغال رجالاً ونساء شيوخاً وأطفالاً في بناء الأسوار والقلاع والمعاقل والحصون فلما وصل إلى أسبرطة ما كاد يستقر بها حتى أتاه الخبر بنجاز الأعمال حسب ما أراد ، وحينئذ أفهم الأسبرطيين صلاحية المشروع وفائدته ، فأظهروا الرضى والاستحسان لسبق السيف العذل وقالوا : ما كنا أردنا إلا خيراً للبلاد .

ومن أعماله : أنه بنى ثغر بيرا وشيد به مخزناً للمؤن والذخائر ، وداراً للصناعة وأحاطه بسور ارتفاعه (١٩ متراً) وطوله (١١ كيلومتراً) وسمكه كاف لمرور عجلتين تسيران فوقه متحاذيتين ، وقد صحت عزيمته في تسهيل المواصلات بين بيرا وأثينا بإقامة جدارين بينهما ، وقد نفذ ذلك كيمون وبيريكليس ، وللمحافظة على سيادة أثينا البحرية صار يزيد عدد سفنها عشرين كل سنة ، ولزيادة عدد سكانها حمل الأثينيين على منح الأجانب بعض الامتيازات خصوصاً الصناع منهم فعاد ذلك على أثينا بالفوائد الجمة ، ثم شمخ بأنفه وتعاظم على أبناء جنسه حتى كرهه الشعب ورماه الناس باغتيال الأموال بسبب ما جمعه من الثروة العظيمة ، فقد كانت ثروته ثلاث وزنات [1] ، فبلغت أكثر من مائة وزنة

---

(١) كان يطلق اسم تالان على وزنة من النقود تعادل الآن (٥٦٠٠ فرنك) تقريباً .

فى زمن قليل ، ولهذه الأسباب حكم عليه سنة (٤٧١ ق . م) بالنفى لمدة عشر سنوات ، فذاق مرارة الحكم الذى سعى فى استصداره ضد أريستيذس ، وبعد ذلك اتهم بالاشتراك مع بفسانيس فى خيانة البلاد اليونانية ، فاضطر إلى الالتجاء عند ملك أبيروس ، ثم ذهب من عنده إلى آسيا وتمثل بين يدى أردشير درازدست خلف كرسيوز ، وقال له : « إنى ثيمستكليس اليونانى الذى أساء إليك كثيراً ، ولكنى آت اليوم لأخدمك أجل الخدمات » .

فعجب ملك الفرس بجرأته وأقطعه مال ثلاث من المدن فى آسيا الصغرى ، ثم قيل : إنه تناول سماً زعافاً كى لا يحارب أبناء وطنه .

(أريستيذس)

أحد القواد العشرة الذين اشتركوا فى وقعة ماراثون ، قيل : إنه عرف كفاءة ملتياذس وحمل إخوانه على تأميره على الجيش الأثينى ، وأبلى بلاء حسناً فى تلك الواقعة ، وفيما بين الحرب المادية الأولى والثانية اشتهر لسيره الحميد وسلوكه القويم باسم العادل ، ونافس ثيمستكليس فى مركزه ، وبذلك حركه إلى السعى فى استصدار الحكم بنفيه ، وقبيل وقعة سلامين قرر المجلس الأنفكثيونى استدعاءه فحضر من منفاه وقال لثيمستكليس : « لنبق خصمين متنافسين ، ولكن فى تخليص البلاد من شر المغير عليها ونشر ألوية السلام على ربوعها ، فبينما تصرف وقتك فى جدال لا فائدة فيه تعمل الأعداء للإحاطة بنا » ، فأجابه ثيمستكليس : « إنى أعرف ذلك ولم يحصل إلا برأيى » ، واشترك أيضاً فى هذه الوقعة البحرية ، وأحرز ما أحرزه إخوانه من المجد الرفيع والفخار الدائم .

وفى وقعة بلاتية هاج الأثينيون من كثرة التغييرات التى كان يأمر بها بفسانيس فى صفوف الجيش ، فسكن أريستيذس غضبهم بقوله : « كل الأمكنة سواء لمن يريد أن يخلص فى القيام بواجبه ويقدم حياته فداء لوطنه » ، واشتهار أريستيذس بالعدل أفاد أثينا فائدة عظمى ، فإن المتحالفين لما انفضوا من حول بفانيس لكبره واستبداده التفوا حول أريستيذس قائد الجيوش الأثينية لحلمه وعدله .

ولما كان مولعاً بجمع كلمة اليونانيين ضد الفرس أقنع سكان الجزائر وسواحل آسيا الصغرى بضرورة عقد محالفة مع أثينا لصد هجمات أولئك الأعداء ، وقرر

عدد الجند الذين يقدمهم كل بلد ، وكذلك عدد السفن ومقدار النقود ، بحيث لم يترك وجهاً لاعتراض أحد ، ثم عهد إليه فيما بعد إدارة الخزينة العامة فتجلى صلاحه وعفافه فى أجمل مظاهره حتى أنه بعد وفاته لم يجدوا فى خزينته الخاصة ما يقوم بنفقة مأتمه ، واضطرت الحكومة إلى الإنفاق على أولاده وتقديم المهر لبناته .

* * *

(٤ - الحرب المادية الثالثة سنة ٤٤٩ ق . م)

(كيمون)

كيمون بن ملتياذس بطل ماراثون لم يكن فصيحاً حتى يقوم بحجته ويستميل له القلوب فى الجمعيات العمومية ، غير أن شجاعته النادرة وحماسته الفائقة ودربته على الحروب حببت الجند فيه ، كما أن كرمه الواسع وبذله الكثير أدنيا الشعب منه وقد أبلى بلاء حسناً فى الوقائع السابقة حتى رجح قومه جميعاً ، ولم يشغل فكره بعد ذلك إلا الانتقام من الفرس لإشعالهم النيران فى أثينا ، وقد ابتدأت حياته السياسية سنة (٤٧٦) ، وانتهت بموته سنة (٤٤٩) ، وأول أعماله أنه حور معاهدة أريستيذس ونصح للمتحالفين لسأمهم القتال أن يمدوا أثينا بالمال والسفن دون الرجال فقبلوا ، وأخذت أثينا على عاتقها محاربة الفرس ، فاستولى كيمون أولاً سنة (٤٧٦) على بقايا حصون الأعداء فى ثراقة وفتح بعد ذلك جزيرة سكيروس ، ونقى البحر من القرصان الذين كانوا يتأثرون التجارة الأثينية ويلحقون بها أضراراً جسيمة .

ثم طرد الفرس من كَرْيا وليكيا وانتصر عليهم بحراً سنة (٤٧٠) غربى سواحل كليكيا ، وفى سنة (٤٦٦) صعد إلى البر مرة ثانية ، حيث كان يعسكر جيش كبير من الفرس ، فألبس جنده من ملابس الأسرى وفاجأ ذلك الجيش فلم ينج منه إلا قليل .

وعلى الرغم من هذه الانتصارات المتوالية لم ترق سياسة كيمون فى نظر جميع الأثينيين ، وتكون ضده حزب ديمقراطى ألح فى طلب تحوير القوانين ووضع حد للحروب مع الفرس وتداخل فعلى فى أرض اليونان ، وكان على رأس ذلك الحزب الشاعر أفيلتس والشاب بيريكليس فقاومهم كيمون وبذل جهد المستطيع فى إقناعهم بالعدول عن آرائهم ، فكان يقول لمن يريد التداخل فى شئون أسبرطة :

« إنى لا أحب أن تكون أغريقية عرجاء » يعنى بذلك : أنه لا يريد أن يحرم أغريقية من إحدى قوتيها : أسبرطة ، وأثينا .

وفى سنة (٤٦٢) استصدر أمراً بالمسير مع قوة أثينية لمساعدة أسبرطة فى حربها مع الهيلوتس الذين كانوا شقوا عصا الطاعة عليها .

ولما وصل إليها قوبل بفتور جعله ينسحب بدون أن يأتى عملاً ما ، فاستاء الشعب من تلك الإهانة وحل غضبه على من كان السبب فيها ، وصدر الحكم بنفى كيمون مدة عشر سنين ، وكان ذلك سنة (٤٦١ ق . م) ، فتغير مجرى السياسة فى أثينا وأرسلت حملة بحرية مساعدة للمصريين ضد أردشير درازدست ، وأخرى برية إمداداً للهيلوتس ضد أسبرطة ، فخابت الأولى وانهزمت الثانية بتانجرا سنة (٤٥٧) ، فثاب الشعب إلى رشده وعرف لكيمون فضله ، فدعاه قبل انقضاء أجل النفى ، وكان بيريكليس ممن اقترحوا عودته ، ولما عاد لم يحد قيد شبر عن خطته القديمة ، وطلب عقد الصلح مع أسبرطة واستئناف القتال مع الفرس ، فعقد مع الأسبرطيين هدنة مدة خمس سنوات ، وشخص بالأسطول إلى جزيرة قبرص ليستخلصها من يد الفينيقيين والفرس ، ولكنه مات عقب انتصاره فى مدينة كيثُين سنة (٤٤٩) .

فكانت هذه الوقعة خاتمة الحروب المادية فقد ارتبط عقبها اليونانيون والفرس بمعاهدة أهم بنودها ألا تعكر أثينا صفو راحة أردشير درازدست فى دائرة أملاكه

وإلا تمد المصريين بقوى من عندها ، وأن يعترف هو باستقلال المستعمرات اليونانية الأسيوية ، ويعتبر بحر أيجيون بحراً يونانياً محصناً ، ولا تتعدى سفنه الحربية سواحل ليكيا ، ولا تقرب من مدخل بوغاز البوسفور .

* * *

(٥ - نتيجة الحروب المادية)

بعد انتصار اليونانيين على الفرس فى ميكالى أحست أسبرطة بتفوق أثينا عليها فى الوقائع البحرية لمتانة سفنها ودربة نواتيها ، ورأت أنها لو تركت قيادة الجيوش البرية فى الحروب المادية لأحد ملكيها طمع فى الاستبداد بالحكم وقلب نظام حكومتها ، وقد تحقق ما توقعته وما هو أنكى فى ملكها بفسانيس لولا أنها تداركت الأمر بقتله كما تقدم ، ثم انسحبت من بين المتحالفين ضد الفرس ولم يعد لها عمل ما فى الحروب المادية بعد سنة (٤٧٨ ق . م) ، وقد انتهزت المدن العظيمة فى بيلوبونيوس فرصة ارتباك أسبرطة ، وأشهرت العصيان عليها .

أما أثينا فلبلائها الحسن فى وقعتى سلامين وميكالى التف حولها يونانيو آسيا والجزائر ، وتحالفوا معها ضد الفرس وسلموها قيادة الجيوش البرية والبحرية ، ثم ملوا طول القتال فاستغنى كيمون عما يقدمون من الرجال وطلب منهم أن يزيدوا فى عدد السفن ومقدار المال ، وبذلك صار بيد أثينا القوة الحربية والخزينة العمومية التى نقلها الأثينيون بعد نفى كيمون من ذيلوس [١] إلى مدينتهم وأصبحت صاحبة النفوذ والسلطان ، ونزل محالفوها من صف

---

(١) جزيرة صغيرة فى بحر الأرخبيل من جزائر كيكلادس غربى ميكونوس ، وكانت فى زمن التحالف ضد الفرس مركزاً تعبدياً لليونانيين (انظر خريطة أقسام أغريقية القديمة) .

الأنداد إلى صف الأتباع ، يؤدون لها الجزية وهم صاغرون ، وقد نجحت فى مهمتها تمام النجاح وخلصت المستعمرات اليونانية وجزائر الأرخبيل من يد الحكم الأجنبى .

وفى سنة (٤٤٨ ق . م) عقدت هدنة طويلة مع أسبرطة مدتها ثلاثون سنة لم تدم إلا سبع عشرة سنة فى أثنائها كان العصر الذهبى لأثينا المسمى عصر بيريكليس .

* * *

الباب الثامن

الديمقراطية فى أثينا وحكومة بيريكليس

سنة (٤٦٢ ق . م) إلى سنة (٤٣١ ق . م)

● **ملخص تمهيدى :**

١ - **تحوير الحكومة فى أثينا** : بعد الحروب المادية ابتدأ الشعب يتداخل فى أمور الحكومة ، وزاد نفوذه فيها وتكون منه جملة أحزاب ديمقراطية خالصوا أثينا مما كان باقياً للأعيان من السلطة .

٢ - **أفيلتس** : محام نابغة ترأس الحزب الديمقراطى سنة (٤٦٢ ق . م) ، وهدم سلطة الأريوباج السياسية وجعلها لجمعية الشعب العمومية ، ومات سنة (٤٥٧ ق . م) .

٣ - **بيريكليس** : ابن أكسنثيوس بطل وقعة ميكالى ، ترأس الشعب بعد أفيلتس ، وكان خطيباً مفوهاً قوى الحجة ملك ناصية الأمور فى الحكومة من سنة (٤٤٩ ق . م) إلى سنة (٤٢٩ ق . م) ، وأحسن سياستها ، فخول الشعب جميع الحقوق الديمقراطية وجعل أثينا مركزاً للسلطة والقوة السياسيتين ومهدا للصنائع والعلوم وجملها بأحسن الآثار وأفخم المبانى .

٤ - **الآداب والفنون فى عصر بيريكليس** : كان عصر بيريكليس أبهى العصور لأغريقية ، فقد نبغ فيه من عظماء الرجال من نهض بالشعر ورقى الخطابة والتمثيل كالشاعرين سوفكليس وأقريبيدس والخطيب ليسياس والممثل أريستوفانس وغيرهم . ومن الآثار التى تشهد بما كان للأثينيين من طول الباع فى الفنون والصنائع : هيكل البرثينن ، وأبواب القلعة ، والتماثيل الكثيرة التى صور معظمها وأجملها أمهر الصناع فيذياس .

*

(١ - تحوير حكومة أثينا)

بعد الحروب المادية بعشرين سنة تقريباً تخلصت أثينا من القيود التى كان وضعها كليسثينس بحكمة وروية للحكومة الأثينية ، وسادت فيها الديمقراطية ، ويرجع ذلك للانقلاب العظيم الذى حصل فى الهيئة الاجتماعية ، فإن الحروب أودت بزهرة أبناء الأشراف والطبقة المتوسطة ، كما أن إنشاء السفن وتسليحها ذهب بكثير من أموالهم ، أما سائر الشعب من غير تينك الطبقتين ، فقد تكاثر عديده وزاد نفوذه خصوصاً بعد انضمام طائفة البحارة إليه التى أطلق عليها بعد وقعتى سلامين وميكالى اسم : « مخلصة البلاد ومنقذة العباد » ، ثم وجد من الناس نفر طمعوا فى الرياسة العامة ، وعملوا للوصول إليها بإطراء الشعب ، وذكر مفاخره وأسسوا حزباً ديمقراطياً منظماً ترأسه اثنان من عظماء الرجال : أفيلتس سنة (٤٦٢) ، وبيريكليس سنة (٤٥٦ ق . م) .

* * *

(٢ - أفيلتس)

محام نابغة ولد فى نحو سنة (٥٠٠) ، ومات سنة (٤٥٧ ق . م) ، واشتهر بالنزاهة والصلاح ، فاختاره الحزب الديمقراطى رئيساً له سنة (٤٦٢ ق . م) ، وكان خصماً لدودا لكيمون دائباً على الإضرار به ، حتى أقصاه عن البلاد، وحينئذ شرع فى شن الغارة على محكمة الأريوباچ حتى جعلها محكمة جنايات لا يتعدى اختصاصها النظر فى جرائم القتل ، وصارت الجمعية العمومية للشعب صاحبة النفوذ والسلطان فى جميع شئون الأمة .

وبعد ذلك بقليل عدا عليه رجل من تانجرا اسمه أريستوذِكوس وقتله بإيعاز من حزب المحافظين ، فقام بمهمته بعده شريكه وصديقه بيريكليس .

(بيريكليس)

ولد سنة (٤٩٤ ق . م) ، وكان والده أكسنثيبوس الذى انتصر على الفرس فى وقعة ميكالى من أعظم القواد ، وأمه من أسرة الألكميونيين العريقة فى الحسب والنسب ، فكان عزيزاً فى قومه محترماً من سائر الشعب ، ومع ما منحه الله من المواهب الفطرية ، فإنه تتلمذ لأعظم الرجال فضلاً وعلماً فى ذلك العصر

فعنوا به كثيراً ، وبذلوا ما فى وسعهم لتهذيبه ، فنشأ عاقلاً رزيناً يحكم نفسه فى حالتى الغضب والرضا ويربأ بها عن مواطن الزلل ، ولا يبذلها للجمهور إلا فى الأحوال الخطيرة ، وحينئذ يذلل له القول ويتابعه الكلام ، فيخلب الألباب ويفحم الأخصام ، ولا تخلو خطاباته الحماسية من رقيق الألفاظ ودقيق المعانى .

وكان يتقشف فى المعيشة ويقنع بالكفاف من ثروته العظيمة ، فإنه كان يأمر ببيع محصول أرضه كل سنة دفعة واحدة ، ثم يرسل كل يوم إلى السوق من يبتاع له ما يقوم بأوده ويكفى لحاجة ذويه حتى لا ينصرف بالنظر فى شئونه الخصوصية عن الاشتغال بأمور الحكومة وصالح الأمة ، وفى أوقات فراغه من الأعمال كان يقصده بعض أصدقائه فيحلو له معهم السمر ويحادثهم فى أمور شتى ، فكان يتكلم فى الفنون مع فيذياس ، وفى الآداب مع أقريبيذس وسوفكليس ، وفى الفلسفة مع انكساغورس وسقراط .

وجد الشعب الأثينى فى بيريكليس ضالته المنشودة ووثق به ، فولاه جميع أمره وبقى هذا الرجل العظيم عشرين سنة (٤٤٩) إلى سنة (٤٢٩ ق . م) فى يده سلطة الملوك من التصرف فى أموال الدولة والأمرة على الجيوش البرية والبحرية ، والقول بالحرب أو الصلح ، وهو مع كل ذلك لم يتخذ لنفسه الملك ، بل كان أحد القواد العشرة ، ولكن الشعب كان يعيد انتخابه كل سنة والجمعية العمومية تؤيده فى جميع آرائه لذلاقة لسانه وقوة حجته وتعلق الناس به ، فأحسن السياسة فى الداخل والخارج .

(سياسته الداخلية)

كان يرمى بيريكليس فى سياسته الداخلية إلى أمرين خطيرين : تخويل الشعب جميع الحقوق فى حكم نفسه بنفسه ، وجعل أثينا عاصمة لأغريقية كلها ومركزاً للسلطة والقوة السياسيتين ، ومهداً للصنائع والعلوم ، فبعد أن كان انتخاب القضاة التسعة مقصوراً منذ سنة (٤٨٨ ق . م) على أفراد من الطبقتين الأوليين تكتب أسماؤهم فى قوائم مخصوصة ، ويقترع بينهم شمل فى عصر أفيلتس الطبقة الثالثة بالطريقة المتقدمة ، ثم صار بعد ذلك بالاقتراع بين جميع أفراد الشعب الذين يتقدمون لهذه الوظائف لا فرق بين غنى وفقير ، فمن ساعدهم

الحظ بالقبول يمتحنون أمام مجلس الشورى ومحكمة الشعب [1] ، وتكون بيدهم مع القواد العشرة السلطة التنفيذية فى الحكومة ، أما السلطة التشريعية : فكانت فى يد المجلس والجمعية العمومية ، ثم فرض أجراً لكل من يحضر الجلسات فى الجمعية العمومية حتى يشرك جميع الأفراد على اختلاف طبقاتهم فى النظر فى شؤون الأمة والإقرار على ما يوافق مصلحتها ، ولما كان بيريكليس من الشعب كالرأس واليدين من الإنسان كان يرى الرأى فيعمل به ويعهد إليه أمر تنفيذه ، وكلما رأى إقبالاً من الشعب زاد هو إخلاصاً له وتفانياً فى العمل لخيره ، فأقطع الفقراء بعض الأراضى لاستغلالها ، وأنفق عن سعة من أموال الخزينة فى تجميل أثينا بأحسن الآثار ، وأفخم المبانى وأتم الأسوار التى بينها وبين بيرا ، فزادت حركة التجارة واشتغل الصناع وعم الرخاء البلاد ، ومع هذه النفقات العظيمة كانت النقود الاحتياطية فى خزينة الدولة نحو عشرة آلاف وزنة ، أى نحو (٥٦) مليوناً من الفرنكات (٢١٦٠٠٠٠ جنيه مصرى) .

(سياسته الخارجية)

إن التحالف الذى كان أريستيذس وضع دعائمه تغير قليلاً قليلاً حتى آل إلى

---

(١) اسمها : هيلييَا ، وشكلت فى زمن سولون على قول بعض ، وفى زمن كليثينس على قول بعض آخر ، وأعضاؤها يسمون هِلْيَسْتِى – أى قضاة الشعب – وطريقة انتخابهم أن يتقدم كل سنة الأثينيون الذين يرغبون فى الالتحاق فى هذه المحكمة ، فتعمل قائمة بأسماء من لا تقل سنهم عن ثلاثين سنة ويمكنهم القضاء فى الناس بالقسط ، ثم يؤخذ منهم ستة آلاف بطريق الاقتراع يكونون عشر فرق كل فرقة تتركب من (٥٠٠) عضو ، وتقيم في جهة مخصوصة ، والالف الآخرون يبقون احتياطاً ، ويمكن الجمع بين فرقتين أو جملة فرق للنظر فى المسائل الهامة ، وكان كل عضو قبل تقلد عمله يقسم أمام الجمهور بأنه يقضى بالعدل ، ولذلك كان هؤلاء القضاة يسمون بالمحلفين ، وقد بقى عملهم بدون أجر إلى أن حكم بيريكليس ، ففرض لكل واحد منهم أوبولسين فى اليوم ، والأوبولُس قطعة صغيرة من الفضة قيمتها ستة ملليمات ونصف ملليم تقريباً .

وكانت هذه المحكمة تنعقد يومياً لكثرة ما كان يقدم لها من القضايا ، فقد احتمع حولها السيكوفنتة (المبلغون) ، وهى فئة مرذولة ممتهنة اتخذت التبليغ عن الجرائم السياسة مهنة للارتزاق بحق وبغير حق ، ولذلك صارت فيما بعد موضع التمثيل الهزلى عند اليونانيين ، ثم أطلق الفرنسويون لفظ سيكوفنتة على الغشاس المنافق .

سيادة أثينا على جميع المدن المتحالفة ، وسبب ذلك : أن تلك المدن وكلت أمر حمايتها من الفرس إلى أثينا وقبلت أن تقدم لها نظير ذلك ما فرض من السفن والمال ، فصارت أثينا بمنزلة الولى من القاصر ، إذ بينما هى تسير أسطولها المظفر على جميع السواحل الشرقية من البحر الأبيض المتوسط لترهب به الأعداء وتحافظ على كيان ذلك التحالف الذى جعل بيدها القوة المالية والحربية كانت المدن الأخرى تشتغل بالحرث والزرع والصناعة والتجارة تخفق على ربوعها ألوية السلم وعلى دورها أعلام السعادة ، وظلت الحال كذلك ما دام المتحالفون يعملون فى بلادهم باستقلال تام حسب قوانينهم ، ووفق عاداتهم، فلما استصدر بيريكليس أمراً بإلغاء مجلس ذيلوس الذى كان يجتمع فيه نواب من المدن المتحالفة للنظر فى شئونهم العامة ، وبإرسال هؤلاء النواب إلى أثينا ، وشرع فى تشجيع الديمقراطية ومحاربة الأرستقراطية فى جميع مدن اليونان عد المتحالفون ذلك تداخلاً فى أمورهم الخاصة ، ورأوا فيه معاملة السيد للمسود خصوصاً بعد أن حتم عليهم التقاضى أمام المحكمة الأثينية ودفعهم حبهم الذاتى إلى الخروج على الأثينيين ، وقوى عندهم هذه الفكرة : اعتقادهم بضعف الفرس ، وعدم حاجتهم إلى التعاضد لاتقاء شر هؤلاء الأعداء ، فقامت أولاً بالثورة جزيرة ساموس سنة (٤٤٠ ق . م) ، واشتركت معها مدينة بيزنطية ، فلما نمى الخبر إلى بيريكليس أسرع بالذهاب إليهما للضرب على أيدى الثائرين، فاستولى على سفن ساموس، وضيق على عاصمتها الحصار حتى اضطرت إلى التسليم وهدم الحصون وأداء الغرامة الحربية ، وسار منها إلى بيزنطية ، فكان نصيبها ما أصاب ساموس .

ورأى بيريكليس بعد ذلك أنه لا يمكن أثينا أن تسود على جميع البلاد الخاضعة لها التى بلغت على قول أريستوفانس ألف مدينة إلا بسداد الرأى وحسن التدبير ، فحمل أولاً الناس على الاعتقاد بقوتها بأن جعل سفنها تمخر فى عباب البحار وتقوم بمظاهرات عظيمة ومناورات ذات شأن ، ثم وطد دعائم القوة الظاهرية بتأسيس مستعمرات كثيرة صارت لأثينا مصارف للتجارة ومرافئ للسفن وثكنات للحاميات ، وكان أهم هذه المستعمرات : أوريوس وخكليس من مدن جزيرة أقيا، ونكسوس وأندروس من جزائر كيكلادس ، وأمفيبوليس [1] على سواحل

---

(١) فى الشمال الغربى من شبه جزيرة خلكيديكى على الساحل .

ثراقة ، وشبه جزيرة خرسونيسوس وبيزنطية الحاكمتين على بابى بحر بروبنتيس (بحر مرمرة) ، وسينوبى على سواحل البحر الأسود ، وثوريوم فى إيطاليا وهى التى اشترك فى تأسيسها المؤرخ هيرودوتس .

(الفنون والآداب فى عصر بيريكليس)

لم تكن قوة الشعب الأثينى مدة حكم بيريكليس فى عدد السفن شيئاً مذكوراً بجانب ما جادت به قرائح رجالها العظماء وما صنعته أيدى عمالها النجباء ، فكم من أناشيد دينية رتلت ، وقصائد حماسية نظمت ، ومذاهب فلسفية وضعت، وهياكل فخمة أقيمت ، وتماثيل شائقة نصبت ، والناس فى ذلك يتسابقون ويتنافسون حتى صارت أثينا كعبة الفنون والآداب يُرحل إليها من كل حدب وصوب .

وأى عصر يضارع عصراً اجتمع فيه بمدينة واحدة سوفكليس وأڤريبيدس أعظم الشعراء ، وليسياس أقدر الخطباء ، وهيرودوتس وثوكيذيذس أشهر المؤرخين ، وبقراط [1] أبو الطب ، وأريستوفانس رب التمثيل ، وفيذياس أبرع المصورين ، وانكساغورس وسقراط أكبر الفلاسفة المتقدمين والمتأخرين .

وإذا عرفنا أن ممن سبق هؤلاء أسخليوس ، وممن لحقهم جزينيفون وأفلاطون وأرسطوطاليس [2] جزمنا بأن أثينا كانت منبعث العرفان فى بلاد اليونان ، وأن عصر بيريكليس لأغريقية كان أبهى العصور وأرقاها .

ولتجميل أثينا بالآثار الرائعة لم يتردد بيريكليس طرفة عين فى الإنفاق عليها من أموال المتحالفين ، ولم يكن ذلك من العدل ولا من سداد الرأى ، ولكنه كان يقول : ما دمنا قائمين بما عهد إلينا من خفارة البحار وحماية الذمار فلا حق لأحد أن يلومنا أو يطالبنا بحساب .

وقد وكل أمر العمارات إلى فيذياس الذى صور الآلهة ، فأحسن تصويرها حتى سئل عما أرشده إلى ما أودع من آيات الجمال ومظاهر الجلال فى نصب زفس ، فقال : « قول هوميروس » ، وأنشد أبياتاً من الألياسة منها :

وحــرَّك جَفْنَيْه فمادت شــــعوره ... وزُلْزل عَرش الخلد أقوى الزلازل

---

(١) يقال : أبقراط ، واسمه باليونانية : « هبكراتِس » .

(٢) يقال له : أرسطو وأرسطاطاليس ، واسمه باليونانية : « أرستوتيلس » .

وكان من أعماله ذلك التمثال وجملة تماثيل أخرى لأثينا (الآلهة) ، وبعض من الأنصاب كان يزدان بها فناء الهيكل وحديقته ، وشُيد بملاحظته هيكل البرثينُن[1] من الرخام المستخرج من جبل بِنْدليكُن ، وتمت عمارة مدينة بيرا على أحسن طراز ، وبنى مدخل فسيح فخم للقلعة أنفق عليه (٢٠١٢) وزنة (٤٣٣٣٥٤ جنيهاً مصرياً تقريباً) .

ويدلنا على عناية القوم بهذه الآثار وغيرها مما لم نذكره ما حصل بينهم وبين فيذياس عند اختيار المادة التى يصنع منها تمثال أثينا الأكبر ، فإنه لما قال بتفضيل الرخام لرونقه الثابت كاد الناس يقتنعون ، ولكنه لما ذكر من علل التفضيل قلة النفقة أسكتوه وصاحوا فى وجهه : « ليكن من العاج والذهب الخالص » ، فكان ما أشاروا به .

ويقال : إن هذا البذل الواسع تذرع به بعض أخصام بيريكليس ورموه بسوء التصرف فى أموال المتحالفين وحرضوا الشعب على مناقشته الحساب ، فصرفهم عن ذلك بجرهم إلى حرب بيلوبونيسوس .

(ذكر من عاصر بيريكليس من عظماء الرجال)

(أسخليوس)

شاعر يونانى ، برع فى تأليف الروايات المسماة عندهم : تراچيديا ، وهى روايات تمثيلية تبعث فى النفس الرهبة ، وتحرك فيها عاطفة الشفقة ، وتورث القلب حزناً وأسى ، وهو أحد الثلاثة المشهورين بهذا الفن وأقدمهم .

ولد فى أِلفسيس سنة (٥٢٥ ق . م) من أسرة عريقة فى النسب والمجد ، ولما بلغ الخامسة والعشرين من عمره شرع فى نظم الأشعار وبرع فيه ، وكان مع ذلك من الأبطال المعدودين ، قاتل فى وقعة ماراثون الشهيرة ونال الإكرام الجزيل لشجاعته وبسالته ، وحارب فى وقعة سلامين ، وحضر وقعة بلاتية .

وفى منتصف العقد الخامس من حياته نال الجائزة فى مباراة شعرية ، وبلغت رواياته سبعين ، وقيل : ثمانين ، وحصل بها على ثلاث عشرة جائزة ، وفى حوالى سنة (٤٦٨) اتهم بأنه آذاع آسرار ألفسيس فحوكم وشغب عليه الشعب

---

(١) اسم للهيكل المقام للآلهة برثِنُس ، وهى أثينا .

فهاجر إلى صقلية بعد ذلك بقليل ، وبقى فيها موضع الإكرام والتجلة إلى أن توفى وعمره (٦٩ سنة) ، ويقال : إنه واضع هذا النوع من الروايات التمثيلية ، وأنه أول من أتقن تنسيقها وتشخيصها ، ولم يبق من رواياته الكثيرة إلا سبع عنى بترجمتها الفرنج فى كل الأقطار الأوروبية .

(سوفكليس)

شاعر يونانى ، ولد فى قرية كولونوس من قسم الأتيكى بجوار أثينا سنة (٤٩٦) ، وتوفى سنة (٢٠٦ ق . م) ، وكان مغرماً منذ حداثته بالصراع والموسيقى ، ونال عليها أكليل الفخر .

وكان تمثيل الروايات عند اليونانيين قاصراً على بعض حفلات عظيمة يحكّم فيها عشرة من الأهلين الذين أحسنوا الخدمة فى الجيش للقول بأفضل الشعراء ، فحُكم لسوفكليس بالجائزة الأولى سنة (٤٦٨ ق . م) ، ومن ذلك الحين ثابر على إنشاء الروايات حتى ألف منها نيفاً ومائتين لغاية سنة (٤٤٠) .

وفى سنة (٤٣٩) انتخب قائداً من القادة العشرة ، فسار مع بيريكليس لغزو ساموس ، ولكن ذلك ما كان يرضيه ولا يثنى عزمه وهمته عن الاشتغال بالشعر، فقد وضع بعد تقلده تلك القيادة نحو ثمانين رواية تمثيلية ونال الجائزة الأولى عشرين مرة ، والثانية فى كل سباق انخرط فى سلكه .

ولما طعن فى السن أقيم كاهناً فى أحد الهياكل ، واختلفت الروايات فى موته، فقيل : إنه ازدرد حبة عنب غص بها فمات ، وقيل : إنه حبس نفسه وهو على مرسح التمثيل فاختنق ، وقيل غير ذلك .

وكان سوفكليس جميل الصورة ، متناسب الأعضاء ، سليم الذوق ، سريع الخاطر ، كريم الخلق ، عاقلاً رزيناً ، قد أجمع المتقدمون والمتأخرون على أنه أشهر من كتب الروايات التمثيلية بنوعيها : التراچيديا - وقد ذكرنا تعريفها ، والكوميديا : وهى روايات تمثيلية فى الأخلاق والعادات تتخللها فصول فكهة مفيدة ، وقد عثر على بعض رواياته وترجم إلى الألمانية والفرنسية والإنجليزية .

(أفريبيذس)

آخر شعراء أثينا الثلاثة التراچيديين ، ولد فى جزيرة سلامين سنة (٤٨٠) ، وتوفى فى مقذنيا سنة (٤٠٦ ق . م) ، تفرغ فى صباه لفن التصوير وألمّ بعلم

البيان ، وتتلمذ لانكساغورس وأخذ عنه علم الطبيعة ووعى من آرائه ما حلى به شعره .

وبعد أن درس الفلسفة صبت نفسه إلى التراچيديات ، وألف روايته الأولى فى السنة الثامنة عشرة من عمره ، غير أنه لا دليل على أنها شخصت ، ولم ينل الجائزة الأولى فى التراچيديات إلا سنة (٤٥٩ ق . م) ، ويقال : إنه صنف (٩٢) رواية ، وأنه نال (١٥) جائزة ، ثم استدعاه أرخيلاوس ملك مقذنيا إلى بلاطه فأجاب طلبه ، وترك أثينا بعد أن شغل مراسحها (٥٠) سنة ، ولم يعش بعد ذهابه إلى مقذنيا إلا زمناً قصيراً ، ولما نمى خبر موته إلى أثينا حزنت عليه حزناً شديداً حتى إن سوفكليس لبس عليه ثوب الحداد ، وأمر المشخصين أن يقتفوا أثره فى ذلك وينزعوا الأكاليل عن رءوسهم ، وطلب الأثينيون أن تنقل جثته إلى مدينتهم ، فلما لم يسمح لهم بذلك بنوا له ضريحاً باسمه وتركوه خالياً فى الطريق المؤدية من بيرا إلى أثينا ، ثم نصبوا له تمثالاً مع تمثالى أسخليوس وسوفكليس فى مرسح الأوذيون [١] ، ولم يبق من تصانيف أقريبذس العديدة تاماً إلا (١٩) رواية .

(سقراط)

فيلسوف يونانى ، ولد بجوار أثينا سنة (٤٦٩) ، وتوفى فى أثينا سنة (٣٩٩ ق . م) ، وكان والده نقاشاً ، وأمه قابلة ، فتعلم حرفة أبيه واشتغل بها لا عن ميل إليها بل عن حاجة لكسب المعاش ، وفى أثناء ذلك بدأ ميله إلى الفلسفة ، فترك مصنعه وانصرف للدرس ، وكان التعليم فى ذلك العصر منوطاً بالفلاسفة والسفسطائيين ، فسبر تعاليم كل من الفريقين ، فلم يجد فى تعاليم الفلاسفة سوى مذاهب عديمة الأساس قليلة الفائدة ، لأنهم كانوا يهتمون اهتماماً مخصوصاً بتفسير طبيعة الأشياء وخلق العالم ، وكان هو يرى أن صرف القوى العقلية فى مباحث غريبة عن أمور مجهولة لا يمكن الوصول إلى معرفة حقائقها ضرب من الجنون ، لأنها لا تؤثر شيئاً فى سعادة الإنسان ، بل تصرفه عن أمور كثيرة ينبغى أن تكون أساساً لهذه الحياة الدنيا ، فلذلك لم يهتم إلا بهذا النوع

---

(١) دار فسيحة للتمثيل فى آثينا ، وكانت قبل ذلك مكاناً للتمرن على الغناء والتشخيص

المهم من الفلسفة وانقطع إلى درس الحقائق العملية وترك التعاليم المجردة التى كان يهتم بها فلاسفة زمانه .

وأما السفسطائيون فلم يجد فى تعاليمهم غير إنكار الحقيقة وحب المجادلة فى الأمور الأدبية والسياسية ، فازدرى بهم ، وحكم بأن لنفوذهم شر تأثير فى الناس لأنهم لا يحافظون على مبدأ واحد ويدخلون الريبة فى أهم الحقائق ، ولذلك لم يفتر عن مقاومتهم بقوة البراهين ، وأحياناً بالاستهزاء والتهكم .

وكان سقراط سليم البنية صحيح الجسم قوى العزم متقشفاً فى المآكل والملابس لتقليل حاجاته ، وكان أفطس الأنف ثخين الشفتين جاحظ العينين صلع الرأس قصير القامة غليظ البدن ، وكان يجول فى أسواق أثينا ويقف ساعات غائصاً فى التأملات لا يبدى حركة ، وإذا تكلم أدهش الناس بحديثه وأثرت كلماته فى قلوب سامعيه حتى تجعلهم يذرفون الدموع .

وكانت امرأته شرسة الطباع سيئة الأخلاق ، ومع ذلك لم تعكر صفو أفكاره، قيل : إنه اقترن بها وهو عالم برذائلها طمعاً فى تعوده الصبر ، وأنه كان يقول : « إذا تمكنت من تحملها هان على تحمل كل أنواع المصاعب » .

وكان يعلم بدون أجر ويعجب ممن يتخذ تعليم الفضيلة مهنة للارتزاق ، ويقول: ألم يكفه أن يكتسب صديقاً ويرى من غرسه رجلاً فاضلاً ، فاتخذ أنتيفون السفسطائى نزاهة سقراط وقناعته وسيلة للتهكم عليه والسخرية به ، وقال له : « لو طلب منك بيتك أو ثوبك أو شيء من متاعك ما أعطيته بثمن بخس ولا ارتضيت فيه أقل من قيمته ، ولكن اقتناعك بجهلك فى تعليم سواك يجعلك تتمنع عن قبول أجر على عملك ، فهذا دليل على استقامتك وصلاحك أكثر من نزاهتك وعفافك » .

ولم يصرفه اشتغاله بالفلسفة وتعليم أبناء وطنه عن الذُبُّ عن بلاده كلما اقتضت الحال ذلك ، فقد حمل السلاح كأفراد الجنود فى بوتيذيا [١] سنة (٤٣١ ق . م) ، وفى ذليوم [٢] سنة (٤٢٤) ، وفى أمفيبوليس سنة (٤٢٢) ، وقد امتاز فى الحروب التى شهدها بثبات عزمه ونشاطه وقوته .

---

(١) فى برزخ ضيق جنوبى أولنثوس فى شبه جزيرة خلكيديكى .
(٢) قرية صغيرة فى بيوثيا .

وكان تلاميذه العديدون يعتبرونه ويوقرونه بما يفوق الوصف ، وهو يوجه أفكارهم نحو التقوى ويحثهم على الاحتشام والتأدب وكبح جماح النفس ويحضهم على محبة الوالدين والمحافظة على الشرائع ويحذرهم من مكر السفسطائيين وخداعهم ، ولم يكن يعلم فى أيام ولا ساعات محدودة ولا فى محل معلوم ولا صاعداً على منبر ، بل يعلم فى كل الأوقات وكل الأماكن وفى الولائم والمحافل والمتنزهات والحوانيت ، وطريقة تعليمه كانت بأسلوب سهل بهيئة مذاكرات ودادية تنتخب مواضيعها بحسب الظروف والأحوال ، وكان يقرأ أحياناً كتابات الحكماء المتقدمين ، ويبحث فيما يختص بالعدالة والعلوم والسعادة أو يسأل تلاميذه كمن يطلب منهم الاستفادة ، وبعد أن يجيبوه يبين لهم ببراهين دامغة وأدلة قاطعة موضع الخطأ من أجوبتهم ويستدرجهم إلى الاستفهام عن أمور جديدة فيها منافع للناس .

وكان يدعى أن صوتاً داخلياً رافقه على الدوام منذ صباه ، وكثيراً ما منعه عن القيام بأمور يكون قد هم بالإقدام عليها ، إلا أنه لم يأمره بعمل أمر من الأمور ، وكان يتكلم عن هذا الصوت بحرية ويصغى له ويطيعه طاعة تامة ، وهذا الصوت الداخلى هو ما أطلق عليه المتأخرون اسم « الضمير » ، وكان يرمى بتعاليمه إلى وجود فاعل مختار أعلى خلق العالم ونظم الكون ، فرأى الشعب فى ذلك مساً بمعتقداتهم وحطاً من كرامة دياناتهم ودبت فى قلوبهم البغضاء ، وكان يقول بأن سياسة الناس من أصعب العلوم ، ويعجب من خضوع الأمة لحكام غير مدربين ولا محنكين ، فجر على نفسه أيضاً غضب الحكومة وسخطها ، ولما اتهم فى آخر حياته بالكفر والازدراء بالآلهة وإفساد الأحداث واحتقار النظام السياسى فى ذلك الزمن أسرعت الحكومة فى إقامة الدعوى عليه ، فقدم مذكرة دفع فيها عن نفسه ما اتهم به ، ومع ذلك صدر الحكم بإجرامه بأكثرية خمسة أصوات من (٥٦٧) صوتاً ، فلم يرعه ذلك وانتظر بثبات غريب الحكم بالعقوبة ، فحكم عليه بالقتل وألقى فى السجن وأثقل بالسلاسل والأغلال ، وبقى كذلك ثلاثين يوماً يتحادث مع أصدقائه ويعلم من يقصده من تلاميذه ، وقد عرض عليه بعضهم واسطة للفرار ، فرفض احتراماً للشرائع ، ثم تناول بثبات مدهش كأس السم ، وكان من نبات الشوكران ، ومات بين تلاميذه يبكيه العدل وتأسف على موته الإنسانية والآداب .

(بقراط)

طبيب يونانى يكنى بأبى الطب ، ولد فى جزيرة كوس سنة (٤٦٠) ، ومات فى مدينة لاريسا المسماة الآن يكى شهر من ثساليا فى حوالى سنة (٣٦٠ ق . م) أخذ الطب عن أبيه ورقاه من درجة خرافية كان الكهنة يقومون بها ، وجعله صنعة علمية شريفة ، وجعل للأمراض مصدرين وهما : الهواء ، والغذاء ، ووضع له أصولاً ليجعله مناسباً لتغيرات الهواء وحالة المريض ، وقرر أن الأمزجة (١)

---

(١) يراد بالأمزجة السوائل الأربعة : الدم ، والصفراء ، والسوداء ، والبلغم .

فالدم : هو السائل الذى تفرزه أعضاء الجهاز الهضمى ، ويجرى فى الشرايين والأوردة.

والصفراء : سائل مر مائل للاصفرار أو أصفر مائل للخضرة ، ويفرزه الكبد .

والسوداء : نوع من الصفراء لونه أسود ، يقول بقراط : إنها من إفراز الطحال ، ووافقه على ذلك جالينوس (طبيب من ميسيا ، ولد سنة ١٣٠ ، وتوفى سنة ٢٠ م) ، والطب الحديث ينكر كلية وجود السوداء .

والبلغم : إفراز الحفر الأنفية والشعب ، وهو يكثر عادة عند شارب الكحول أو المصاب بالتهاب معدى ، وعلاجه الإقلاع عن مسبباته .

ويوصف الإنسان بواحد منها إذا كثر عنده أحد هذه السوائل ، فيقال : رجل دموى ، ورجل بلغمى ، ورجل صفراوى ، ورجل سوداوى ، ويعزى للأخيرين سرعة الغضب والقلق والاضطراب ، ويظهر أن هذه الأوصاف تقابل « هوائى ومائى ونارى وترابى » نسبة إلى العناصر الأولية ، فقد جاء فى كتاب « إخوان الصفا وخلان الوفا » كلام فى الأمزجة ملخصه :

« إن الجسد يتركب من يابس (التراب) ، وحار (النفس) ، ورطب (الماء) ، وبارد (الروح) ، وإن فيه أربعة أنواع أخر هى ملاك أمور الجسد لا يقوم الجسد إلا بها ، ولا يقوم واحد منها إلا بالآخر ، وهذه الأنواع هى المرة السوداء ، وتسكنها اليبوسة والمرة والصفراء ، وتسكنها الحرارة والدم ، وتسكنه الرطوبة والبلغم ، وتسكنه البرودة .

فالجسد الذى اعتدلت فيه هذه الأربعة كملت صحته وسلمت بنيته ، وإلا دخل عليه السقم ، فإن مالت بالإنسان السوداء وأفرطت كانت عزمته قساوة وفظاظة ، وإن زادت المرة الصفراء كانت حدته طيشاً وسفاهة ، وإن كثر عنده الدم كان لينه توانيا ومهانة ، وإن كثر البلغم كانت أناته ريثا وبلادة » .

وجميع ما ذكر فى الأمزجة من قبيل الحدس والتخمين لا نصيب له من الصحة فى الطب الحديث .

أربعة: دموية ، وبلغمية ، وصفراوية ، وسوداوية ، وإن الأمراض تنشأ عن وقوع نقص أو زيادة فى أحدها ، وكان التشريح ممنوعاً فى زمانه ، ومع ذلك عرف أموراً كثيرة متعلقة بتركيب المخ والأحشاء وغيرها ، وكانت له آراء غريبة متعلقة بالتوليد ، أما الأصول التى وضعها فعرفها بالبحث والتدقيق ، وقلما استند إلى الاستنتاجات العقلية ، ومن رأيه دفع الأمراض بتقوية الجسم ، فإذا ظهرت بوادرها أسعف المريض بأدوية سهلة ليُحافظ على قوة البنية ، فتتماثل بطبيعتها من المرض إلى الشفاء .

وكان يفصد ويحجم ويكوى ويشخص الأمراض بسماعة ، ويسقى المريض مسهلات نباتية ومعدنية ، واستخدم الحقن ، وبرع جداً فى تشخيص الأمراض ، وقد سبق الجميع إلى قسمتها إلى ثلاثة أدوار ، وعين للدور الأخير أياماً .

ويوجد (٧٢) كتاباً عليها اسم بقراط ليس له منها إلا البعض والباقى لأطباء آخرين بهذا الاسم .

وقد أحسن جالينوس فى وصفه له ، حيث قال : « إن جالينوس أدبه الدرس، وبقراط أدبته الطبيعة » ، وحيث قال : « إن بقراط انغمس فى الطبيعة وسرى معها حتى انتهى إلى أعماقها وأخبر عما شاهده هنا لك » .

(ثوكيذيذس)

مؤرخ يونانى ، ولد فى أثينا سنة (٤٦٠) ، وتوفى سنة (٣٩٥ ق . م) ، وهو من أسرة موسرة تتصل بملتياذس وكيمون وببيت الملك فى ثراقة ، قد ورث من أبيه أملاكاً واسعة ومناجم للذهب فى هذا الإقليم تجاه جزيرة ثاسوس ، قيل: إنه سمع وهو صغير هيرودوتس يقرأ فى أثينا بعض فقرات من كتابه فاهتز لكلامه وذرفت عيناه من فرط السرور والإعجاب ، وأنه تتلمذ للخطيب أنتيفون وحضر على السفسطائيين .

وفى سنة (٤٢٤) انتخب قائداً وكلف بالمسير بأسطول لحماية سواحل ثراقة ، فوصل إليها متأخراً ، وكان ذلك سبباً فى سقوط أمفيبوليس فى يد ﭬراسيذاس القائد الأسبرطى ، ولما اتهم ثوكيذيذس بالخيانة اعتزل عمله وهجر البلاد ، ولبث بعيداً عنها عشرين سنة كتب أثناءها تاريخ حرب بيلوبونيسوس ، وزار البلدان التى كانت مرسحاً لأعظم الوقائع وشهر الحوادث، ثم عاد إلى أثينا سنة (٤٠٤)

بعد أن استولى عليها الأسبرطيون ومات سنة (٣٩٥) موتاً جنائياً . قيل : إن نفراً من اللصوص هجموا عليه وقتلوه فى الطريق وهو قاصد ثراقة .

ويظهر أنه لم يؤلف غير كتاب واحد : « تاريخ حرب بيلوبونيسوس » ، وكان يرمى إلى الكلام فيه من سنة (٤٣١) إلى سنة (٤٠٤) ، ولكنه لم يصل إلا إلى سنة (٤١١) ، وقد نهج فى ذلك المؤلف منهجاً فلسفياً لاعتقاده أن للتاريخ قوانين لا يحيد عنها ، فبحث فى أسباب الحوادث وتعرف أخلاق الأفراد والشعوب ، وتكلم فى المواقع الجغرافية ونظام الحكومات وقوة البلاد الحربية وحالتها المالية ، وفى علاقة ما ذكر بالحوادث التاريخية ، واستنتج أن الصالح فى أغلب الأحيان يجر بنى الإنسان إلى دوس الحق وانتهاك حرمة الفضيلة ، وكان خبيراً بالسياسة عالماً بالحروب شهد بنفسه الحوادث وعرفها ، ومع ذلك لم يكتب شيئاً إلا بعد التثبت منه ومناقشته من جميع أطرافه بعدل ونزاهة لا يشوبهما غرض، فجاء تاريخه جيد الأخبار صادق الرواية حسن الترتيب ، وقد طبعت النسخة الأولى منه فى البندقية سنة (١٥٠٢م) ، ثم طبعت نسخ أخرى أحسنها ما طبع فى برلين سنة (١٨٢١) ، وترجم إلى الإنجليزية وطبع فى لندن سنة (١٨٥٠) ، وترجم إلى الفرنسية وطبع فى باريس سنة (١٨٥٩) ، وسنة (١٨٦٢) .

(أريستوفانس)

كاتب يونانى ، اشتهر بتأليف الكوميديات ، ولد سنة (٤٥٠) ، وتوفى سنة (٣٨٦ ق . م) ، وزاول مهنة التمثيل صغيراً ، ولكنه لم يشتهر إلا بعد سنة (٤٢٧) ، وشخص فى مراسح أثينا عدة روايات ، كان يحمل فيها على رجال الدولة والفلاسفة والشعراء والشعب والمعبودات ، وتجاوز الحدود فى جميع ذلك حتى وضع قانون سنة (٣٨٨) بألا يشخص على المرسح أحد وهو فى قيد الحياة فقضى على شكل الكوميديا القديمة ، فسلك أريستوفانس طريقاً آخر ، وشرع ينتقد الأخلاق والعادات . ويقال : إن عدد رواياته بلغ (٥٤) لم يبق منها إلا إحدى عشرة فقط ، وكلها كوميديات اجتماعية وسياسية مملوءة حياة وحمية .

وهى أنفس المصادر لتاريخ عصره ومعرفة النظامات والعادات فى آخر القرن الخامس قبل الميلاد .

(ليسياس)

خطيب يونانى مفوه ، ولد فى أثينا سنة (٤٤٠) [١] ، ومات سنة (٣٨٠ ق. م) ، وكان أبوه تاجر أسلحة فى سيراقوسة ، ثم انتقل إلى أثينا فى حوالى سنة (٤٥٠) عملاً بنصيحة بيريكليس ، ومضى فيها الثلاثين سنة الأخيرة من عمره بصفة أجنبى له أن يتمتع بجميع الحقوق المدنية دون السياسية .

وفى سنة (٤٢٥) أرسل ابنه ليسياس إلى ثوريوم ، حيث تلقى علوم البلاغة ونبغ فيها ، وفى سنة (٤١٣) عاد إلى أثينا وشرع فى تدريس ما تلقاه فى ثوريوم ، وفى إنشاء المقالات الشائقة .

وفى سنة (٤٠٤) فى عهد حكومة الثلاثين جباراً حكم عليه وعلى أخيه بالإعدام ، ولكنه تمكن وحده من الفرار ، ثم عاد إلى أثينا مع ثرازيفولس الذى أسقط هذا النوع من الحكومة وأعاد نظام الديمقراطية ، ثم منح حق الانتساب إلى أثينا لما قام به من الخدمات الجليلة للشعب الأثينى ، فطلب محاكمة قاتل أخيه وأحد الثلاثين جباراً ، ولكن أرخينوس أحد كبار الأثينيين طعن فى أمر انتسابه ، فسُلب ذلك الحق واعتبر كما كان أجنبياً ، ومن ذلك الحين تعاطى مهنة تحضير القضايا للمتقاضين ، فإن قوانين أثينا كانت تحتم على هؤلاء أن يتولوا أنفسهم الدفاع فى قضاياهم ، ولما كان أكثرهم غير كفء لهذا العمل اشتغل كثير من الخطباء فى تحضير الدعاوى لهذا الفريق من الناس ، فكان ليسياس أبلغهم بياناً وأقواهم حجة ، قيل : إن له (٤٢٥) مقالاً لم يبق منها غير (٣٤) ، ولقد بقى هذا الخطيب البليغ زمناً طويلاً سيد الخطباء فى اليونان والرومان حتى إنه كان يعارض بكلامه كلام شيشرون الخطيب الرومانى الشهير الذى نبغ فى القرن الأول قبل الميلاد .

* * *

---

(١) ولد سنة (٤٥٩) على قول فيكتور دروى فى كتابه « ملخص تاريخ اليونان » ، وفى سنة (٤٩٩) على حسب دائرة المعارف الفرنسوية ، وفى سنة (٤٣٧) على حسب الجزء التاريخى من مختصر قاموس ليتريه الفرنسوى .

الباب التاسع

حرب بيلوبونيسوس سنة (٤٣١) إلى سنة (٤٠٤ ق . م)

● **ملخص تمهيدى :**

١ – **أسباب حرب بيلوبونيسوس** : دسائس الفرس للتفريق بين اليونانيين غيرة أسبرطة من نهضة أثينا الأدبية والسياسية ، نفور مدن التحالف من أثينا لمعاملتها لهن معاملة السيد للمسود ، تذمر الذوريين أهل ميغارا وكوربثوس من تعطيل تجارتهن بمنافسة أثينا .

٢ – **الدور الأول من حرب بيلوبونيسوس** سنة (٤٣١) إلى سنة (٤٢١ ق . م) : ابتدأت الحرب بمناوشات فى عهد بيريكليس وتعادلت القوتان على الرغم من الطاعون الذى فتك بكثير من الأثينيين وببطلهم الشهير بيريكليس سنة (٤٢٩) ثم حمى وطيسها فى عهد كليون الأثينى وڤراسيذاس الأسبرطى ، وتنافس الخصمان فى القسوة بمن يظفر به ، وبعد موت هذين القائدين فى أمفيبوليس سنة (٤٢١) عقد نيكياس زعيم أنصار السلم مع أسبرطة الصلح مدة خمسين سنة .

٣ – **الكيفياذس** : نقض الصلح سنة (٤١٩) – الحملة على صقلية سنة (٤١٥) إلى سنة (٤١٣) : سعى الكيڤياذس ابن أخى بريكليس فى نقض الصلح ليتوصل بذلك إلى رياسة الدولة ، فعقد تحالفاً مع أرخوس ، ثم رغب الأثينيين فى الحملة على صقلية ، حيث فقدت أثينا أسطولها وجزءاً عظيماً من جيشها .

٤ – **الدور الثانى من حرب بيلوبونيسوس** سنة (٤١٢) إلى سنة (٤٠٤ ق . م) : انتصر الكيفياذس فى وقعتين بحريتين سنة (٤١١) ، ثم انتصر أيضاً بالقرب من كيزيكوس سنة (٤١٠) ، واستولى على بيزنطية سنة (٤٠٨) ، ثم نفى للاشتباه فى أمره وانتصر القواد الأثينيون عند جزائر أرغينوسى غير أن ليسنذروس بحكمته ودهائه هزمهم فى أغوس بوتامى سنة (٤٠٥) ، وقضى على دولتهم فى البحر واستولى على أثينا سنة (٤٠٤) ، وهدم أسوارها وأقام فيها حكومة الثلاثين جباراً التى ما لبثت أن أسقطها ثرازيفولس .

*

(١ - أسباب حرب بيلوبونيسوس)

بعد إلغاء الملوكية فى جميع مدن اليونان وإقامة حكومة الأفراد دبت روح الديمقراطية فى العقول ونهدت الشعوب تسير صوب هذا النوع من الحكومة كل بقدر ما تصبو إليه نفسه ، واختلفت النهضة باختلافهم سرعة وبطئاً ، وتقدمت فى الطريق مدينة وتأخرت أخرى حتى صار فى طرفيه رأساً الجنس الأغريقى وعنواناً وجودة أثينا وأسبرطة ، الأولى تسود فيها الديمقراطية المحضة ، والثانية تقبض عليها يد الأرستقراطية الحديدية ، وبين الاثنتين المدن الأخرى درجات ، فما كان منها أقرب إلى إحدى المدينتين كانت ميولها للاتحاد معها أقوى ، ومن ذلك نشأ التنازع بينهما فى السلطان ، وانقسم العالم اليونانى شطرين مختلفين فى العادات والنظامات اختلافاً يوجب سوء التفاهم فيما يقع عادة بين الأمم المتجاورة أضف إلى ذلك ما كان يقوم به الفرس من الدسائس للتفريق بين مدن اليونان ، فإنهم بعد خيانة بفسانيس عرفوا كيف يربحون بنثر الذهب ما عجزوا عن كسبه بإشهار السلاح .

وقد بقيت أسبرطة بعد انسحابها من الحروب المادية تنظر بعين الحسد والقلق إلى نهضة أثينا الأدبية والسياسية ، وتتبع خطواتها من بعيد متربصة لها زلة تسقطها من سماء مجدها وأوج سعادتها حتى لاح لها أن تنتهز فرصة توتر العلائق بين أثينا ومحالفيها لتثير فى قلوب هؤلاء كامن غيظهم من قيود ذلك التحالف فى وقت انقطعت الحاجة إليه ، وقد قوى عندها هذا الأمل تذمر الدوريين أهل أيِينا [١] ، وميغارا وكورنثوس حلفائها ، مما أصاب تجارتهم من الأضرار بمنافسة أثينا ، فكان ما ذكر وما يرمى إليه بيريكليس من لم شعث اليونانيين وإيجاد الوحدة السياسية بينهم بمثابة قضية خطيرة بين أسبرطة وأثينا لا يمكن الفصل فيها إلا بتحكيم السلاح ، غير أن ذلك لم يكن ليشعل نيران الحروب إلا إذا تطاير شرر الخلاف من ثنايا ما يضمره كل فريق للآخر من السوء ، فلما همت كورنثوس بتأديب مستعمرتها جزيرة كِركيرا [٢] التجأت هذه إلى أثينا ، فأخذت بناصرها والتجأت الأولى إلى أسبرطة فشدت أزرها وابتدأت الحروب

---

(١) جزيرة وسط خليج أيِينا بين شبه جزيرة أرغولِس وشبه حزيرة الأتيكى .

(٢) هى جزيرة قورفو .

الأهلية الكبرى المسماة : حرب بيلوبونيسوس التى شطرتها الإغارة على صقلية شطرين .

* * *

(٢ – الدور الأول من حرب بيلوبونيسوس)

ابتدأ هذا الدور من سنة (٤٣١) وانتهى سنة (٤٢١) ، وكان أبطاله من الأثينيين بيريكليس وكليون ، ومن الأسبرطيين ڤراسيذاس .

(الحرب فى عهد بيريكليس ، الطاعون فى أثينا موت بيريكليس سنة ٤٢٩ ق . م)

إن اتساع نطاق الدولة في عهد بيريكليس وانتشار مستعمراتها على سواحل بحر الأرخبيل حمل الأثينيين على زيادة سفنهم زيادة عظمى حتى صارت تعادل القوى البحرية لجميع المدن اليونانية ، أما فى البر فلم يكن خارج أسوار أثينا وبيرا شيء من القلاع ولا الحصون يوقف سير العدو أو يصد هجماته ، وقد عرف ذلك بيريكليس ، وأمر جميع المقيمين ظاهر أثينا أن يلتجئوا إليها ، فحملوا كل متاعهم وأخشاب مساكنهم ودخلوا المدينة وانبثوا فى أنحائها حتى ضاقت بهم المساكن ، وأقاموا فى المحال العامة وحول الهياكل وبجانب الأسوار ، فلما زحف الأسبرطيون وجدوا أنفسهم وسط صحراء مقفرة وأمام أسوار شاهقة لا حول لهم فيها ولا قوة ، فعدلوا عنها إلى مناوشات أخرى فى قسم الأتيكى ، وفى أثناء ذلك كان القواد الأثينيون يخرجون بأساطيلهم العظيمة يسلبون وينهبون جميع ما يصادفونه فى سواحل بيلوبونيسوس وبيوثيا مقابلة الشر بالشر والعدوان بالعدوان .

وقد نشأ من الازدحام الشديد فى المدينة أن فسد الهواء ووجدت جراثيم الطاعون الذى انتقل إليها من آسيا جواً صالحاً للنمو والانتشار ، ففتك بالأثينيين فتكاً ذريعاً ، وقبل أن يفارق المدينة سطا على بيريكليس أعز أبنائها ، ورافع لواء عزها واختطفه فى وقت كان الأثينيون فى أشد الحاجة إليه .

(الحرب فى عهد كليون ، مسألة سفكتريا
معاهدة نيكياس سنة ٤٢١ ق . م)

بعد موت بيريكليس لم تجد أثينا شهماً من أبنائها يخلفه فى الحكم ويسير وحدة الشعب بحكمة وروية ، وطمح رؤساء الأحزاب إلى مركزه ، وكان كليون الدباغ أحبهم إلى الشعب وأكثرهم تأثيراً فى العامة ، وكان شديداً قاسياً أثار فى رءوس القوم حمية الحرب ، وقاوم جهده أنصار السلم ، وكذلك فعل ڤراسيذاس فى أسبرطة ، فإنه انتصر على حزب المعتدلين وحمل الأسبرطيين على الاستمرار فى القتال حتى يجهزوا على عدوتهم ومنافستهم أثينا ، فأخذت الحرب شكلاً جديداً وظهر فى ميدانها أمة تنتحر بدون شفقة ولا رحمة .

ففى ميتيلينى لما انسلخ أهلها سنة (٤٢٧) من التحالف الأثينى واستنجدوا بأسبرطة قوتلوا حتى أذعنوا ، ثم رقى كليون منبر الخطابة واقترح قتل جميع الرجال من الميتيلينيسين فقبل اقتراحه ، وفى الغد عدلوا عن هذا الحكم وأنفذوا رسلاً إلى الجزيرة لإيقاف المذبحة ، فلم يصلوا إليها إلا بعد أن ذبح من أهلها ألف رجل .

وفى بلاتيه قاومت الحامية الأثينية الجيوش الأسبرطية والثيبية معاً مدة سنتين . ثم رغبوا فى الانسحاب خلسة ، ونجح فى ذلك نصف الحامية وسلم الباقون أنفسهم، وكانوا (٢٢٥) رجلاً ، فذبحوا جميعاً سنة (٤٢٧) ، وسبيت نساؤهم وهدمت مدينتهم ، وقسمت أرضها على الثيبيين .

وفى كركيرا كان الهول أشد نكراً ، فإن الأحزاب السياسية فيها بعد أن اقتتلوا نحو السنتين استنجد الديمقراطيون بأثينا ، فأخذت تناصرهم وسلمتهم زمام الأحكام فى الجزيرة ، فأعملوا الذبح فى مخالفيهم سبعة أيام وصالاً ، وفى أثناء ذلك هرب (٦٠٠) رجل من المضطهدين وسلموا أنفسهم للأثينيين فأمنوهم على شريطة ألا يحاولوا الهرب ، ثم اتهم بعضهم بذلك فنفذ حكم الإعدام على الجميع .

ومع ذلك بقيت الحرب سجالاً لغاية سنة (٤٢٧) ، إذ كانت نتيجتها استيلاء

الأثينيين على بوتيذيا [1] سنة (٤٣٠) ، واستيلاء الأسبرطيين على بلاتيه سنة (٤٢٧) ، ثم رجحت كفة أثينا ونزل الأثينيون بيلوس سنة (٤٢٦) ، ودعوا الهيلوتس (المستعبدين لأسبرطة) إلى الحرية ، فبادرت أسبرطة لاسترداد هذا المركز الخطير بإرسال جيش برى عززته من جهة البحر بجيش من (٤٢٠) أسبرطياً ، نزلوا فى جزيرة سفكتريا القريبة من بيلوس ، ففاجأهم الأسطول الأثينى وحصرهم فيها ، فذعرت أسبرطة من هذا الحادث المفجع لأن أهلها قد نقص عددهم حتى صار فقدان هذا القدر منهم يؤثر فيهم تأثيراً سيئاً ، وطلبت الصلح فرفض سؤلها ، ففكرت فى إيصال المؤونة إلى المحصورين ، ووعد قضاتها الحرية لكل واحد من الهيلوتس يحمل شيئاً من الزاد إلى الجزيرة ، فعرض كثير من الهيلوتس حياتهم للخطر ثمناً لحريتهم وألقوا بأنفسهم فى اليم ومعهم الأزواد إلى أن وصلوا سباحة إلى المحصورين ، وبذلك تيسر لهؤلاء مقاومة الأثينيين أياماً عديدة ، وقلق القوم فى أثينا من هذا التأخير ، واتهم كليون القواد بالجهل والهوادة ، فأنفذوه إلى سفكتريا ، فحمل عليها حملة منكرة حتى ظفر بها وأسر من فيها من الجند ، وأصابت هذه الضربة كبد أسبرطة ، وكادت تقضى عليها ، غير أن نجاح هذه الحملة شدد من عزائم أنصار الحرب وأهاج ڤراسيذاس الأسبرطى ، فجهز جيشاً سافر به إلى ثراقة يتلمس خروج أكنثوس وأمفيبوليس وغيرهما على أثينا واعداً إياها المساعدة ، فنجح فى مسعاه ، وعلم كليون بهذا الخبر ، فسافر إلى أمفيبوليس لاستردادها ، فقتل وقتل خصمه ڤراسيذاس فى اليوم نفسه ، وتعادلت كفتا الحرب مرة ثانية ، وكان موت ذينك الرجلين بمثابة فوز لأنصار السلم ، فقد كلف نيكياس الأثينى بمخابرة الأسبرطيين فى شأن الصلح ، فوصل أخيراً إلى الاتفاق معهم على عقد هدنة مدة خمسين سنة ، وردت كل من أسبرطة وأثينا ما فتحته من البلدان ومن أسرته من الرجال إلى الأخرى ، وبذلك عادتا إلى النقطة التى ابتدأتا منها ، ولكن بعد حرب دامت عشر سنوات أهريقت فيها الدماء وتعطلت أثناءها التجارة وضاع بسببها كثير من الأموال .

* * *

---

(١) مدينة فى مقذنيا فى الجنوب الغربى من مدينة أولنثوس فى شبه جزيرة خلكيديكى .

(٣ - الكيفياذس ، نقض الصلح سنة ٤١٩)
(الحملة على صقلية سنة ٤١٥ إلى سنة ٤١٣)

كان من الواجب على أثينا أن تحافظ على معاهدة نيكياس زمناً طويلاً لتصلح من شأنها ، وتعوض ما فقدته من قوتها ، ولكنها طوحت بنفسها فى حرب أخرى وزعزعت دعائم السلم بدلاً من أن تعمل على توطيدها ، وسبب ذلك أنها ابتليت بعظيم من أسرة الألكميونيين يدعى الكيفياذس ابن أخى بيريكليس طمع فى أن يحصل على مركز عمه بما أوتيه من الذكاء والفصاحة والجرأة ، ولما رأى أن لنيكياس زعيم السلام المحل الأول فى قلوب معظم الأثينيين شرع يفكر فى إشعال نار الحرب ليكون زعيمها ولتنفض الناس من حول نيكياس ، فعلم أن مدينة أرغوس تعمل للاتحاد مع جاراتها للإضرار بالتحالف الأسبرطى ، فخطب ودها وحمل الشعب الأثينى على عقد معاهدة هجومية دفاعية معها ، ورأت أسبرطة فى مسعى أرغوس عدواناً عليها فحاربتها وظفرت بها ووطدت نفوذها فى جميع بيلوبونيسوس ، وأقامت فى تلك المدينة الحكومة الأرستقراطية التى عقدت تحالفاً مع أسبرطة ، وبذلك ألغيت المعاهدة مع أثينا سنة (٤١٩) ، فعد الأثينيون هذا العمل نقضاً للصلح، وحملوا على جزيرة ميلوس الدورية، وفتحوها سنة (٤١٦) وقتلوا من أهلها كل من بلغ الحلم وباعوا النساء والأطفال ، كل ذلك ولم تحرك أسبرطة ساكناً ، ولذلك عد أكثر المؤرخين المدة التى بين سنة (٤٢١) وسنة (٤١٢) من زمن الصلح ، ثم رغب الكيفياذس الأثينيين فى الحملة على صقلية بحجة مساعدة مدينة أيبست الصغيرة على مدينة سيراقوسة العظيمة وأقنعهم بفائدة ذلك حتى كاد التصديق على هذا الاقتراح يكون إجماعاً ، وأعدت أثينا لتلك الحملة من العدد والرجال ما لم تره من قبل مدينة من مدن اليونان .

ففى سنة (٤١٥) خرج من ثغر بيرا (١٣٤) من السفن ، و(١٣٠٠) من الرماة ، و(٥١٠٠) من المشاة المدججين بالسلاح ، وشيع هذا الجمع وسط تهليل الشعب والأمل فى نصره وطيد وترأس على هذا الجيش ثلاثة من عظماء الرجال : لماخوس ، ونيكياس ، والكيفياذس ، ثم اتهم الكيفياذس بانتهاك حرمة الأصنام ، واستدعى للمحاكمة فالتجأ إلى أسبرطة وحرضها على مناوأة أثينا ، أما لماخوس ونيكياس فتراخيا فى الحملة على سبراقوسة كأنهما يمهلانها حتى تأتيها

نجدات من الخارج ، فقد أرسلت لها أسبرطة يليبُس ، وكان من عظماء رجالها شجاعاً عالماً بأساليب الحروب ، فانتصر على الجيش الأثينى انتصاراً غير وجه الأحوال ، وجعل جيش سيراقوسة محاصراً بعد أن كان محصوراً ، فانخلع قلب نيكياس وطير الخبر إلى أثينا فأمدته بجيش عظيم تحت قيادة ذيمستينس بطل بيلوس الذى وصل إلى صقلية فى ربيع سنة (٤١٣) ، ولم يكد يستقر بها حتى حمل على السيراقوسيين حملة عنيفة فقد فيها الأثينيون ألفى رجل بسبب تباطؤ نيكياس فى حركاته الحربية ، وأعقب ذلك انهزام شديد فى وقعة بحرية فقدوا فيها أسطولهم مصدر قوتهم وموضع آمالهم ، ولم يبق أمامهم للنجاة إلا سبيل الهرب ، فترك ساحة القتال أربعون ألفاً من الأثينيين والعدو وراءهم يرشقهم بالنبال ويصوب إليهم السهام ، وهم لا يلوون على شىء حتى اعترضهم نهر أينياروس ، فرموا بأنفسهم فيه وغرق عدد كبير منهم بعضه مثخناً بالجراح ، وبعضه اختطفته الأمواج أو عاقته جثث أقرانه الطافية على سطح الماء المصبوغ بالدماء ، واضطر من نجا من الموت إلى التسليم ، فأعدم القائدان وعذب الباقون شر العذاب مدة سبعين يوماً وبيع من لم يمت منهم فى الأسواق .

* * *

(٤ - الدور الثانى من حرب بيلوبونيسوس سنة ٤١٢ إلى سنة ٤٠٤)

لما التجأ الكيفياذس إلى أسبرطة نصح لها أن تحصن قرية ذِكْليا عند أبواب أثينا حتى لا يكون لهذه المدينة منفذ غير البحر ، وخطب الأسبرطيون ود الفرس فتحالفوا معهم وحرضوا مدن آسيا الصغرى على الخروج ضد أثينا ، ولكن الأثينيين بذلوا جهدهم فى إيقاف تلك المدن عند حدها .

ولحسن حظ أثينا طرد الأسبرطيون الكيفياذس لسوء سلوكه معهم ، فقصد مرزبان الفرس وأقنعه بنقض تحالفه مع أسبرطة وبفائدة تحالفه مع أثينا ، وبذلك تحول مجرى الذهب الفارسي نحو الأثينيين ، فكان لهم قوة عظيمة فى هذه الحرب المشئومة ، وكان بساموس جيش أثينى بذل له الكيفياذس كثيراً من مال الفرس ترغيباً لهم فى السير تحت أمرته ، وسافر به إلى هللسبندس ، وانتصر على الأسبرطيين فى وقعتين بحريتين سنة (٤١١) ، وفى وقعة فى البر والبحر بالقرب

من كيزكوس سنة (٤١٠) ، واستولى على بيزنطية سنة (٤٠٨) ، ووطد سلطان أثينا على ثراقة وبروبنتيس .

وبهذا الفوز العظيم اكتسب الكيڤياذس محبة الشعب ، فألغى الحكم عليه بالنفي ودخل أثينا فى أبهة الظافر المنصور ، وفى السنة نفسها اشتبه فى أمره ونزع منه الحكم وعاد إلى منفاه حيث قتله الفرس .

وفى سنة (٤٠٦) تقابل القواد الأثينيون مع الأسبرطيين عند جزائر أرغينوسى[1] (بأمالة) ، وكانت قوة أثينا البحرية تفوق قوة أسبرطة ، فنُصح للقائد الأسبرطى كاليكراتيذس أن يحارب وهو منسحب ، فلم يصغ لهذه النصيحة وقال : « إنا إذا هزمنا نجد أسبرطة أسطولاً آخر ، أما إذا هربت فأين أجد شرفى ؟ » ، وانتصر فى هذه الوقعة القواد الأثينيون انتصاراً باهراً إلا أنهم أهملوا جمع جثث القتلى وإغاثة الغرقى ، فاستحقوا على ذلك الإعدام ، ولم يشفع لهم ذلك النصر العزيز .

ثم ابتدأ نجم أثينا فى الأفول ، وتمكن ليسندروس من التحالف مع كيخسرو الصغير حاكم آسيا الصغرى ، وآخى أردشيردراز دست الثانى ، واستعان بمال الفرس الكثير فى جمع أسطول عظيم انتصر به على الأثينيين سن (٤٠٥) فى أغوس بوتامى ، وقضى على دولتهم فى البحر بعد أن أسر ثلاثة آلاف منهم ذبحهم جميعاً ، واستولى على سفنهم التى لم ينج منها غير ثمان فقط .

(الاستيلاء على أثينا وإقامة حكومة الثلاثين جباراً)

لم يبق لأثينا بعد وقعة أغوس بوتامى سفن ولا جند ، ومع ذلك قاومت الأسبرطيين ستة أشهر ، ثم تم الاتفاق أخيراً على الشروط الآتية : تسليم المدينة والسفن ، هدم القلاع والحصون ، التنازل عن الأملاك الخارجية .

وتسلم لسندروس المدينة فى ٢٥ أغسطس سنة (٤٠٤) ، وهدم أسوارها ، وأحرق سفنها وسط نغمات الموسيقى وعلى مشهد من المتحالفين مع أسبرطة الذين كانوا يحملون على رءوسهم تيجان الأزهار ، ويتغنون بنشيد حرية اليونان .

---

(١) خمس جزائر صغيرة شرقى لزڤوس (ميتيلينى) بالقرب من سواحل آسيا الصغرى

ولم يكتف ليسندروس بهذه الإهانة ، بل تداخل فى شئون الحكومة ، وشد أزر الحزب الأرستقراطى ، وأقام من أنصاره ثلاثين رجلاً حكاماً على المدينة ، فأحسنوا بادئ بدء معاملة أهلها ، ولما وثقوا من مراكزهم وعززت نفوذهم الحامية الأسبرطية طغوا وبغوا وجردوا الهياكل من أثاثها ، وصادروا الأغنياء فى أموالهم وقتلوا كل من خشوا بأسه أو رأوا منه عداء ، ولذلك استحقوا أن يسميهم التاريخ الطغاة والجبابرة ، ولم يخلص أثينا من استبدادهم إلا ثرازيفولُس الذى كان فر من جورهم مع نفر من أصحابه إلى بيوثيا ، فإنه عاد إلى قسم الأتيكى واستولى على فيلى فى سفح الجبل وعلى مونيخيا بالقرب من بيرا ، فهاجمه الثلاثون جباراً فهزمهم ، ولكنه رخص لهم بالانسحاب إلى الفسيس ، ثم أعاد الحكومة الديمقراطية التى ارتكبت أعظم الآثام بحكمها على سقراط بالإعدام .

* * *

الباب العاشر

عصر عظمة أسبرطة سنة (٤٠٤) إلى سنة (٣٧٩ ق . م)

● **ملخص تمهيدى :**

١ – **عصر عظمة أسبرطة وأدواره** سنة (٤٠٤) إلى سنة (٣٧٩ ق . م) : بعد سقوط أثينا سنة (٤٠٤) شرعت أسبرطة تستبد فى اليونانيين تدريجاً حتى أهاجت سخطهم ، فثاروا ضدها للتخلص من استبدادها ، وينقسم هذا العصر إلى ثلاثة أدوار .

٢ – **الدور الأول** سنة (٤٠٤) إلى سنة (٣٩٥ ق . م) : زمن سلم داخل بلاد اليونان ، وفيه كانت حملة عشرة الآلاف وانسحابهم ، وهم جند سافروا إلى آسيا لمساعدة كيخسرو فى تبوء عرش المملكة الفارسية مكان أخيه أردشير درازدست ، فلما قتل عادوا إلى بلادهم ، ثم اكتشفت مؤامرة فى أسبرطة ضد حكامها فتدورك أمرها .

٣ – **الدور الثانى** سنة (٣٩٥) إلى سنة (٣٨٧ ق . م) : زمن الثورات ضد أسبرطة ، وفيه دمرت أثينا بمساعدة الفرس مالياً الأسطول الأسبرطى ، وكادت تنهض من عثرتها فعقدت أسبرطة مع الفرس معاهدة أنتلكيدس سنة (٣٨٧) التى خانت بها عهد اليونان جميعاً لتحافظ على عظمتها الوهمية .

٤ – **الدور الثالث** سنة (٣٨٧) إلى سنة (٣٧٩ ق . م) : زمن اضطهاد أسبرطة اليونانيين فى منتينيا وفليوس وألنثوس وثيبة بقوة معاهدة أنتلكيدس اضطهاداً جعل الثيبيين أصدقاءها القدماء أول من يشهر عليها الثورة والعصيان .

*

(١ – عصر عظمة أسبرطة وأدواره)

بعد أن انتصرت أسبرطة على أثينا سنة (٤٠٤) صار لها فى بلاد اليونان الكلمة العليا والقول الفصل إلى سنة (٣٧٩ ق . م) ، ولذلك سميت هذه

الفترة بعصر عظمة أسبرطة ، غير أن استبدادها في الأقوام المغلوبين على أمرهم ونقضها العهود مع حلفائها واستنزافها أموالهم وانتهاكها حقوقهم فض الناس من حولها ، وولد البغضاء فى قلوب الثيبيين أصدقائها القدماء ، وقد تم ذلك تدريجاً بحيث يمكن تقسيم عصر عظمة أسبرطة إلى ثلاثة أدوار :

١ – **الدورالأول** من سنة (٤٠٤) إلى سنة (٣٩٥ ق . م) : وهو الزمن الذى ساد فيه الأمن والسلم فى جميع بلاد اليونان لاشتغال الجند وضباطهم بنجدة كيخسرو على أخيه أردشيردراز دست خارج أغريقية ، ولحسن سياسة أيبسيلاس ملك أسبرطة فى ذلك الحين .

٢ – **الدور الثانى** من سنة (٣٩٥) إلى سنة (٣٨٧ ق . م) : وهو زمن الثورات ضد أسبرطة ، وفيه ارتكبت هذه المدينة الغاشمة أفظع الجنايات بتحالفها مع الفرس ضد اليونان .

٣ – **الدور الثالث** من سنة (٣٨٧) إلى سنة (٣٧٩ ق . م) : وهو زمن اضطهاد أسبرطة لحلفائها وقيام الثيبيين أصدقائها بالثورة عليها للتخلص من نير استعبادها .

* * *

(٢ – الدور الأول)

(حملة عشرة الآلاف وانسحابهم سنة ٤٠١ إلى سنة ٤٠٠ ق . م)

إن وقوع أزمة اجتماعية فى غاية الخطورة كان من النتائج الطبيعية لحرب بيلوبونيسوس لولا حوادث لم تكن فى الحسبان حالت دونها بإبعاد أناس من كل الطبقات لا عمل لهم فى زمن السلم ، فإن كيخسرو الصغير عدو أثينا وصديق ليسنذروس لما أخفق سعياً فى تبوء عرش المملكة الفارسية بطريقة سلمية عمد إلى القوة القاهرة ، وطلب من حليفاته أسبرطة وأخوتها أن توفد إليه نفراً من القواد، وما تستطيع جمعه من الجنود المرتزقة ، فلبى نداءه رجال تعودوا الحرب وألفوها وأشربت قلوبهم حبها ، واجتمع له فى زمن قريب عشرة آلاف من الجند تحت قيادة كليارخُس وغيره من الضباط المدربين ، ولم يعلمهم كيخسرو بغرضه إلا وهم فى وادى الفرات ، ثم تقابلوا مع جيش أردشيردرازدست فى كونكسا وسط

أرض الجزيرة ، حيث حاز اليونانيون تمام النصر ، غير أن كيخسرو دفعته حميته إلى الإلقاء بنفسه فى المعمعة رغبة فى الوصول إلى نفس الملك ، فأصيب بضربة مميتة كانت سبباً فى تفرق جنده فى جميع الأنحاء ، وبقى فى ميدان القتال عشرة الآلاف اليونانيون ، فعزموا على العودة إلى بلادهم من جهة الشمال للوصول بسرعة إلى سواحل البحر الأسود ، وشرعوا يجتازون هذا الطريق وسط الصحراوات والجبال والأنهار والثلوج وهم يقاتلون من يناوشهم مع قلة المؤن وتعب المسير ، ومما زاد فى مركزهم حرجاً وقوع قوادهم فى كمين أعده لهم مرزبان الفرس فى تلك الجهات ، فاستولى اليأس والقنوط هنيهة على ذلك الجيش الباسل وبرز من بينهم جزينوفون [1] الذى كان نفى من أثينا بعد موت

---

(١) قائد وفيلسوف ومؤرخ يونانى ، ولد فى أثينا بين سنتى (٤٣٠) ، و(٤٢٥) ، ومات سنة (٣٥٢ ق . م) ، أخذ الحكمة والفلسفة عن سقراط وسافر سنة (٤٠١) إلى آسيا الصغرى مع أحد أصدقائه فى حملة عشرة الآلاف ، وشهد موقعة كونكسا التى قتل فيها كيخسرو بعد انتصاره ، ثم تبع المرتزقة من اليونانيين فى انسحابهم وسط جبال أرمينية ومسالكها الوعرة ، ولما قتل رؤساء الحملة فى الكمين الذى أعده لهم الفرس انتخب من القواد العشرة الذين تآمروا على الجيش ، فكان الساعد القوى فى تذليل كثير من مصاعب المسير ونجاة الجند حتى دخل بهم ثراقة ، ثم عاد إلى أغريقية ، وفى سنة (٣٩٦) صحب أيسيلاوس فى حملته على آسيا الصغرى ، ثم فى حروبه مع أثينا نفسها ، وشهد معه وقعة كورونى ، فساء ذلك أبناء وطنه فأصدروا أمراً بنفيه وصادروه فى أملاكه ، فمنحه الأسبرطيون ملكاً واسعاً فى قسم أليذا جنوبى أولمبيا ، حيث لبث مع زوجه وولده نيفا وعشرين سنة ، وفى سنة (٣٧١) اضطر إلى مغادرة منزله بسبب حرب اشتعلت نيرانها بين أسبرطة وأيليس وشخص إلى كورنثوس واستدعته حينئذ أثينا فلم يعد إليها .

وألف أثناء عزلته كتباً كثيرة فى أربعة مباحث :

١ - تاريخية : وذكر فيها تاريخ اليونان ، وتقهقر عشرة الآلاف ومدائح أيسيلاوس وكيخسرو .

٢ - وسياسية : وذكر فيها جمهوريتى أثينا وأسبرطة وغيرهما .

٣ - وعسكرية : وتكلم فيها على الحروب وترتيبها ونظامها وأساليبها .

٤ - وفلسفية : وفيها مباحث فى الاقتصاد وتوصيات الملوك وذكرى سقراط أستاده .

وكانت كتابته سهلة المأخذ رقيقة المعنى فصيحة الإنشاء جميلة الأسلوب ، قال شيشروت الرومانى : وكانت أحلى من العسل ، ولهذا لقب بالنحلة ، إلا أن بعض المؤرخين يلومه =

أستاذه سقراط ، وشجعهم على المسير وتولى قيادة الحملة مع آخرين حتى وصل بهم في فبراير سنة (٤٠٠ ق . م) إلى طرابزون على البحر الأسود ، ولما لم يجدوا في هذه المدينة سفناً تقلهم إلى بلادهم تتبعوا السواحل حتى وصلوا خريسوبوليس أمام بيزنطية بعد أن قطعوا (٦٤٠٠) كيلومتر في الذهاب ومثلها في الإياب مخترقين معظم أراضي الدولة الفارسية ، ومع ذلك لم يفقدوا غير (١٤٠٠) رجل ، فكان هذا دليلاً على ضعف الفرس وخور عزيمتهم في حماية ذمارهم لم يفت من تفيدهم الحوادث مثل أيِسيلاوُس وفيلبُّس والاسكندر .

(أيِسيلاوُس وسياسته سنة ٣٩٩ إلى سنة ٣٩٥)

إن حملة كيخسرو وسأم الناس من توالي الحروب وانصرافهم إلى النظر في شؤونهم كان سبباً في نشر السلام على ربوع اليونان في السنين الأولى من عظمة أسبرطة ، فإنه لم يحصل أثناء ذلك الدور الأول غير مؤامرة بزعامة كيناذن في أسبرطة نفسها من اللقدمونيين غير الوطنيين الأسبرطيين ، ومن الهيلوتس يرمون بها إلى الفتك بحكام المدينة ، فاكتشف أمرها ليلة يوم التنفيذ وعوقب أعضاؤها بأقصى العقوبات ، وفي ذلك الحين كان تنصيب أيِسيلاوس ملكاً على أسبرطة مكان ابن أخيه القاصر بفضل مسعى ليسندروس الذى كان يعلل نفسه بالحكم مكانه مقابل تلك المساعدة ، غير أن أيسيلاوس كان أرقى من أن يستعمل آلة في يد غيره ، وتخلص في أقرب فرصة سنحت له من ليسندروس بإبعاده عن الجيش، وخبر ذلك أنه لما شخص أيسيلاوس سنة (٣٩٦) إلى آسيا لرفع اضطهاد الفرس لليونانيين في تلك الأصقاع صحبه ليسندروس ، وتسامى عليه حتى خيل أنه الملك ، وأن أيسيلاوس أحد أفراد الجند ، فغضب من ذلك الملك وبدت بوادر غيرته على نفوذه وتمسكه بحقوقه ، فتدارك الأمر ليسندروس واستأذنه في الرجوع إلى أسبرطة ، فأذن له وبقي على رأس الجيش اليوناني في آسيا ، وهزم مرزبان الفرس في سرد وسار إلى آسيا العليا ، فاضطربت أعصاب أردشيردرازدست ، والتجأ إلى ابتياع الذمم في اليونان بذهبه الوضاح ، وأنفذ

= على انحيازه للأسبرطيين ، أما اعتقاده ومبادئه الفلسفية ، فهي نفس اعتقادات سقراط معلمه، وقد حفظت أكثر تآليفه وطبعت وترجمت إلى لغات أفرنجية كثيرة ، وترجم العرب قسماً كبيراً منها .

أحد أعوانه إلى أغريقية وسلحه بخمسين وزنة (١٠٨٠٠ جنيه مصرى تقريباً) ، فقوبل على الرحب والسعة فى ثيبه وأرغوس وكورنثوس وأثينا ، وعقدت هذه المدن معاهدة على إسقاط أسبرطة ، فسار ليسندروس لمحاربة المتحالفين ، فانتصروا عليه وقتلوه فى هاليَرتَس من أعمال بيوثيا ، وذعرت أسبرطة من هذا الانكسار وأسرعت باستدعاء أيسيلاوس سنة (٣٩٤) ، فغادر آسيا على كره منه وهو يقول : « إنما يخرجنى من آسيا ثلاثون ألفاً من الرماة » يشير بذلك إلى الصور الموسومة بها الثلاثون ألف قطعة من العملة الذهبية التى أرسلها ملك الفرس لإشعال الفتنة فى بلاد اليونان .

* * *

(٣ – الدور الثانى)

(نهضة أثينا سنة ٣٩٥ إلى سنة ٣٨٧ ق . م)

إن عودة أيسيلاوس إلى أغريقية لم تعد بكبير فائدة على أسبرطة ، فإنه قاسى الصعاب فى اختراق ثساليا ، ولم ينتصر فى كوروني (من أعمال بيوثيا) سنة (٣٩٤) إلا بعد جهد جهيد ، وأبلى الثيبيون فى هذه الواقعة بلاء حسناً ينبئ بأن الدهر أعدهم للقضاء على الأسبرطيين ، على أن النصر لم يطفئ جذوة الحرب فى بيوثيا إلا ليشعلها حول كورنثوس ، حيث استمر لهيبها مستعراً من سنة (٣٩٤) إلى سنة (٣٣٨ ق . م) . أما فى البحر فقد كان لأثينا الشأن الأول فى القضاء على نفوذ أسبرطة بفضل مسعى كونُن وكبير دهائه ، وكان هذا الرجل العظيم أحد أمراء الأسطول الأثينى فى وقعة أغوس بوتامى ، ثم هجر بلاده بعد الهزيمة وأقام فى قبرص ، ومع ذلك لم يغب عنه شىء مما يجرى فى أرض اليونان ، وعرف بحكمته ودهائه كيف يستميل مرزبان الفرس فى فينيقية ويقنعه بأن أثينا أحق بمساعدة الفرس من أية مدينة سواها فى أغريقية ، ويقال : إنه سافر إلى شوش تخت المملكة الفارسية لهذا الصدد ، ثم خرج كونن فجأة من خليج قبرص بأسطول فارسى عظيم ، وانقض على الأسطول الأسبرطى عند كينذوس ودمره تدميراً ، ودخل ثغر بيرا بثمانين سفينة ، وشرع سنة (٣٩٣) فى إقامة أسوار المدينة كما فعل ثيمستكليس وكيمون وبيريكليس من قبل ، لولا أن الإنفاق هذه المرة على تلك الأسوار كان من مال الفرس ، وقبل أن يتم عمله سافر إلى

سرد ، حيث سجن ثم قتل ، ويقال : إن سبب شخوصه إلى هذه المدينة رغبته في التحالف مع مرزبانها ، ويقال : إنه استدعى إليها لما رآه الفرس من نقضه العهد معهم ، ويظهر أن الأقرب للصواب إنما هو غدر الفرس به لحرمان أثينا من رجل يقيلها من عثرتها ويعيد لها سيرتها الأولى ، فإنهم لم ينفقوا أموالهم بكرم وسخاء حباً في الأثينيين ، ولا كراهة للأسبرطيين ، وإنما ينفقونه ليضرب بعضهم بعضاً ، وليكون لهم من وراء ضعفهم قوة فيمدوا سلطانهم على المدن الأسيوية اليونانية التي لا يكون لها حينذاك ظهير ولا نصير يدلنا على ما قدمنا قبول الفرس محالفة أسبرطة وعقدهم معها معاهدة أنتلكيذس .

(معاهدة أنتلكيذس سنة ٣٨٧ ق . م)

بعد سفر كونن إلى سرد تسلم قيادة الأسطول الأثيني تراسيڤولس الذي أسقط في أثينا حكومة الجبارين ، وأعاد إليها النظام الديمقراطي ، قام بما عهد فيه من الإخلاص ، وأعلى من شأن أثينا بتحالفه مع بيزنطية وخلكيذُن [١] مفتاحي البحر الأسود ، ثم مع لزڤوس وخيوس وأمڤروس ولمنوس من أعظم جزائر بحر الأرخبيل ، فهال الأسبرطيين هذا التقدم السريع ، كما أنه ألقى الرعب في قلوب الفرس الذين أحسنوا وفادة أنتلكيذس سفير أسبرطة ، وبادروا بالاتفاق معه على المعاهدة المسماة باسمه سنة (٣٨٧) بعد أن كانوا رفضوا طلباته قبل هذه المرة ، واكتفوا بالغدر بكونن ، وقد جاء في هذه المعاهدة حسب قول جزينيفون : « إن الملك أردشيردرازدست يرى من العدل أن تدخل في دائرة أملاكه المدن الواقعة في آسيا وجزائر كلازومينة وقبرص ، وأن المدن الأخرى اليونانية صغيرة وكبيرة يرد لها استقلالها ما عدا لمنوس وأمڤروس وسكيروس ، فإنها تبقى لأثينا كما كانت من قبل ، والذين لم يقبلوا شرائط هذا العهد سأشهر عليهم الحرب أنا ومن قبلوه من اليونانيين في البر والبحر ، بحيث لا أدخر لذلك سفناً ولا ذهباً » .

وبهذه المعاهدة حمّل الأسبرطيون أنفسهم الخزي والعار بقبولهم تداخل الفرس في شؤون أغريقية الخاصة ، وقيامهم بتنفيذ شرائط تلك المعاهدة ، وتركهم يوناني آسيا في مخالب أعدائهم القدماء يسومونهم سوء العذاب ، وما جرهم إلى ذلك

---

(١) إحدى مدن بثنيا القديمة في آسيا الصغرى أمام بيزنطية على بوغاز البوسفور .

كله إلا تغاليهم فى حبهم الذاتى ، فقد أرادوا بمعاهدة أنتلكيذس المحافظة على سيادتهم ، فأضاعوا شرفهم وفقدوه إلى الأبد .

* * *

(٤ – الدور الثالث)

(فظائع الاستبداد سنة ٣٨٧ إلى سنة ٣٧٩ ق . م)

بعد معاهدة أنتلكيذس رأت أسبرطة فى نفسها من القوة ما لا حاجة معه إلى العدل ، واتخذت تلك المعاهدة سيفاً سلته على رقاب اليونانيين بحق وبغير حق .

ففى سنة (٣٨٥) دمرت مَنْتينيا فى أركاذيا لا لذنب سوى اتباعها النظام الديمقراطى فى حكومتها ، وبعض عطف منها على أرغوس وأثينا .

ومن سنة (٤٨٤) إلى سنة (٣٨٠) وضعت يدها على حكومة فلْيوس لحماية الأرستقراطيين وإيذاء الديمقراطيين ، ولتجعل فيها حامية عظيمة لوقوعها فى برزخ كورنثوس .

وفى سنة (٣٨٢) شهرت الحرب على أولنثوس الحليفة القديمة لأثينا ، لأنها كانت ساعية فى عمل تحالف بحرى فى خلكيذيكى وعلى سواحل مقذنيا وداهمتها براً وبحراً حتى أذعنت وعدلت عن عقد ذلك التحالف .

وفى سنة (٣٨٣) كان فِبيذَس الأسبرطى يخترق بيوثيا ذاهباً إلى الشمال لمحاربة أولنثوس ، فمر بالقرب من ثيبة ، واتفق أن كان ذلك يوم عيد والثيبيون مشتغلون بإقامة شعائرهم الدينية والطرقات خالية من المارين ، فعلم بذلك فِبيذَس ودخل بجنده المدينة ، وباغت قلعة كذميا فزلزلت ثيبة لهذا الحادث ، وانخلعت قلوب أهلها واستفظع الناس هذه الخيانة حتى أنكرت أسبرطة عمل فبيذس ، وحكمت عليه بعشرة آلاف من الدراهم ونزعت منه القيادة ، ولكنها أبقت القلعة فى قبضتها ، ثم اتهمت أسمنياس رئيس الحزب الديمقراطى فى ثيبة بتحريض القوم على حرب جديدة ، وحكمت عليه بالإعدام ، فازداد فزع الأهلين وهجر المدينة منهم عدد عظيم ، والتجأوا إلى أثينا يدبرون أمراً للتخلص من عظمة أسبرطة واستبدادها .

* * *

الباب الحادى عشر

(عظمة ثيبة سنة ٣٧٩ إلى سنة ٣٦٢ ق . م)

● **ملخص تمهيدى :**

١ - **تخليص ثيبة سنة (٣٧٩ ق . م)** : يرجع الفضل فى ذلك إلى بيلوبيذاس وأيبامينذاس ، فإن الأول كان هاجر مع كثيرين من ثيبة إلى أثينا ، فدبر معهم مؤامرة توصل بها بمساعدة الثانى ورفاقه الذين لم يغادروا بلادهم إلى قتل بعض حكام المدينة والاستيلاء على نقطها الحربية ، وإخراج الأسبرطيين من قلعتها فكان ذلك مبدأ عظمة ثيبة .

٢ - **الدور الأول من عظمة ثيبة سنة (٣٧٩) إلى سنة (٣٧١ ق . م)** : ابتدأ هذا الدور بحروب بينها وبين أسبرطة فى أرض بيوثيا رجحت فيها كفة الثيبيين بمساعدة حلفائهم الأثينيين ، وانتهى بفوز ثيبة العظيم فى وقعة لِفَكْتِرا ، وبنقض أثينا للمحالفة غيرة وحسداً سنة (٣٧١ ق . م) .

٣ - **الدور الثانى من عظمة ثيبة سنة (٣٧١) إلى سنة (٣٦٦ ق . م)** : بعد وقعة لفكترا أغارا يبامينناذاس على بيلوبونسوس ، حيث حاصر أسبرطة مدة قليلة ، ثم عدل عن ذلك وساعد الأركاذيين على إقامة مدينة ميغابوليس والميسينيين على إقامة ميسينى ، واحتل مدينة تيينا ليسد بذلك المنافذ على الأسبرطيين .

٤ - **الدور الثالث من عظمة ثيبة سنة (٣٦٦) إلى سنة (٣٦٢ ق . م)** : بعد أن وطدت ثيبة نفوذها فى الجنوب شرعت تمد سلطانها جهة الشمال ، فتحالف بيلوبيذاس مع مقذُنيا ، وأخذ فيلبس أخا الملك مع آخرين رهينة توثيقاً لتلك المحالفة سنة (٣٦٧) ، ثم حارب ملك ثساليا وهزمه ، ولكنه قتل فى الموقعة سنة (٣٦٤) ، ثم نقضت مدن الجنوب عهد ثيبة ، فذهب إليها أيبامينناذاس والتقى بأعدائه فى منتينيا سنة (٣٦٢) ، وانتصر عليهم ، ولكنه جرح جرحاً أودى بحياته ، وكانت نتيجة تلك الحروب أن اضمحلت جميع المدن اليونانية ، فتصالحت واعترفت كل منها باستقلال الأخرى .

(١ - تخليص ثيبة سنة ٣٧٩ ق . م)

استمر الأسبرطيون محتلين لقلعة كَذْميا في ثيبة ثلاث سنوات ذاق أثناءها الثيبيون الأمرين من سوء سياسة الأرستقراطيين أرخياس وفيلبس وليونتياذس الذين أقامتهم أسبرطة حكاماً على المدينة ، فقد كان مثلهم فيها كمثل الثلاثين جباراً في أثينا ، وقد نتج من ذلك أن هاجر من البلاد إلى أثينا نفر من الأهلين اتهموا ببعض الجرائم السياسية ، وكان من بين هؤلاء المهاجرين بيلوبيذاس ، وهو رجل من الموسرين العريقين في الشرف ، ومن ذوى المبادئ الديمقراطية ، فأقنع زملاءه بأنه من الواجب أن يتشبهوا بثراسيفولس ورفاقه الأثينيين الذين خلصوا بلادهم من حكومة الثلاثين جباراً ، فيحذوا حذوهم ويخلصوا ثيبة مهما كلفهم ذلك من الصعاب والمشاق .

ثم تمت كلمتهم على أن يدخلوا المدينة فرادى في زى الصيادين ويقصدوا جميعاً بيت خارون أحد أعضاء المؤامرة ، ثم تُدعى الحكام إلى وليمة عظيمة في منزل زميلهم فِلّيذاس ، لأنه لم يشتبه في أمره مطلقاً ، فإذا انتصف الليل أخذ المدعوون على غرة منهم ، وأُخرج من في السجون واحتُلت النقط الحربية ، ثم نفذوا ما ارتسموا ونجحوا في إتمامه كل النجاح ، وأطلقوا في المدينة منادياً يذيع خبر تخليصها من حكامها المستبدين ، فالتف حولهم كثير من أنصارهم تحت قيادة أيبامينِنذاس وهو رجل لم يرغب أصلاً في المهاجرة من ثيبة ، وبقى فيها يعمل للانتقام من الأسبرطيين تحت ستار فقره وعدم شهرته ، وما كاد ينبلج الصبح حتى وفد باقى المهاجرين مع نفر من الأثنيين وانضموا إلى إخوانهم وضيقوا الحصار على القلعة حتى سلم من فيها وأخلى المدينة الأسبرطيون وفارقوها إلى الأبد ، وكان ذلك سنة (٣٧٩ ق . م) ، وهى السنة التى ابتدأت فيها عظمة ثيبة على أنقاض جمهوريتى أسبرطة وأثينا .

* * *

(٢ - الدور الأول سنة ٣٧٩ إلى سنة ٣٧١ ق . م)

(الحرب في بيوثيا)

إن استرداد الثيبيين لقلعة كذميا جر عليهم حرباً عنيفة مع الأسبرطيين ، فإن هؤلاء لبثوا ثمانى سنوات يجردون الجيوش ويشنون الغارات على ثيبة وجميع مدن

بيوثيا للاستيلاء عليها ، غير أن بيلوبيذاس وأيبامينناس لم يطوحا بجندهما فى وقعة حاسمة من أول الأمر ، بل مكثا يناوشانهم من بعيد فى السهول وعلى المرتفعات حتى ألف الثيبيون رؤية الأسبرطيين ، وعرفوا نظامهم الحربى .

وفى تلك الأثناء كانا يحوّران فى نظام جيوشهما خصوصاً الفرقة المقدسة ، وهى نفر من نخبة الجيش كانوا مبعثرين فى الصفوف الأولى ، فجمعهم بيلوبيذاس وكون منهم فرقة تعمل وحدها ليظهر فضلها ، وترهب العدو بشجاعتها وإقدامها .

وفى سنة (٣٧٥ ق . م) شخص بيلوبيذاس ومعه ثلثمائة من الجند إلى أرخيمينوس ، فتقابل فجأة مع فئة كبيرة من اللقدمونيين ، فانتصر عليهم وهزمهم شر هزيمة ، وكان لهذه الوقعة ذكر فى جميع أنحاء أغريقية لغلبة الثيبيين وهم قليلون على الأسبرطيين ، وهم كثيرون ولم تعهد لهم كبوة فى البر إلى ذلك الحين ، وفيها قال بلوترخوس المؤرخ الشهير : « من هذه الوقعة تعلم اليونانيون أن نهر أفروتاس ليس وحده مهداً للأبطال البسل ، بل فى كل وطن يحمر وجه الشبيبة خجلاً مما يمس الشرف ، فتدفعها الحمية وراء كل ما يكسبها المجد ، وفى كل مكان يكون اللوم أشد وقعاً على النفوس من حدود الظبات وأطراف الأسل ، هناك تلقى الشجاعة تربة طيبة ومنبتاً كريماً » .

وكانت نتيجتها أن عادت ثيبة على رأس التعاهد البيوثى ، وصار يخشى بأسها وتهاب صولتها .

(محالفة أثينا مع ثيبة ، نقض المحالفة)

(وقعة لِفُكتَرا سنة ٣٧١ ق . م)

خرج بيلوبيذاس وأصحابه من أثينا مزودين بالرجال والنصائح لتخليص وطنهم ثيبة من أيدى الأسبرطيين ، فلما كللت أعمالهم بالنجاح سيرت أسبرطة الجيوش تلو الجيوش للإغارة على بيوثيا ، ومر سفوذرياس أحد القواد بالقرب من الأتيكى فسولت له نفسه أن يباغت ثغر بيرا كما فعل فقيذاس من قبل بكذميا ، وسار صوبه ليلاً ، وكاد يدرك غرضه لولا أن فضح أمره انبلاج الصبح ، وعرف الأثينيون ما تكنه لهم صدور الأسبرطيين من الغدر والخيانة ، وعقدوا مع الثيبيين

محالفة هجومية زادت في مركز أسبرطة حرجاً ، وانتقض بذلك صلح أنتلكيذس ، وقد عاد هذا التحالف على أثينا بالفوائد الجمة ، فجهزت أسطولاً عظيماً أمرت عليه تيموثيوس ، وانتصرت على الأسبرطيين بالقرب من نكسوس في سبتمبر سنة (٣٧٦) ، ووسع نطاق تحالفها البحرى سبعين مدينة ، وقد وصلت سفنها إلى بحر اليونان وحالفتها كركيرا ، كما كان الحال قبل حرب بيلوبونيسوس ، وفي هذه الأثناء وطدت ثيبة نفوذها على مدن بيوثيا .

ثم ساورت أثينا عوامل الغيرة والحسد من تقدم ثيبة ورقيها الحربي والسياسي فنقضت عهدها معها وخابرت أسبرطة في شأن الصلح ، وأوفدت إليها نفراً من الأثينيين لقنتهم كلماً يشف عما يغلى فى صدورهم من غل على الثيبيين ، وهو أن جميع مدن اليونان قسمان : قسم من حزب أسبرطة ، وقسم من حزب أثينا ، فإذا ارتبطنا وإياكم بالمحبة والصداقة ، فأى خصم نخشى بأسه بعد ذلك ؟

لا شك أن هذه الصداقة ستكون لها قوة نصد بها من يهاجمنا براً ، كما أن صداقتنا ستكون لكم قوة تصدون بها من يهاجمكم بحراً ، وعلى ذلك اتفق الفريقان على أن يستدعى الأسبرطيون مندوبيهم الحربيين من المدن الخاضعة لهم ، وأن تصرف كل من أسبرطة وأثينا جيوشها البرية والبحرية ، ويمنح الاستقلال لجميع مدن اليونان ، وإذا نقض أحد المتعاقدين أحد هذه الشروط يرغمه الباقون على العمل به ، وقد وضعت هذه الفقرة لإيقاف مطامع ثيبة ، فلم تشترك معها في هذا التعاقد ، ثم أقسمت أسبرطة بالأصالة عن نفسها وبالنيابة عن حلفائها بمراعاة تلك الشروط ، وكذلك فعلت أثينا وحلفاؤها ، وتم هذا التحالف في يونيه سنة (٣٧١ ق . م) .

وقبل أن يمضى على ذلك عشرون يوماً اشتبك الأسبرطيون والثيبيون عند لفكترا في وقعة حاسمة خلصت بيوثيا جميعها من أيدى المتحالفين ، فقد خسرت فيها أسبرطة ألف قتيل من اللقدمونيين وأربعمائة من أبنائها الذين لم يبق منهم بعد هذه الحروب الطويلة غير ثلثمائة ، فلم يكن في وسعها بعد هذه الخسارة أن تأتى عملاً ما شمال برزخ كورنثوس ، وقد أثبتت وقعة لفكترا قول بلوترخوس وأيدته كل التأييد ، فإن جيش الأسبرطيين كان مركباً من عشرة آلاف من المشاة وألف من

الفرسان يقودهم ملكهم كليومفروتُس ، وجيش الثيبيين لا يتجاوز ستة الآلاف يقودهم البطلان العظيمان بيلوبيذاس وأبيامينذاس .

(رباطة جأش الأسبرطيين)

بينما كان الأسبرطيون يحتفلون في مدينتهم بعيد عظيم لهم ، والفتيان والفتيات يتغنون الأناشيد في دور التمثيل ، إذ داهمهم نبأ هزيمتهم المنكرة أمام الثيبيين ، فأصدر القضاة الأوامر بأن يبقى القوم في حبورهم والمدينة تختال في زينتها ، ولما عرفت أسماء القتلى في ساحة الحرب وأسماء الفارين منها في صبيحة ذلك اليوم خرج أهل من ذهبوا ضحية ثباتهم في أحسن الأزياء جذلين مبتهجين ، واحتبس الآخرون في بيوتهم كما يفعلون في أيام الحداد ، ولما اضطروا إلى الخروج مشوا خاشعي الأبصار مطأطئي الرءوس ، فخفخة باطلة وتفاخر كاذب ، فقد فاتهم أن من القتلى من يستدر موته الدموع وتنشق لفقده الجيوب ، فاتهم أن أسبرطة وطنهم المحبوب قبرت مع ضحايا لفكترا وقبرت معها مطامعها في بسط نفوذها على بلاد اليونان .

(٣ - الدور الثاني سنة ٣٧١ إلى سنة ٣٦٦ ق . م)

(أبيامينذاس في بيلوبونيسوس ، ميغابوليس وميسيني)

بعد وقعة لفكترا زحف الثيبيون برجلهم وخيلهم على بيلوبونيسوس تنفيذاً لما رسمه لهم أبيامينذاس من الخطط السياسية ، فقد عرف هذا الرجل العظيم أن أقوم السبل للقضاء على نفوذ أسبرطة إنما هو جمع شمل العنصر الميسيني والعنصر الأركاذي على أبوابها ، ودعا أربعين قرية من قسم أركاذيا إلى الاشتراك في تأسيس مدينة عظيمة يطلق عليها اسم ميغابوليس لتكون عاصمة وقلعة حصينة للأركاذيين ، فآلم هذا المشروع الأسبرطيين ورغبوا في مناوأته ، فأنفذ أبيامينذاس إلى بيلوبونيسوس جيشاً لحماية القائمين بذلك العمل العظيم ، ثم أغار على لاكونيا سنة (٣٧٠ ق . م) متبعاً في طريقه نهر أفروتاس حتى وصل إلى أسبرطة التي لم ير أهلها منذ تأسيسها نيران الأعداء تضيء حولهم وأموالهم تنهب على مرأى منهم ، وزاد الخطب هولاً محاولة مائتين من الأسبرطيين خيانة إخوانهم بالانضمام إلى الأعداء ، وقد آنس منهم ذلك ملكهم المحنك أيسيلاوس وتدارك الأمر بإعدام زعمائهم ليلاً .

وبقى هو وجنده متخذين خطة الدفاع إلى أن رأى أيامينينداس عدم الفائدة فى إطالة الإقامة فى أرض نهب متاعها وسلب خيرها ففارقها ، ولكن بعد أن أقام مدينة ميسينى على سفح جبل أيثوم من جهة الغرب ومدينة ميغابوليس من جهة الشمال ، وبعد أن ترك حامية عظيمة بمدينة تيبيا ، فكان ذلك بمثابة طعنات فى جنبها وصدرها سلبتها الحركة وأعدمتها القوة ، ثم خرج من بيلوبونيسوس هادئاً مطمئناً ، ولما وصل البرزخ قابل عدواً لم يكن له فى حسبان ، وهو جيش الأثينيين ، فتجنب الاشتباك معه وعاد إلى بيوثيا بسلام .

* * *

(٤ – الدور الثالث سنة ٣٦٦ إلى سنة ٣٦٢ ق . م)
(بيلوبيذاس فى ثساليا ومقذنيا ، وقعة منتينيا)
(موت أيامينينداس سنة ٣٦٢ ق . م)

بعد حملة سنة (٣٧٠) اقتصرت أسبرطة لعجزها على إثارة الفتن وتحريك عوامل الغيرة بين منتينيا وميغابوليس ، وفى أثناء ذلك كانت ثيبة تعمل فى الشمال فى ثساليا ومقذنيا على ألا يكون فى تلك الجهات ممالك قوية يخشى بأسها أو تتحالف مع أسبرطة ، وكانت ثساليا على الرغم من خصب أرضها وكثرة عمرانها يمزقها استبداد الحكومة الأرستقراطية ، ويقعد بها على النهوض إلى مصاف مدن اليونان العظيمة ، حتى أتيح لها ياسون ، فكان زعيماً حكيماً مصلحاً لم شعثها ، ونظم إدارتها وسار بها فى طريق الرقى إلى أن مات قتيلاً سنة (٣٧٠) ، وآل الحكم بعده إلى أخويه فقتلا الواحد بعد الآخر ، وتسلم دفة الحكومة الاسكندر ابنه من مدينة فيريوس ، فبادر الثيبيون بإنفاذ بيلوبيذاس إلى ثساليا بمهمة سياسية ، فاستحوذ على زعيمها سنة (٣٦٨ ق . م) ، وضمه إلى زمرة المتحالفين مع ثيبة .

وفى سنة (٣٦٦) عاد بيلوبيذاس فى نفر قليل إلى ثساليا ، فغدر به الاسكندر وقبض عليه وزجه فى السجن إلى سنة (٣٦٥) ، وحينئذ داهم أيامينينداس ذلك الغادر بجيش جرار ألقى الرعب فى قلوب أهل البلاد ، فاضطر الاسكندر إلى عقد هدنة مع ثيبة مدة ثلاثين يوماً على شريطة الإفراج عن بيلوبيذاس ، وفى سنة

(٣٦٤) زحف بيلوبيذاس على الاسكندر للانتقام منه ، فقابله فى سهل كنيسكيفالس وهزمه وهجم عليه وسط حرسه ، فوقع قتيلاً فى ساحة الحرب ، ومع ذلك بقى نفوذ ثيبة سائداً فى ثساليا كلها .

أما مقدنيا ، فكان دخلها بيلوبيذاس سنة (٣٦٧ ق . م) للقضاء على نفوذ أثينا فيها ، وإلزام بطلميوس نائب الملك المحالفة مع ثيبة ، وبعد أن اتفق معه على شروط تلك المحالفة أخذ من أشراف البيوت فى مقدنيا ثلاثين شاباً رهائن ، من بينهم فيلِبُّس أخو الملك شداً للميثاق وتوثيقاً للعهد .

(وقعة منتيبنيا وموت أيبامينناذاس سنة ٣٦٢)

بينما كان الثيبيون يعملون لمد نفوذهم فى الشمال كانت مدن الجنوب فى أركاذيا وأليذا من جراء دسائس أسبرطة تتخاصم وتتحارب ، حتى آل الأمر إلى تداخل الأثينيين والأسبرطيين فى شؤونها ، وشد أزر بعض منها على بعض آخر .

واستولى الأركاذيون على أولمبيا وسلبوا أموال هيكلها ، ثم خافوا تهمة انتهاك حرمة الدين ، فعقدوا الصلح مع أهل أليذا ، وتعهدوا برد ما أخذوه من الأموال ورأت ثيبة فى ذلك حطاً من كرامتها وتقلصاً لظل نفوذها ، فأنفذت أيبامينناذاس إلى بيلوبونيسوس ليرفع قواعد عمله الأول ويوطد دعائمه ، ويضرب على أيدى من نقضوا العهد وخانوا الميثاق .

ولما وصل إلى تِيبِيا علم أن أيسيلاوس غادر أسبرطة على رأس قوتها الحربية ، فحث السير إليها ليلاً ليفاجئها وهى خالية من جيشها ، ونمى الخبر إلى أيسيلاوس ، فعاد إليها وجعل موقف الأعداء إزاءها موقف المحاصر ، كما كانت الحال فى المرة الأولى ، فخشى أيبامينناذاس أن يحصر هو فى وادى أفروتاس الضيق بين أسبرطة وبين جيشها الذى كان يسرع العودة إليها ، وانسحب إلى أركاذيا حيث كانت بعد قليل الوقعة الأخيرة بين مدن اليونان المتنافسة ، فإن أيامينناذاس باغت أعداءه عند منتينيا ، وهجم عليهم بقلب جيشه الذى جمع فيه خيرة الجند وجعله على شكل حيزوم السفينة .

وعلى الرغم من تفوق فرسان أثينا على أحد جناحيه كانت له الغلبة ، ولكن بعد أن جرح جرحاً خطيراً أودى بحياته ، وقبل أن يفيض نفسه الأخير نصح للثيبيين أن يعقدوا الصلح مع المتحاربين .

وقد تم ما أراد أيبامينذاس ، فقد اتفق فى السنة التالية سنة (٣٦١ ق . م) على عقد صلح اشترط فيه استقلال جميع المدن اليونانية على السواء ، غير أن ذلك لم يكن حباً فى السلم ولا كراهة فى الأنانية والأثرة ، بل كلا من الحروب وعجزاً عن القيام بما كان يدور فى خلد كل منها من المشروعات العظيمة والأعمال المجيدة ، فهل تبقى بلاد اليونان بعد ذلك منفكة العرى متفرقة الكلمة ؟ كلا ، فقد أتيح لها رجل من غير أبنائها ، وانتهز فرصة انحلالها وأرغمها على الخضوع له وضمها تحت راية واحدة ، ذلك الرجل هو فيلبس ملك مقدنيا .

* * *

الباب الثانى عشر
عظمة مقذنيا والكلام على فيلبُّس

● **ملخص تمهيدى :**

١ - **وصف مقذنيا قبل فيلبس** : لم تكن ذات ثروة طبيعية ولا ذات تاريخ مجيد ، أهلها رعاة متقشفون يزعمون أنهم من سلالة الهرقليين ، ولكنهم كانوا محتقرين مهينين لخنوعهم للفرس زمن الحروب المادية ، ثم بدأ نجمهم فى الصعود منذ ولى أمرهم فيلبس سنة (٣٥٩ ق . م) .

٢ - **أعمال فيلبس** :

(أ) أصلح مقذنيا فى الداخل وجعل لها حدوداً جغرافية جديدة .

(ب) تداخل فى شؤون أغريقية وبسط نفوذه عليها .

(جـ) جمع كلمة اليونانيين وجهز منهم جيشاً عظيماً ضد الفرس ، ومات قبل أن يسير به إلى آسيا .

٣ - **إصلاح مقذنيا الداخلى وتنظيم جيشها** : نشر فيلبس ألوية السلام على ربوع البلاد ، ونظم جيشها وأنشأ فرقاً حربية جديدة ، وفتح ما على السواحل من المدن كامفيبوليس ، وبذنا ، وكرينيذس ، وغيرها .

٤ - **تداخل فيلبس فى شؤون أغريقية** : بدأ ذلك من سنة (٣٥٣) إلى سنة (٣٣٨ ق . م) ، فاحتل ثساليا وأخمد الحرب المقدسة الأولى التى كانت بين الفوكيذيين ومدن يونانية وابتدأ العداء بينه وبين أثينا ، لما ظهر من نواياه نحو اليونانيين ، فكان لذلك دوران الأول من سنة (٣٥١) عقب الفيلبية الأولى لذيمسشينس إلى صلح سنة (٣٤٦) ، والثانى من سنة (٣٤١) إلى وقعة خيرونيا سنة (٣٣٨ ق . م) التى قضى فيها على أغريقية كلها .

٥ - **تجهيزات فيلبس للحملة على الفرس سنة (٣٣٧ ق . م) ، موته سنة (٣٣٦ ق . م)** : لم يعمد فيلبس إلى استنزاف أموال اليونانيين لاستظهاره

عليهم، بل جمع كلمتهم وجهزهم ليسير بهم ضد الفرس أعدائهم القدماء ، ولكنه قتل قبل أن يحقق هذه الأمنية فبلغها ابنها الاسكندر .

*

(١ - وصف مقدنيا قبل فيلبُّس)

لم يحسب اليونانيون حساباً لمستقبل مقدُنيا التى أعدها الدهر لترث مجد أغريقية ، ذلك لأنها منفصلة عنها بسلسلة جبال أولمبوس الشاهقة (٣٠٠٠ متر) وأرضها تغطيها الجبال والهضاب وأنهارها مسايل محصورة وجوها شديد وتربتها رديئة ، فكان أهلها بحكم الطبيعة فى فاقة وشظف من العيش ، كلهم رعاة يترحلون بماشيتهم من مكان إلى مكان ، وليس لهم مدن عظيمة ، فإن عاصمة بلادهم أيِيه لم تكن إلا قرية ليس لها شأن يذكر ، وكانت لهجتهم يونانية ، ولكن لا يربطهم باليونانيين علاقة ، لأن البحر الذى هو الطريق السهلة للمواصلة كان مقفلاً فى وجوههم يحجبه عنهم حكومات يونانية فى مدن أولنثوس وبوتييديا ... وغيرها .

ويزعم ملوك مقدنيا أنهم من سلالة الهرقليين ، ومع ذلك فقد كانت صحيفة تاريخهم سوداء ، لأنهم كانوا خاضعين لدارا ثم لكرسيوز ، وكان عمل ملكهم الاسكندر فى ذلك الحين بانضمامه إلى حاشية كرسيوز وبتسهيل المسير إلى الفرس فى بلاده للإغارة على أغريقية خيانة كبرى جعلت أهل مقدنيا محتقرين مهينين يسخط عليهم أهل أثينا وثيبة وثراقة وآيليريا .

وفى سنة (٣٥٩) مات ملكهم فى إحدى الحروب ولم يعقب غير ولد قاصر فقام بالأمر فيلبُّس الذى كان من الرهائن التى أخذها بيلوبيذاس الثيبى ، ثم نودى به ملكاً فى السنة نفسها .

* * *

(٢ - أعمال فيلبُّس)

تبوأ فيلبُّس عرش مقدنيا والمملكة مختلة معتلة ، فجعلها فى زمن قريب من النظام والقوة بمكان عظيم يسر لها القيام بمهمة عجزت أعظم حكومات أغريقية عن القيام بها ، ويمكن تقسيم عمله إلى ثلاثة أقسام :

١ - إصلاح مقدنيا فى الداخل ووضع حدود لها جديدة .

٢ - تداخله الفعلى فى شؤون أغريقية ومد سلطانه عليها .

٣ - وضع مشروع خطير فى تسيير الأغريق متحدين متكاتفين وتوجيههم ضد الفرس ، وقد مات قبل إنفاذه .

ومن الغريب أن هذا الملك الذى قام بهذه المدهشات من الأعمال كان أميراً لم يبلغ شأواً بعيداً فى الحضارة ، بل كانت عاداته وملاهيه وقسوته بربرية بحتة ، ولكنه كان حاد الذهن سريع الخاطر نقاداً خداعاً ، ثم أكسبته إقامته فى ثيبة ومعاشرته أمثال : أيبامينينداس ، وأفلاطون ، وأرسطوطاليس ، صفات سياسية عظيمة ، وأوجدت عنده فكرة ملأت فؤاده وشغلت كل عقله ، وهى جمع كلمة اليونان ، وإيجاد الوحدة السياسية بينهم ، وصرفهم إلى العمل متحدين لخير بلادهم ، وزيادة على ذلك قد ساعدته الظروف وزاده قوة ضعف أخصامه .

* * *

(٣ - إصلاح مقدنيا الداخلى وتنظيم جيشها)

لم يكن فى وسع فيلبُّس القيام بعمل ما داخل مملكته ما دام البربر يعيثون فيها الفساد، فإن مقدنيا لم يكن لها حدود معلومة إلا من جهة الجنوب والتراقيون والأيليريون كانوا يتوغلون فيها إلى أبواب عاصمتها ، وكل فريق منهم يشد أزر واحد من الأدعياء فى الملك ، ويشجع هؤلاء الأدعياء التجار الأثينيون فى المدن الساحلية ليجنوا من وراء هذا الاضطراب ربحاً كثيراً ، فعمد فيلبُّس أولاً إلى تطهير البلاد من البربر ، فأخرجهم منها ، وأبعد الحدود من الشمال إلى جبال أرڤيلوس [١] ، ومن الغرب إلى جبال البندوس الواقعة بين منحدر البحر اليونانى ومنحدر بحر الأرخبيل ، وقد تعدى هذه الحدود الأخيرة الأيليريون ، ولكن فيلبُّس كان يردهم بخسائر فادحة وتحالف عليهم مع ملك إبيروس ، وتزوج ابنته أولمبياس توثيقاً لذلك التحالف ، ثم تقدم من جهة الشرق إلى نهر ستريمون ، وبذلك ساد الأمن على ربوع مقدنيا .

---

(١) جزء من السلسلة الجبلية الممتدة من الغرب إلى البحر الأسود موازية تقريباً لسواحل بحر أيجيبون .

ولاتقاء شر الأعيان ألزمهم أولاً الطاعة له ، ثم أخذ منهم أولادهم رهائن عنده على ذلك ، ورباهم مع ابنه الاسكندر على الصدق والإخلاص ، وكوّن منهم حرسه الخاص ، وكما ملك الأعيان ملك الجند بما كان يبذله لهم من الغنائم والأسلاب ، ثم كون منهم الفرقة المقذونية المشهورة باسم فالنجس على مثال الفرقة المقدسة التى أنشأها إيبامينذاس ، إلا أنه جعلها ستة صفوف بدلاً من ستة عشر صفاً ، وأبلغ عدد جندها ستة عشر ألفاً تقريباً بدلاً من ستة آلاف ، وكان سلاح الجندى فيها سيفاً قصيراً ورمحاً طوله سبعة أمتار ، حتى إذا ما سارت الفرقة للقتال كانت رماح الصف الأخير تتقدم بمقدار متر الصف الأول منها ، ومرنها على أن تكوّن مربعاً أو مثلثاً عند النداء بسرعة مدهشة ، وجعل بجانب هذه الفرقة جنداً آخرين يحملون الدرق وما خف من السلاح ، وعدداً عظيماً من الطلائع والرماة جندهم من التراقيين .

(أبعاد الحدود المقذونية إلى بحر الأرخبيل)

لم يعزب عن فيلبس الفوائد الجمة التى يجنيها من إبعاد حدود مملكته إلى البحر ، وكان يرى أن الساحل الذى بين تساليا ومصب نهر ستريمون حق طبيعى لمقذنيا ، غير أن اليونانيين كانوا أقاموا على هذا الجزء من السواحل جملة مدن زاهرة عامرة : كامفيبوليس ، وبذنا ، وكرينيذس ، وميثون ، وأولنثوس ، وغيرها وكان كيمون أدخل هذه المدن فى التحالف الأثينى ، ولكنها انسلخت منه على أثر حروب بيلوبونيسوس وبقيت من ذلك العهد منفصلة بعضها عن بعض ، فرغب فيلبس فى الاستيلاء عليها ، وولى وجهه أولاً شطر أمفيبوليس لوقوعها على مصب نهر ستريمون حاكمة على المنفذ الموصل لمقذنيا إلى البحر وحامية للطريق البحرية المؤدية لوادى النهر المذكور ، ولما كان يخشى اتحاد أثينا وأولنثوس على مقاومته لجأ إلى المكر والخديعة ، فأمن شر أولنثوس بتنازله لها عن مدينة أنثيموس وغل أيدى الأثينيين بتأكيده لهم أنه لم يرغب فى فتح أمفيبوليس ، إلا ليردها لأثينا على أن يرخصوا له فى احتلال بذنا إحدى المدن التى كانت تابعة لمقذنيا فى عهد أبيه ، ثم هام أمفيبوليس وضيق عليها الخناق حتى سلمت ووضع يده عليها، وبناء على التعاقد الذى بينه وبين الأثينيين الذى يقضى بأنه لا يسلمهم أمفيبوليس إلا بعد احتلال بذنا قصد على الفور هذه المدينة ودخلها ظافراً منصوراً ، غير أنه

أبقى المدينتين فى حوزته سنة (٣٥٨) ، ثم خشى فيلبس أن يحمل هذا الغدر الأثينيين على التحالف مع أولنثوس ، فوعد هذه المدينة أن يسلمها بوتيذيا بعد طرد الحامية الأثينية منها وصدق الوعد هذه المرة لغاية فى نفسه سنة (٣٥٧) ، وبعد ذلك استولى على بقية المدن الأخرى إلى مصب نهر نستوس من ثراقة ، حيث وجد الأخشاب الصالحة لإنشاء السفن والذهب الكثير لاستئجار الجنود وابتياع ذمم المارقين الخائنين .

وقد ساعدته الفرص على تنفيذ مآربه ، فقد صادف أن المدن المحالفة لأثينا خرجت عليها فى ذلك الوقت ، واستعرت الحروب بين الفريقين من سنة (٣٥٧) إلى سنة (٣٥٥ ق . م) ، وكانت نتيجتها انحلال التحالف البحرى الثانى الذى كان عقده كونن القائد الأثينى مع كثير من الجزر والمستعمرات .

* * *

(٤ – تداخل فيلبس فى شؤون اليونان سنة ٣٥٣ إلى سنة ٣٣٨)
(احتلال فيلبس لثساليا وإخماد الحرب المقدسة الأولى)
(سنة ٣٥٣ إلى سنة ٣٥٢ ق . م)

ما كاد فيلبس ينتهى من حصار ميثون الذى فقد فيه عينه اليمنى حتى ساقت له الأقدار فرصة عقد عليها الخناصر إلى أن وضع يده على ثساليا ، ذلك أن أسرة أليفادى العظيمة رغبت فى قلب حكومة الزعماء بعد قتل الزعيم اسكندر دوفيريوس بيد زوجته وأخوتها ، واستنجدت فيلبس فسرعان ما لبى نداءها ، ودخل ثساليا بجيش عظيم للأخذ بناصر تلك الأسرة ، وانتصر على الزعيم ليكوفرون ، واستولى على مدينة فيريوس ، وأقام الحكومة الجمهورية ، ولكنه لم ينجل عن البلاد بل احتل ثغرى مغنيسيا وباغاسى ، وترك بهما حاميات وولى عليهما حكاماً ، وحينئذ عرفت أليفادى كيف يخدم الدخيل البلاد .

غير أن ذلك لم يمنع كهنة ذلفى ومجالسها الأمفكتيونية من الاستنجاد به ، وخلاصة الخبر أن الفوكيذيين كانوا اغتصبوا أرضاً موقوفة لأبلون ، ولما أريد نزعها منهم بالقوة المسلحة استولوا على الهيكل واعتصموا به ووضعوا أيديهم على ما فيه من الأموال ، وبذلوا كثيراً منها فى استئجار الجنود حتى اجتمع لهم عشرون

ألفاً وانتصروا على الفرق التى أرسلتها بعض مدن اليونان للضرب على أيديهم ، فاضطرت المجالس الأمفكتيونية إلى استنجاد فيلبس ، فاغتنم أيضاً هذه الفرصة وعبأ جيشاً من ثلاثة وعشرين ألف مقاتل دخل به سراعاً إلى فوكيذا ، وهزم الثائرين المغتصبين شر هزيمة ، وأخمد بذلك ما سموه بالحروب المقدسة .

ولما وجد نفسه على أبواب بيوثيا طمع فى الاستيلاء عليها ، واستبق الترموبيل ليحتل أبواب أغريقية ، فسبقه إليها الأثينيون فقفل راجعاً إلى تساليا سنة (٣٥٢ ق . م) .

(الخلاف الأول مع أثينا ومقذنيا سنة ٣٥١ إلى سنة ٣٤٦ ق . م)

لم يبق أقل ريب بعد ما تقدم فى نوايا فيلبس السياسية ، فقد عرف الجميع منها أنه يرمى إلى بسط نفوذه على أغريقية ، وهذا ما تصدت له الحكومات العظمى اليونانية وحبطت أعمالها لإدراكه ، ولحق بها الضعف من جراء ذلك حتى أقعدها عن مقاومة المغيرين عليها ، فإن ثيبة أنهكتها الحروب الأخيرة ، بحيث لم يعد ينتظر أن تصد فيلبس عن أطماعه ، ولا تحاول مناوأته إلا إذا لحقها أذى منه ، وأن أسبرطة التى لا يهمها إلا المحافظة على استقلالها كانت تركن إلى بعدها عنه وحصانة بيلوبونيسوس الطبيعية .

أما أثينا فقد نبذ أهلها تقاليدهم القديمة ، وخمدت حميتهم الوطنية ، وانغمسوا فى اللذات ، وانصرفوا إلى اللهو واللعب حتى أصبحوا لا يتوقع منهم عمل ناجح لإيقاف فيلبس عند حده ، لولا أن أتيح لهم رجل عظيم متقد حباً لبلاده ومملوء غيرة عليها أيقظهم من سباتهم ولفتهم إلى واجباتهم ، ذلك الرجل هو ذيمستينس الخطيب المفوه الشهير الذى أماط اللثام عن سوء نية فيلبس ، وخبث طويته وأبان لهم أن وعوده وعهوده لم تكن إلا لتخدير أعصابهم ، وأخذهم على غرة منهم ، واشتهرت خطبه باسم الفيلبية وهى أربع جاء فى أولادها :

« أيها الأثينيون ، حتى متى سكونكم وإخلادكم إلى التوانى ؟ متى يدب دم الحياة فى عروقكم ويسرى الشعور بالواجب فى أعصابكم ؟ ماذا ترتقبون ؟ أتنتظرون أمراً لم تجر به نواميس الكون ترمى لكم به السما فى أيديكم ؟ أو أن يدفع بكم الإله زفس إلى عمل ما وجب عليكم ؟ عجباً لكم !! أى دافع

للنفوس الأبية إلى فعل ما وجب عليها أقوى من تهديد كلمتها المجتمعة بالتفريق ومجدها المشيد بالنقض وشرفها المرتدى بالتمزيق ؟ عار لا يزايلكم ولا يواريه الموت معكم يوم يواريكم فى حفركم ، أتقنعون بالذهاب هنا وهناك ، يسأل بعضكم بعضاً فى المجامع عما جاءه من الأنباء ، فيجيب واحد بأنه مات ، ويقول الآخر : لا والإله زفس لم يمت ، بل هو مريض ؟ فيا عجبا عجباً يميت القلب ! أى نبأ غير أن مقدونيّا يسعى لقهر أثينا وحطها عن عظمتها والاستيلاء على عرشها ووضع نير الاستعباد على رقاب اليونانيين ؟

وماذا عساكم أن تصيبوا من المغانم إن مرض فيلبس أو مات أو انقضت على رأسه مصيبة من السماء ؟ لئن لم تهبوا من رقودكم وتنشطوا من عقالكم وتنتبهوا من غفلتكم ليسلطن عليكم فيلبس آخر ليس دون هذا فى الشدة عليكم ، فإن فيلبس اليوم ما قوى إلا بضعفكم ، ولا نبه إلا بخمولكم ، ولا تحرك إلا بسكونكم .

لا تقولوا : المرتزقة ، إن المرتزقة إلا جيوش لا ذكر لها إلا على ألسنتكم ، ولا وجود لها إلا فى أفواهكم وبطون صحائفكم ، ائتونى برجال أحراراً نبتتهم تربة أثينا ، يرون سعادتهم فى عزها وشقاوتهم فى ذلها ، ويشعرون بأن نعيمهم فى ظلالها وبؤسهم فى تقلص تلك الظلال عنهم ، من ظهر أرضها بداءتهم وفى بطنها نهايتهم ، منها خلقوا وفيها يعودون تارة أخرى ، أولئك هم أباة الضيم ، وأولئك هم الذين يريقون دماءهم فى تخليص شرفها الرفيع من الأذى .

أيها الأثينيون : أتعلمون لماذا ننفق فى أعيادنا ما لا ننفقه على مراكبنا الحربية ، ونجتمع لها فى يوم معلوم لا نتخطاه على حين أن أساطيلنا لا تنتهى إلى غاياتها التى تؤمها إلا بعد فوت الفرصة ؟ ذلك لأن أمور الأعياد قد مستها العناية من قبل، فسنت لها القوانين ووضعت لها الضوابط ، فلا إهمال ولا تردد ، أما الحروب وعددها وأخذ الأهبة لها ، فلم تلحظها بعد عين قانون ، ولم تمد إليها يد تنظيم ، إذا جاءنا نبأ إغارة من الأطراف ، أذهبنا الوقت فى المشاورة وحشد الجيوش وتدبير نفقاتها حتى لا يبقى من الزمن بقية وتفوتنا الفرصة ، وتقع المواضع التى نحاول تسيير السفن لحمايتها فى يد أعدائنا قبل إقلاع سفينة واحدة من ديارنا ، إن كنا نستبيح لأنفسنا مثل هذا الخطل من قبل ولما نبتل من أجله

بخطر ، فالآن حقت المبادرة إلى تغيير هذه الخطة الشنعاء ، فقد عظم الخطب وتفاقم الأمر حتى بلغ السيل الزبى والسكين العظم وفيلبس ليس بمنته إلا إذا أحكمنا أمورنا وغلقنا الأبواب فى وجهه . . . إلخ .

فكانت خطبته هذه ، وهمّ فيلبس بالاستيلاء على حصن للأثينيين بالقرب من بيزنطية باعثاً لهمة أثينا ومنشطاً لها ، فأصدرت قراراً بتجهيز عدة أساطيل لحماية ذلك الحصن ، غير أن فيلبس عدل عن عزمه ، إما لأنه لم يكن مستعداً يومئذ لمحاربة أثينا ، وإما أن المرض أقعده عن الحرب ، ثم انصرف بكليته مدة سنتين إلى تجميل عاصمة مملكته بالآثار الفخمة وتشجيع الصناع وشهود الروايات الهزلية والانغماس فى اللذات وإنفاذ الذهب الوهاج فى مدن اليونان يهزم به القلوب الضعيفة ويمهد السبيل لفتح البلدان .

ومع ذلك كان ينظر شزراً إلى أولنثوس التى تنازل لها عن مدينة بوتيذيا ثمناً لمحبتها وغلا ليدها ، ويراها شجاً فى حلقه ما دامت مستقلة وقادرة على تهديده بفتح أبوابها للأعداء ينسلون منها إلى قلب مملكته ، ولبث زمناً طويلاً يفكر فى طريقة تدميرها إلى أن سنحت له الفرصة للتحرش بها ، فما كاد يصل إليه نبأ التجاء أميرين من مقذنيا إليها فراراً من غضبه حتى قام من فوره وشخص نحوها ، واستولى على ما حولها من المدن بعضها سلماً وبعضها حرباً ، فارتاعت لذلك أولنثوس ، واستغاثت بأثينا فرقى ذيمسثينس منبر الخطابة ، ووصف سياسة فيلبس بالنفاق ، وقرع الأثينيين وحثهم على الأخذ بناصر أولنثوس حتى أنفذوا إليها ثمانية آلاف من الجنود وثلاثين سفينة ، غير أن سلوك القواد أضاع فائدة هذا الأمداد ، وبذل فيلبس العطاء لقضاة أولنثوس ، ففتحوا له الأبواب وسلموه المدينة سنة (٤٣٧ ق . م) ، فأباحها للنهب والسلب وباع أهلها بيع السلع ، وأنفق نصيبه من الغنيمة فى إقامة احتفالات فخمة وولائم عظيمة حضرها جم غفير من أنحاء أغريقية ، فتلقاهم فيلبس بالبشر والإيناس ، وأحسن وفادتهم حتى ملك قلوبهم وتركهم يعودون إلى مدنهم وكلهم بذور فساد أنبتت ونمت فى بيئاتهم فأجهزت على ما بقى من آيات الوطنية عند سائر اليونان .

(الصلح مع أثينا سنة ٣٤٦ ق . م)

إن حبوط عمل الأثينيين لإنقاذ أولنثوس وسقوط هذه المدينة فى يد فيلبس قوى فى أثينا حزب السلم الذى يترأسه بعض المخلصين كالقائد فوكيون وبعض المنافقين كالخطيب أسخينوس وبعض الخونة المارقين كذيماذس ، ولما لم يجد ذيمسثينس فائدة من استمرار الحرب اضطر إلى عدم مصادرتهم فيما أبدوه من الآراء التى أفضت إلى إرسال بعثة طال أمد مهمتها بمراوغة فيلبس ، ومماطلته لها إلى أن عقد الصلح فى بلاده على شريطة أن يكف كل من الطرفين عن الحرب ، ويبقى فى حوزته ما فتحه من البلدان ، وألا يشمل هذا العقد الفوكيذيين ، وأن يكون لفيلبس وحده الحق فى أمر تأديبهم ، وما كاد يتم التوقيع على ذلك حتى استدعته المجالس الأمفكثيونية لإخماد جذوة الحرب المقدسة الثانية ، فبادر إلى تلبية ندائها واستولى على الثرموبيل ، وقهر الفوكيذيين ، ودمر مدنهم ، وبدد شملهم ، ومحا أسماء مندوبيهم فى تلك المجالس الأمفكثيونية ليقيد اسمه مكانهم ، وبذلك استحوز على الجمعية العمومية الكهنوتية يسخرها فيما يريد ويستخدمها لقضاء مآربه سنة (٣٤٦ ق . م) .

(الخلاف الثانى بين الأثينيين وفيلبس سنة ٣٤٤ إلى سنة ٣٣٩ ق . م)
(الفيلبيات الثلاث الأخيرة)

لم يكن الصلح الذى عقد بين أثينا ومقذنيا ليبقى طويلاً ما دام فيلبس لا يعدل عن أطماعه ، وما دام الأثينيون الوطنيون تنعشهم بقية أمل فى الوقوف أمامه وإحباط مسعاه فى نشر نفوذه على بلاد اليونان .

فقد شرع فيلبس يعمل لعزل أثينا عن باقى المدن الأغريقية ، وأعلن حمايته لميسينى سنة (٣٤٥ ق . م) ، وأخفق سعياً فيما عدا ذلك ، وجاب ذيمسثينس أنحاء بيلوبونيسوس ليكشف عن نيات فيلبس ، ويستميل الناس للتحالف مع أثينا والعمل لمناوأته ، وقال فى خلال ذلك خطبته الثانية سنة (٣٤٤ ق . م) ، وذكر فيها من الأدلة القاطعة والبراهين الدامغة ما جعل فيلبس نفسه يقول : « إنى لأعطيه صوتى ليعلن الحرب على بلادى وأسلمه قيادة الجيوش » .

وفى سنة (٣٤٣ ق . م) سعى فيلبس فى الاستيلاء على برزخ كورنثوس

ليحتل أبواب أغريقية الجنوبية ، فسبقه إليه الأثينيون وحصنوا مدينة ميغارا ، ثم حاول الانقضاض على أمبراكيا فى أكرنانيا [١] ليفتتح طريقاً أخرى إلى الجنوب ، فأسرعت إليها فرقة أثينية إمداداً لها ، فقفل فيلبس عنها راجعاً ، فكان الخصمان وإن لم يلتحما فى موقعة حاسمة يتحاربان من بعيد ، بحيث لم يكن هناك صلح ظاهر ولا حرب حقيقية ، ثم شغلت أثينا بمحاكمة بعض أبنائها الذين اتهمهم ذيمسثينس بممالأة فيلبس ، وانصرف هذا إلى تشييد دور الصناعة وإنشاء السفن وتجريد الحملات على ثراقة واستعمار بعض المدن فيها حتى قارب خرسونيسوس وبيزنطية ، وهدد أثينا فى أملاكها وتجارتها وموارد رزقها ، فقام ذيمسثينس وخطب خطبته الثالثة داعياً مدن اليونان إلى التحالف والتآزر على فيلبس ، وكان ذلك سنة (٣٤٢ ق . م) .

ولما رأت فارس تقدم مقذنيا وتوغلها فى الفتوح توجست خيفة منها وعملت على مناوأتها ، وعلم بذلك ذيمسثينس ، فقام وحث الأثينيين فى خطبته الأخيرة سنة (٣٤١ ق . م) على اغتنام هذه الفرصة وتخليص بيرنثوس وبيزنطية من مطامع فيلبس ، فسيروا إليهما (١٢٠) سفينة وانتصروا عليه مع بعض فرق من الفرس ، واعترافاً بهذا الصنيع الجليل أهدى البيرنثيون إلى ذيمسثينس تاجاً من الذهب سنة (٣٤٠) ، وفى السنة التالية انسحب فيلبس وهو يتميز غيظاً من هذا الانكسار .

(وقعة خيرونيا سنة ٣٣٨ ق . م)

لم يطب لفيلبس عيش بعد أن أرغم على الانسحاب من أمام بيرنثوس وبيزنطية وصار يتحين فرصة ليمحو عار خذلانه فى تلك الموقعة ، ولم يمض على ذلك إلا قليل حتى هيأ له الخائنون صنائعه الأسباب ، وعهدت إليه المجالس الأمفكثيونية قيادة الجيوش فى الحرب المقدسة الثالثة ، فجعل ذلك ذريعة للتداخل فى شؤون أغريقية الوسطى ، وبدلاً من أن يحارب الفوكيذيين استولى على مدينة أيلاتيا مفتاح بيوثيا وأغريقية الجنوبية ، فلم يرتب أحد من الأثينيين فيما يرمى إليه فيلبس من وراء هذا العمل ، وعم الحزن الشعب وملكه الدهش ، ودعا ذيمسثينس الناس

---

(١) قسم غربى أطوليا على بحر اليونان ، ومن أشهر مدنه أمبراكيا فى الشمال الغربى منه .

إلى الحرب وسافر إلى بيوثيا وحملها بقوة حجته وسحر بيانه المدعم بالدفاع عن الحق إلى عقد محالفة مع أثينا هجومية دفاعية ، واجتمع فى بيوثيا ٣٥ ألفاً من المقاتلين تحت أمرة خاريس وليسيكليس الأثينيين ، ولم يكن جيش فيلبس أكثر عدداً ولا أوفر عدةً ، ولكنه كان أحسن مراناً وأجود نظاماً ، وكانت الملحمة فى خيرونيا بالقرب من ثيبة ، وانجلت عن فوز فيلبس فوزاً كبيراً ، فقد فقد الأثينيون ألف قتيل ، وخسر الثيبيون فرقتهم المقدسة جميعها ، وملك فيلبس قلعة كذميا ، وترك بها حامية مقذونية ، وفرض على المدينة ضريبة فداء للأسرى ، وألزمها التنازل عن كل حق فى السيادة على مدن بيوثيا .

أما أثينا ، فأحسن معاملتها ورد إليها أسراها بلا مقابل ، وعقد معها اتفاقاً على أن يترك لها خرسونيوس وجزائر لمنوس وأمفروس وساموس ، ويقال : إن فيلبس لم ينهج هذا السبيل مع أثينا إلا لإعجابه بشهامة بنيها وميله إليهم ، وقد يكون ذلك خوفاً من أسطولها القوى الذى يقوده فوكيون ولم يمسسه أحد بسوء .

* * *

(٥ – تجهيزات فيلبس للحملة على الفرس سنة ٣٣٨ ق . م)
(إلى موته سنة ٣٣٦ ق . م)

كلما تحقق لفيلبس أمل سعى وراء تحقيق أمل آخر ، ولما ظفر باليونانيين لم يتسلح بغلبته لاستنزاف أموال المقهورين كما فعلت أثينا وأسبرطة من قبل ، بل سار على نهج كيمون وأبيسيلاوس ، ورغب فى جمع كلمة اليونان ضد دولة الفرس وتوجيههم إلى قهرها وغلبها على أمرها ، وعقد لهذا الصدد مؤتمراً فى كورنثوس حضره مندوبون من جميع المدن الأغريقية خلا مدينة أسبرطة التى لم يكن وصل إليها فيلبس إلى ذلك الحين ، فقبل اقتراحه وتقرر أن تسلم إليه القيادة العامة سنة (٣٣٧ ق . م) ، ثم عاد إلى مقذنيا ليأخذ للأمر عدته ويحتفل بتزويج ابنته كليوبطرة بختنه [١] الكسندورس ملك أبيروس ، وأقيمت لهذه المناسبة الأفراح والولائم ولبست المدينة حلة بهجة من الزينة وغصت دور التمثيل بالمحتفلين ، وبينما هو فى نشوة النصر وحبور العرس وسعادة الأمل ، انقض عليه

(١) يراد به هنا : أخو الزوجة .

فى الطريق أمير مقدونى اسمه : بفسانيس ، وأصابه من خلف بضربة سيف ألقته على الأرض هامداً مضرجاً بدمائه ، وعمره يناهز ستاً وأربعين سنة ، واختلف فى سبب قتله ، فقيل : إن لزوجه ضلعاً فى هذا الغدر ، وقيل : إن ملك الفرس هو المدبر لهذه الحادثة ، ويرجح أن القاتل انتقم لنفسه بسبب إهانة لحقته من المقتول.

*

(ذكر من نبغ من العظماء فى القرن الرابع قبل الميلاد)

(أفلاطون)

فيلسوف من أشهر فلاسفة اليونان ، ولد فى أثينا سنة (٤٣٠) ، وتوفى سنة (٣٤٨ ق . م) ، وكان ثاقب الفكر غزير المادة ، سليم الذوق ، واسع العقل، ثابت الجنان ، بصيراً حاد الذهن مولعاً بعلم الهندسة ، درس الغراماتيق وهو حدث ودرس الفلسفة ، ومرن جسمه على الألعاب الرياضية ، ثم أتقن الفنون واشتغل بالتصوير والموسيقى وانكب على نظم الشعر ، ولما وجده دون شعر هوميروس ألقى بما كان نظمه فى النار ، وفى سن العشرين من عمره حضر على سقراط إلى أن بلغ الثامنة والعشرين ، ولما سيق سقراط إلى المحكمة وحكم عليه بالإعدام تميز من الغيظ وحزن على موته حزناً كثيراً ، وكره أثينا لجنايتها على أكبر الحكماء وغادرها إلى ميغارا مع نفر من رفاقه التلاميذ ، وهناك قرأ المنطق المبنى على طريقة المهندسين ، ثم ابتدأ فى رحلاته المتتابعة مدة اثنتى عشرة سنة ، وكانت سياحات فلسفية علمية ، فجاب إيطاليا وعاشر فلاسفة المدرسة الفيثاغورية واطلع على أعمالهم السرية ، وتوجه إلى القيروان ونبغ فى العلوم الرياضية ، وسافر إلى مصر وتعرَّف تعاليم كهنتها القديمة ، وقصد صقلية ثلاث مرات ، ولما عاد منها أول مرة إلى أثينا أنشأ مدرسته المعروفة بالأكاذيميا (المجمع العلمى) ، وكتب على بابها : « لا يدخلها إلا الماهر فى الهندسة ، فكانت هذه المدرسة مهداً للحكماء عدة سنين ، خرج منها نفر من الفلاسفة منهم أرسطوطاليس الشهير ، ولبس بعض النساء زى الرجال وانتظمن فى سلك تلاميذها حباً فيها .

قيل : إن أفلاطون كان سوداوى المزاج ، كثير الفكر والتأمل ، ومع ذلك كان لين العريكة بشوشاً حليماً ، ولم يتزوج قط ولم يصبه مرض فى حياته كلها لقناعته واعتداله فى أمر المعيشة ، ولما توفى احتفل الأثينيون بجنازته احتفالاً

عظيماً ، ونصبوا له التماثيل وقربوا له القرابين ، وكُتب على جهة من قبره : «هنا وضع رجل إلهى فاق الناس كلهم فى العلم والعفة والنباهة والأخلاق العادلة ، فكل من مدح الحكمة ، فقد مدحه ، إذ فيه أكثرها » ، وكتب عليه من جهة أخرى : « أيتها الأرض ، إن كنت قد واريت جسد أفلاطون فلا يمكنك الدنو من نفسه التى لا تموت » .

ولهذا الفيلسوف الكبير تآليف كثيرة ، ترجمت إلى أكثر لغات أوروبا القديمة والحديثة ، وعلقت عليها حواش وشروح مفيدة .

ومن آداب أفلاطون وعظاته (من دائرة معارف القرن العشرين) ما يأتى :

١ - للعادة على كل شيء سلطان .

٢ - إذا هرب الحكيم من الناس فاطلبه ، وإذا طلبهم فاهرب منه .

٣ - غاية الأدب أن يستحي المرء من نفسه .

٤ - ما ألمت نفسى إلا من ثلاث : غنى افتقر ، وعزيز ذل ، وحكيم تلاعبت به الجهال .

٥ - اطلب فى الحياة العلم والمال تحز الرياسة على الناس ، لأنهم بين خاص وعام ، فالخاصة تفضلك بما تحسن ، والعامة تفضلك بما تملك .

٦ - العزيز النفس هو الذى لا يذل للفاقة .

٧ - ينبغى للمرء أن ينظر وجهه فى المرآة ، فإن كان حسناً استقبح أن يضيف إليه فعلاً قبيحاً ، وإن كان قبيحاً استقبح أن يجمع بين قبيحين .

٨ - من مدحك بما ليس فيك من الجميل وهو راض عنك ذمك بما ليس فيك وهو ساخط عليك .

٩ - رب مغبوط بنعمة هى بلاؤه ، ورب محسود على حال هى داؤه .

١٠ - ما معى من فضيلة العلم إلا علمى بأنى لست بعالم .

وقيل له : « من يسلم من سائر العيوب وقبيح الأفعال ؟ » ، فقال : « من جعل عقله أمينه ، وحذره وزيره ، والمواعظ زمامه ، والصبر قائده ، والاعتصام بالتوقى ظهيره ، وخوف الله جليسه ، وذكر الموت أنيسه » .

وسئل : أى شيء أنفع للإنسان ؟ قال : « أن يعنى بتقويم نفسه أكثر من عنايته بتقويم غيره » .

وسأله أرسطوطاليس : بماذا يعرف الحكيم أنه قد صار حكيماً ؟ فقال : « إذا لم يكن بما يصيب من الرأى معجباً ، ولا لما يأتى من الأمر متكلفاً ، ولم يستفزه عند الذم الغضب ، ولا يدخله عند المدح النخوة » .

وهذا الكلم المنسوب لأفلاطون من القطع الصغيرة المشكوك فى صحتها .

أما فلسفته : فتعرف بالأفلاطونية وتعاليمه فيها ليست واضحة تمام الوضوح ، ذلك لأن موت سقراط الذى لم يكن قد تقادم عهده كان يقضى عليه بالتحفظ من البحث عن الطبيعة الإلهية ، ويظهر أنه كان يقتدى بكهنة مصر وبعض من سبقه من الفلاسفة باتخاذه تعليمين سرياً وجهرياً . فالأول كان للداخلين في مذهبه ، وكان يعلمهم إياه شفوياً ، ولا يكتم عنهم شيئاً منه . والثانى للعامة ، وكان يعلمهم إياه كتابة ، وكان جزءاً من الأول ومقدمة له .

وكان أساس فلسفته : الأفكار ، وبها ارتقى إلى الخالق تعالى وأوضح تركيب العالم ، ورأيه أنها مصدر الإلهيات ، وعلم تركيب الكون ، وعلم الطبيعيات ، وعلم الكلام والمنطق والأدب والسياسة .

وقد ذهب آباء الكنيسة إلى أنه كان له اطلاع على أسفار موسى ، ولكنهم لم يأتوا على ذلك بدليل يقف عنده العقل السليم .

أما إنشاؤه : فكان شيشرون الرومانى الخطيب البليغ يستحسنه حتى قال : « لو أراد المشترى (الإله زفس) أن يتكلم بلسان الناس لما كان له طريقة للتعبير عما فى نفسه غير طريقة أفلاطون » ، ومع ذلك انتقد أسلوبه تلميذه أرسطوطاليس .

(أرسطوطاليس)

أعظم الحكماء الأقدمين ورأس الفلاسفة المعروفين بالمشائين [1] ، ويعرف بالمعلم الأول ، لأنه أول من وضع التعاليم المنطقية ، وحكمه فى ذلك حكم واضع النحو وواضع العروض .

---

(١) كان من عادته إلقاء الدروس على تلاميذه فى بستان وهو يتمشى ، ومن هنا سمى مَشّاء ، وسمى أتباعه بالمشائين .

ولد في ستاييرا [1] سنة (٣٨٤) ، وتوفي في خلكيس سنة (٣٢٢ ق.م).

أخذ الحكمة في أثينا عن أفلاطون الذي كان يحبه حباً جماً ، ويعني به كثيراً ويبجله ويحترمه لذكائه وحدة ذهنه ، وكان إخوانه التلاميذ يعتقدون أن قريحته خارقة للعادة ، وكان بعضهم يفضل رأيه على رأي معلمه ، ثم مات أفلاطون وقد أخذ عنه أرسطوطاليس جميع علومه ، وخالفه في مسائل استدركها عليه ، وكان يقول : « إنا نحب أفلاطون ونحب الحق ، فإذا افترقا فالحق أولى بالمحبة » ثم ترك أثينا وسار إلى ميسيا وخرج منها إلى ميتيليني فلسبوس ، حيث وصله جواب من فيلبس ملك مقدنيا يطلبه أستاذاً لابنه الاسكندر ويقول له فيه : « إنني لا أهنئ نفسي بولادة ابني بمقدار ما أهنئها بولادته في أيامك » .

وكان الاسكندر حينئذ في السنة الثالثة عشرة من عمره ، فأجابه أرسطوطاليس إلى طلبه ، وعلم الاسكندر وهذبه ، وكان له منزلة ونفوذ عند فيلبس وابنه ، وقام على ذلك سنين عديدة ، ولما ولي الاسكندر المملكة كان لا يبرم أمراً أو ينقضه إلا بإشارته ، ولما غزا مملكة فارس أهداه مالاً كثيراً ، وأرسل إليه كل ما اكتشفه من النبات والحيوان مما لم يكن معروفاً في بلاد اليونان ليفحصه فحصاً علمياً ، ويقال : إن أرسطوطاليس رافقه في كثير من أسفاره ، ثم عاد إلى أثينا سنة (٣٣١) ، وأنشأ مدرسة للحكمة في منتزه بالقرب من المدينة تحدق به الأشجار ، ولم تدم المودة بين أرسطوطاليس والاسكندر ، وذكروا لذلك أسباباً كثيرة أقربها إلى الحقيقة ما بعث به أرسطوطاليس إلى الاسكندر من النصائح لما ساءت حاله ، وفسدت أخلاقه في آخر أيامه .

ومن هذه النصائح قوله : « أيها الملك ، لا تنخدع للهوى وإن خيل إليك أن في انخداعك له خداعه ، فقد يسترسل الإنسان وهو يظن أنه متحفظ ، وأجمع في سياستك بين بدارٍ لا حدة فيه وريثٍ لا غفلة معه ، وأمزج كل شيء بشكله حتى تزداد قوة ، وكن عبداً للحق فعبدُ الحق حر ، وليكن وكدك الإحسان إلى الخلق ومن الإحسان وضع الإساءة في موضعها ، وكن نصيح نفسك فليس لك أرأف بك منك ، وإذا فاتك شيء فاعلم أن ذلك لسهو عرض لك في الشكر

---

(١) مدينة في شبه جزيرة خلكيديكي .

على ما أفادك ، ومهما أخطأك شيء فلا يخطئك الفكر في الرحيل عن هذه الدار . . . » .

ومنها : قوله : « املك رعيتك بالإحسان إليها تظفر بالمحبة منها ، فإن طلبت ذلك بإحسانك أدوم بقاء منه باعتسافك ، واعلم أنك إنما تملك الأبدان فأجمع لها القلوب ، واعلم أن الرعية إذا قدرت أن تقول : قدرت أن تفعل ، فاجتهد ألا تقول : تسلم من أن تفعل » .

وتوفي أرسطوطاليس بعد موت الاسكندر بسنتين ، قيل : إنه مات بالقُولنج[1] وأقيم له مزار وقربت له القرابين كالمعبودات .

ولأرسطوطاليس تآليف في أكثر العلوم والآداب أهمها في علم المنطق والفصاحة والشعر والأدب والسياسة وتاريخ الحيوان وعلم الطبيعة والفلسفة العقلية وعلم النفس وعلم الفلك ، غير أن عباراته عويصة ، ولذلك سببان : أحدهما : صعوبة المواضيع التي يتكلم عنها ، والآخر : الألفاظ الوضعية التي اصطلح عليها دون غيره .

(ذيمستينس)

خطيب يوناني ، مصقع ، ولد في أثينا سنة (٣٨١ ق . م) ، ومات أبوه وهو طفل ، فلم تحسن أمه تربيته ، بل دعاها الحنو إلى تدليله ، فشب حاد الطبع سيء الخلق حتى لقبه أترابه بالحية ، قرأ وهو حدث ، كتب ثوكيذيذس التاريخية وسبر غورها ووعاها جميعها ، وأعجب بفصاحة الخطباء وتصفيق الناس لهم فتاقت نفسه إلى التشبه بهم .

ولما بلغ سن المراهقة خاصم أوصياءه الذين بددوا ثروته ، وفاز عليهم وألزمهم بأداء ما بقي من حقوقه سنة (٣٦٦ ق . م) ، ثم همَّ بالخطابة في الجماعة ، فسخر الناس منه لسقم عبارته وانخفاض صوته ولثغة لسانه ، فقعد به ذلك عن السعي لإدراك غرضه ، غير أن ساتيروس ممثل الكوميديا الشهير شجعه وأفهمه أنه

---

(١) مرض معوى مؤلم .

لا ينقصه غير حسن الإلقاء وإجادة النطق ، وحينئذ شرع ذيمسثينس فى تذليل ما اعترضه من الصعاب .

قال بلوترخوس ، وقوله لا يخلو من المبالغة : إن ذيسمثينس ابتنى حجرة تحت الأرض كان يختفي بها ليمرن لسانه على الخطابة ويتخير الإشارات المناسبة وقت الإلقاء ، وأنه كان يحلق نصف رأسه ليرغم نفسه على ملازمة تلك الحجرة نحو الشهر والشهرين بعيداً عن الناس ، وأنه كان يصعد أحياناً الجبل عدوا وهو يقول أبياتاً من الشعر بصوت عال ، أو يرتقي صخراً على ساحل البحر وفى فمه بعض من الحصى ليحل عقدة لسانه ، ويخطب على الأمواج ويحكم ضوضاءها .

وبعد اعتكافه على تلك الحال عدة سنين لم يعد يخشى بأس الجمهور وانتقاده ورقى منبر الخطابة ، فملك الشعب وحار إعجابه ، واتخذ فصاحته سلاحاً شهره فى وجه فيلبس ليصده عن سلب أغريقية حريتها واستقلالها ، وبقى يدافع عن حقوق بلاده جميع أيام فيلبس وخلفائه إلى أن مات سنة (٣٢٢ ق . م) .

* * *

الباب الثالث عشر

الإسكندر الأكبر

● **ملخص تمهيدى :**

١ - **الاسكندر الأكبر** : ولد سنة (٣٥٦ ق . م) ، وولى الملك سنة (٣٣٦) وكان صورة من أبيه فيلبس فى السياسة والأطماع غير أنه كان يفوقه فى الشجاعة والإقدام وتدبير أمور الملك ، فقد جمع بين التربية البدنية والتربية العقلية ، وإنما يؤخذ عليه بعض التطرف فى القسوة إذا انتقم أو لعبت برأسه الخمر ، ولم يكن موته سنة (٣٢٣) وهو فى عنفوان الشباب إلا نتيجة شرهٍ فى الطعام والشراب وانغماسٍ فى اللذات ، وينقسم حكمه إلى ثلاثة أدوار :

٢ - **الدور الأول** سنة (٣٣٦ إلى سنة ٣٣٤) : تم فيه إخماد الثورات فى بلاد اليونان .

٣ - **الدور الثانى** سنة (٣٣٤ إلى سنة ٣٢٥) : تم فيه انهزام الفرس ، ففتحت الأقاليم البحرية والبلاد الغربية من الدولة الفارسية فى آسيا وأفريقية من سنة (٣٣٤) إلى سنة (٣٣١) ، واحتلت العواصم سنة (٣٣١) والجهات الشمالية والشرقية من سنة (٣٣٠) إلى سنة (٣٢٥) .

٤ - **الدور الثالث** (سنة ٣٢٥ إلى سنة ٣٢٣) : هو عصر أعماله السلمية التى تنحصر فى إدغام اليونانيين والمقدونيين بالفرس والكلدانيين والأشوريين بالمصاهرة .

٥ - **موته ونتيجة عمله** : بعد دخوله بابل انغمس فى اللذات إلى أن أفضى ذلك إلى إصابته بحمى شديدة فى يونية سنة (٣٢٣) لم تمهله إلا أياماً معدودات بعد ما ألف بين الأمم الأسيوية والأمم الأوروبية ، وقد نشأ من هذا التأليف مزيج من حضارة الشرق والغرب سطعت أنواره خارج أغريقية فى مصر والشام .

*

(١ - الاسكندر الأكبر)

ولد الاسكندر فى (٢٩ يوليه سنة ٣٥٦) ، وكان يناهز العشرين عند وفاة أبيه ، ومات سنة (٣٢٣ ق . م) ، وهو فى مقتبل الشباب ، ولقد أكبر معاصروه أعماله فرفعوه فوق مصاف البشر ، وأعجب به الكتاب المتأخرون فجعلوه موضوع أقاصيصهم وبطل رواياتهم مع أن ما حازه من المجد والفخار يرجع معظم الفضل فيه لأبيه .

تبوأ الاسكندر الملك فوجد عدة كاملة للحرب وجنداً منظمين أشداء على الأعداء ذاقوا حلاوة النصر .

تسلم الاسكندر مقاليد الأمور بعد أن ذلل له أبوه الصعاب ، وأزال العقبات وقلم أظافر أغريقية كلها أو كاد .

وجد الاسكندر عملاً وضع أساسه وثبتت دعائمه ينشده المروءة أن يرفع قواعده، فسار على سنن أبيه ونهج منهجه ، ولكنه استأثر بالمجد كله .

وقد عنى فيلبس بتربية الاسكندر تربية صحيحة ، فعهد أمره إلى ثلاثة من أعظم الرجال وأقدرهم ليونيذاس وليسيماخوس وأرسطوطاليس بث فيه كل منهم روحه وحببه في الأخذ بمبادئه .

كان ليونيذاس من أنصار التربية الأسبرطية ، فشب الاسكندر على حب الألعاب الرياضية والشجاعة الذاتية التى كانت تدفعه إلى اقتحام الوغى كأحد أفراد الفرسان ، وقد ظهرت فروسيته وشجاعته حينما اعتلى صهوة الجواد ڤوكيفالُس وحكم عنانه ، وقد عجز أبطال الدولة عن كبح جماحه ، حين ذلك ضمه أبوه إلى صدره وقال له : « أى بنى ، ابحث لنفسك عن ملك آخر ، فإن ملكى هذا ليقصر مداه عن همتك » .

وكان ليسيماخوس وهو يلقنه الأيلياسة يجعله يمثل دور أشيلفس ، فسرى ذلك فى نفسه وتشبه به فى جميع أطواره .

أما أرسطوطاليس ذلك الفيلسوف الكبير والعالم العظيم والسياسى الخطير فقد هذبه وثقفه وعلمه كيف يسوس الأمم ويحكم الشعوب ، غير أن ذكاء الأسكندر وصفاته الكريمة ونفسه العالية ومعلوماته الراقية ، كل ذلك كان مقروناً بحدة الطبع

وقسوة القلب وحب سفك الدماء الذى تجلى بكل مظاهره فى معاملته للثيبيين لما شقوا عليه عصا الطاعة فى أول حكمه ، وكانت قسوته تزداد حتى تصير ضرباً من الجنون إذا انتشى ولعبت برأسه الحميا ، فقد قتل وهو نشوان كليثوس صديق أبيه ، والشاعر الفيلسوف كلليسثينس وفيلوتاس وغيرهما ، ولم يكن موته وهو فى عنفوان الشباب إلا نتيجة شره فى الشراب ونهم فى الطعام وانغماس فى اللذات أعقبته حمى شديدة أودت بحياته فى بضعة أيام ، وهو فى أبهة الملك وعزة السلطان .

* * *

(٢ – الدور الأول من حكمه سنة ٣٣٦ إلى سنة ٣٣٤)

(إخماد الثورات فى بلاد اليونان)

لم يكن يتوقع ثم نتيجة لقتل فيلبس غير أن تثور على مقدنيا الأمم حديثة العهد بالخضوع للأجنبى وتلقى بنيره عن كاهلها ، فلم يصل إلى الثيبيين نعى فيلبس حتى هموا بتغيير نظام حكومتهم ومحاصرة الحامية المقدونية فى كذميا ، واشتد ساعد ذيمستينس وحزبه بعد وهنه ، وبلغ منهم التهور مبلغاً عظيماً حتى قرروا إهداء القاتل تاجاً من الذهب ، ومع ذلك تولت بقية سنة ٣٣٦ ق . م بدون أن يراق دم أو تعذب نفس ، لأن الاسكندر انتقل عقب موت أبيه إلى أواسط أغريقية فى مدينة كورنثوس ليثبت نفسه فى مركز القيادة العامة ، وعقد مؤتمراً ثانياً انحنت فيه الرءوس أمام إرادته ، ولازمت البلاد التؤدة والسكينة فى حضرته ، ثم اضطر سنة (٣٣٥ ق . م) إلى مغادرتها ليوقع بالثراقيين وقبائل البربر المتوطنة على شواطىء نهر الطونة ، وذاع فى أغريقية خبر موته ، فثار الثيبيون وذبحوا ضباط الحرس المقدونى .

ولما بلغ الاسكندر هذا الخبر أسرع بالعودة إلى الجنوب على رأس جيش عظيم وسحق الثائرين تحت أسوار مدينتهم ، وأسر منهم ثلاثين ألف رجل باعهم فى الأسواق وقبض ثمنهم (٤٤٠) وزنة ، ثم هدم المدينة ومحا أثرها خلا القلعة وبيت بنذاروس الشاعر ، وتتبع الحزب الوطنى فى أثينا ونفى منه ذيمستينس ورفاقه ليكورغوس وخاريس وخاريذيموس وإفِيَلتس وميروكليس وغيرهم ، ولم يفكر بعد ذلك إلا فى الإغارة على الفرس .

(٣ - الدور الثانى سنة ٣٣٤ إلى سنة ٣٢٥)

(فتح الأقاليم البحرية فى آسيا سنة ٣٣٤ إلى سنة ٣٣١ ق . م)

فى ربيع سنة (٣٣٤ ق . م) شخص الاسكندر إلى آسيا فى ثلاثين ألفاً من المشاة وخمسة آلاف من الفرسان ، ولم يقدر على الزحف بادئ بدء بأكثر من هذا الجيش لاضطراره إلى ترك قوات عظيمة فى مقدنيا وأغريقية تحت أمرة نائبه انتيبتروس لحفظ الأمن فى البلاد وتوطيد دعائم السلم فى أرجائها ، وقد هون عليه الأمر علمه بما يفتك بالبلاد الفارسية من عوامل الفوضى والاضطراب الذى أعقب قتل المصلح العظيم أردشير درازدست الثانى الملقب بأوخوس .

وقد ارتأى الاسكندر وقواده العظماء من الحكمة والحزم أن يستولوا أولاً على الأقاليم البحرية ليحكموا طرق المواصلات إلى أوروبا ، ويمنعوا أردشيردرازدست وسائل إثارة الشعب اليونانى ، ويسلبوه البلدان الأغريقية الفينيقية التى يجند من أهلها أحسن عسكره ، ويستخدم سفنها العديدة فى مآربه .

سار الاسكندر على هذه الخطة الرشيدة ، ولبث ثلاث سنوات كاملة يفتح تلك الأقاليم البحرية (من ربيع سنة ٣٣٤ إلى ربيع سنة ٣٣١ ق . م) ، وقد قسمت وقعة أيسوس الكبرى (نوفمبر سنة ٣٣٣ ق . م) هذه الفترة إلى شطرين متمايزين ، تم فى الأول منها فتح آسيا الصغرى ، وفى الثانى سوريا ومصر .

(فتح آسيا الصغرى)

أشهر الحوادث فى فتح آسيا الصغرى هى :

١ - وقعة غرانيكوس [١] .
٢ - حصارها ليكرناسوس .
٣ - احتلال فريغيا .

وفى أثناء ذلك هم ممنون أمير الأسطول الفارسى يحرض اليونانيين على العصيان ، فعاجله الموت ونجى الاسكندر من شره .

أما داراكو دومان ملك الفرس فى ذلك الوقت فكان يترقب جيش الاسكندر فى كيليكيا عن مضايق جبال طوروس النافذة إلى سوريا ، والتقى الجمعان فى سهل

---

(١) اسم قديم لنهر صغير فى آسيا الصغرى يخرج من جبال أيدا المسماة الآن قارطاغ ، ويصب فى بحر مرمرة ، وهو يروى قسم ميسيا واسمه الحديث قوجاچاى .

أيسوس ، حيث انهزم دارا وترك فى ميدان الحرب أمه وزوجه وأولاده ، وفر هارباً إلى مضايق سوريا لا يلوى على شيء وتمزق جيشه كل ممزق .

(فتح سوريا ومصر)

بعد أن انتصر الاسكندر فى وقعة أيسوس وطئت خيله ورجله أرض سوريا وسار على سواحلها فكره الفينيقيون رؤيته ورفضت مدينة صور قبوله ، ولما كانت هذه المدينة مقامة على جزيرة قريبة من الساحل ، وكان المقذونيون لا يملكون أسطولاً يضربها من البحر اضطر الاسكندر إلى بناء جسر يوصل إليها ، وحين ذاك هاجمها واستولى عليها عنوة وفتك بأهلها فتكاً ذريعاً ، فذبح منهم ثمانية آلاف وباع ثلاثين ألفاً ، وكذلك فعل بغزة وأهلها وعاقب حاكمها لما أبداه من الدفاع عن بلده بأن ربط قدميه فى ذنب حصانه ، وطاف به سبع مرات حول أسوار المدينة كما فعل أشيلفس بجثة هكتور .

خرج الاسكندر بعد أن شفى واشتفى من فينيقية وقصد أرض العبرانيين ، فأحسنوا لقياه وبشوا فى وجهه لبغضهم جيرانهم وكراهتهم حكام الفرس ، فوعدهم خيراً بعاداتهم ومعتقداتهم ويمم نحو بيت المقدس ، وزاره وتبرك به وسمع من حبرهم الأكبر قول النبى دانيال بأن ملك آسيا موعود لظريف يقدم من الغرب ، وما كان ينتظر من شعب مقهور مغلوب على أمره غير هذا التزلف ، أما الملق الذى أظهره الاسكندر فإنما هو من الخطة السياسية التى ارتسمها قبل الزحف على هاتيك البلاد ، فإنه أظهر للمصريين من العطف والميل ما أظهره نحو معتقدات العبرانيين .

دخل الاسكندر مصر ، ففرح أهلها بمقدمه وعدوه محرراً للبلاد من ربقة الفرس وفتحوا له أبواب منف وأنزلوه منهم منزل الملك ، فقدم القرابين للعجل أبيس وشخص إلى صحراء ليبيا ليزور هيكل أمون ، أكبر آلهة المصريين ، وكان يرمى بذلك إلى أن يتسمى رسمياً باسم « ابن الشمس » ، كما كان يدعى الفراعنة فنال أمنيته بدون عناء وصار ملك مصر الذى لا ينازع ولا يعارض ، ثم رغب فى أن يجعل على ساحل البحر الأبيض المتوسط غربى الفرع الكانوبى [١]

(١) اسم لأحد فروع النيل القديمة الذى كان يشق مديرية البحيرة ، ويصب فى البحر الأبيض المتوسط بقرب (أبو قير) ، وسمى كذلك نسبة إلى مدينة كانت واقعة عليه عند =

مستودعاً عاماً لتجارة الشرق والغرب ، فاختط مدينة عظيمة ، فكانت الاسكندرية سنة (٣٣١ ق . م) .

(فتح الأقاليم الداخلية سنة ٣٣١ إلى سنة ٣٢٥ ق . م)

- (احتلال العواصم الفارسية سنة ٣٣١)

بعد أن استولى الاسكندر على مصر وأسس مدينة الاسكندرية وأمن الطوارئ على بلاد اليونان من طريق البحر الأبيض المتوسط سار إلى ميزوبوتاميا [1] ، وصوب قواته إلى قلب المملكة الفارسية ، فاخترق سوريا ووصل إلى ضحضاح ثابسا كوس على نهر الفرات فى أغسطس سنة (٣٣١ ق . م) ، وعبر النهر بدون عناء لأنه لم يكن مخفوراً ، ثم عبر نهر دجلة وهو آمن أيضاً ، وكان دارا قد عبأ جيشه فى سهل جاقجميلا على الشاطئ الأيسر من هذا النهر ، فى هذا المكان التحم الجيشان (أول أكتوبر سنة ٣٣١ ق . م) ، وسميت الوقعة وقعة أزبل لقرب ميدان الحرب من تلك المدينة ، وقد لاقى فيها جيش الاسكندر مصاعب جمة لكثرة عدد أعدائه ومهارة فرسانهم غير أن حمية جنده كانت تتجدد كلما رأوا ثباتاً من قائدهم وإقداماً من حرسه ، فشتتوا شمل الفرس وتعقبوهم وقتلوهم حيث ثقفوهم وتأثروا دارا طول الليل وكل الغد ، فلم يقفوا له على أثر وعدلوا عن اتباعه .

وكانت نتيجة هذا النصر احتلال عواصم الدولة الفارسية سنة (٣٣١ ق . م) وهى بابل ، حيث دخل الاسكندر واستمال كهنة بعل كما فعل بأحبار بيت المقدس وكهنة أمون ، وشوش وبرسوبوليس مقر ملوك فارس ومقبرة أجدادهم ، وقد أبيحت هذه المدينة ثلاث أشهر للنهب والسلب والإحراق ، حتى عفا أثرها، وفى ربيع سنة (٣٣٠ ق . م) قرر الاسكندر متابعة الزحف جهة الشمال للقبض على دارا والقضاء على دولته .

= مصبه اسمها كانوب ، كان بها دير التوبة ومعبد يحتمى فيه الأرقاء ، ويحج إليه أغلب الناس .

(١) بلاد الجزيرة الحالية التى عاصمتها بغداد .

(فتوح الشمال والشرق سنة ٣٣٠ إلى سنة ٣٢٥ ق . م)

خرج دارا من قلب مملكته طريداً شريداً هائماً على وجهه طالباً النجاة بنفسه والاسكندر لم ينعم عيناً ولم يهدأ بالاً ما دام لم يقبض عليه ، ذلك لعلمه بأنه قادر على المقاومة ، إما فى الشمال من هضبة إيران ، وإما فيما وراء جبال باروباميساذِس فى سهول التركستان الفسيحة ، لأن سكان تلك الأقاليم الواقعة بين بحر قزبين وبحيرة آرال وبين نهرى سيحون وجيحون يعترفون لملك الفرس بالسيادة عليهم .

وبينما الاسكندر يقتفى أثره ويتتبع خطاه ، إذ علم بأن المرزبان قسُّوس قبض عليه وقتله بالقرب من هيكاتُمبيل ، فحزن لذلك حزناً شديداً ، واحتفل بتشييع جنازته احتفالاً مهيباً ، وتتبع القاتل حتى أدركه فيما بين النهرين سنة (٣٢٩ ق . م) ، وسلمه إلى آل دارا فقتلوه شر قتلة .

وبعد أن مد الاسكندر نفوذه جهة الشمال إلى فدافد التركستان رغب فى الشخوص إلى الجنوب ، ونزل فى نهر السند الذى يروى إقليم بنجاب التابع للفرس ، وإن كان له ملوك خاصة وعادات لم تمس ووصل إليه فى ربيع سنة (٣٢٧) فقاومه بوروس أحد ملكى ذلك الإقليم مقاومة شديدة حتى هزم وأسر غير أن الاسكندر أطلق سراحه ، ورد له ملكه لحاجته إليه فى تنظيم تلك الجهات البعيدة التى لم يتعرفها الفرس أنفسهم .

ولما كانت آمال الاسكندر لا تنتهى إلى حد وأطماعه لا تقف عند غاية ، أراد أن يدخل بلاد الهند الأصلية ، وكاشف قواد جيشه بمقصده ، فقابلوه بالسكوت ، ولكن على غير رضا ، فخاطب الجند فتذمروا وعلت ضوضاؤهم وأذعن الاسكندر لإرادتهم ، وأصدر أوامره بالعودة ، وقبل مبارحته هذه الديار قام على شواطئ النهر اثنى عشر مذبحاً على شكل أهرام كبيرة ، ثم ركب جزء عظيم من الجيش نهير هيداسبيس إلى ملتقاه مع نهر السند ، ونزلوا فيه إلى البحر وتبع الجزء الآخر الشاطئ الأيسر .

ولما وصل الجيش إلى دلتا نهر السند شخصوا إلى الغرب وساروا براً نحو ميزوبوتاميا (الجزيرة) ، وكان فى وسعهم أن يتخذوا طريق البحر إلى الخليج الفارسى ليتجنبوا السير فى قفار بلوخستان الحالية وصحاريها ، ولكن المد والجزر

اللذين لم يرهما المقذونيون من قبل روّعاهم وفلا من عزيمتهم ، وبعد إقدام وإحجام أبحر نيارخوس فى أسطوله ليتعرف سواحل المحيط الهندى إلى مصب شط العرب (أغسطس سنة ٣٢٥) ، وتقدم الاسكندر مع معظم جيشه فى تلك الرمال المحرقة وقاسى مع جنده من التعب والعطش والجوع ما كاد يزهق أرواحهم حتى اضطروا إلى ترك عدد عظيم فى الطريق من دواب الحمل ومعدات الجند ، ومن لم يقو منهم على متابعة السير .

قاسى الجيش هذه الأهوال ، وعانى تلك المشاق شهرين متواليين ، ثم بلغ كرمان بشق الأنفس ، فنجوا مما كان يتهددهم وساروا فى طريق السلامة إلى أن دخلوا بابل عاصمة الفرس فى بلاد العراق .

ومما يذكر فى هذه الرحلة أن جندياً عثر على جرعة من الماء العكر بعد جد ونصب فى يوم تتضرم هواجره ، فآثر الاسكندر على نفسه وأمه فرحان جذلاً يقدم له ضالة الجمع ، فتناول منه الاسكندر الماء وسكبه على الأرض كيلا يقال : إن الملك ارتوى وجنده يصهرهم القيظ ويقتلهم الظمأ .

* * *

(٤ - الدور الثالث سنة ٣٢٥ إلى سنة ٣٢٣)
(أعمال الاسكندر السلمية)

شرع الاسكندر فى تنفيذ ما كان يدور بخلده من ضروب الإصلاح فى دولته العظيمة قبل أن ينتهى إلى بابل عاصمته الجديدة ، غير أن الموت لم يمهله ريثما يفرغ من القيام بالمهمة التى افترضها على نفسه ، وإنما يستدل بما قام به من الأعمال فى سنتين اثنتين على علو كعبه فى السياسة وسمو مداركه فى الإدارة .

بدأ الاسكندر بالتأليف بين الفئة الغالبة والأمم المغلوبة ، فبذل جهده فى إدغام اليونانيين والمقذونيين فى أهل البلاد الفارسية من فرس وكلدانيين وأشوريين ، وأقر المرازبة عمال الفرس فى ولاياتهم يعملون فى دائرة اختصاصهم كما كانت الحال من قبل .

ولقد نجح فى جميع ما تصدى له باتخاذه أقوم الطرق وأرشد السبل ، فسن لقومه سنة التزوج بالأسيويات ، واقترن بروكسانة ابنة عظيم فارس ، ثم بفرسينه

المسماة أيضاً ستاتيرا بكرية دارا ، واتبع مثله تسعون من ضباطه فى يوم واحد فى مدينة باسرجاذ ، وأقاموا لذلك مهرجاناً فخماً تآخت فيه الأخصام وتصاهرت الأعداء ، ثم حث الجند على اقتفاء أثر رؤسائهم ووعد مقداراً من النقود كل من تزوج بأسيوية ، فتقدم منهم على قول عشرة آلاف فى يوم واحد .

ثم صرف الاسكندر عنايته فى اجتذاب قلوب الأشراف الفارسيين إليه ، فاستعمل منهم فى جيشه من توسم فيه الذكاء والشجاعة والإقدام ، فاجتمع له ثلاثون ألفاً من خيرة الفتيان ، غير أن ذلك أثار عامل الغيرة عند جنده اليونانيين فتذمروا وعلت ضوضاؤهم وكثر لغطهم ، ثم تمردوا فهددهم الاسكندر بالاستغناء عنهم ، فخلدوا إلى السكينة وساروا معه سيرتهم الأولى .

وليحمل اليونانيين والمقدونيين على التوطن فى تلك الأصقاع الشاسعة والبلدان النائية شيد بها جملة مدن سمى معظمها باسمه « الاسكندرية » ، ولا يزال عدد عظيم منها باقياً إلى الآن زاهياً زاهراً .

ولقد كانت ولا تزال مدينة الاسكندرية المصرية أجملها موقعاً وأعظمها شأناً ، وما سمرقند المركز التجارى للتركستان ، وهرات وقندهار مفتاحا الأقطار الهندية ، وحيدرآباد عاصمة مملكة نظام الوطنية إلا من هاتيك المدن التى شيدها هذا الملك الاجتماعى العظيم والسياسى القدير .

* * *

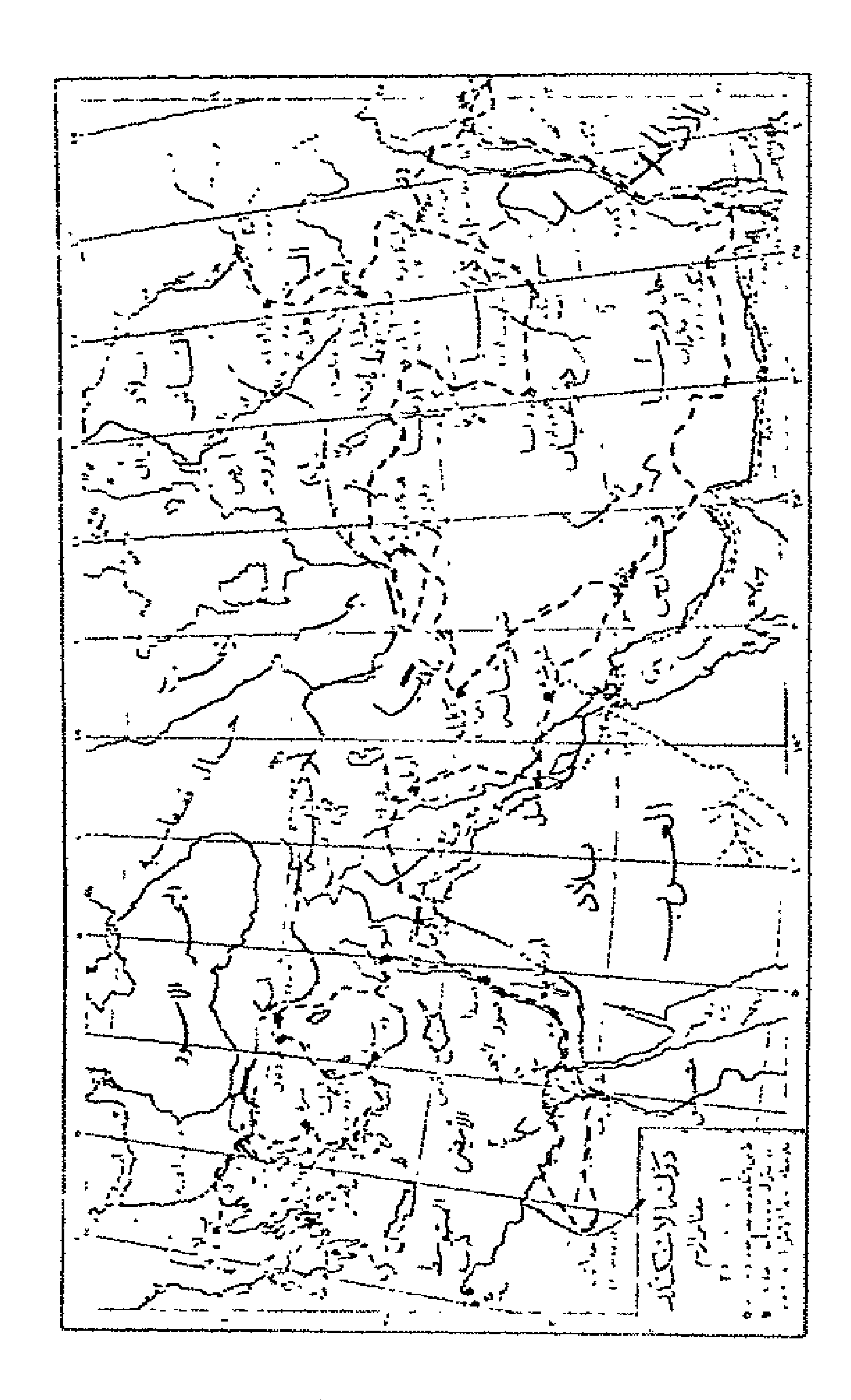
(٥ - موت الاسكندر ونتيجة عمله)

دخل الاسكندر مدينة بابل بعد أن قاسى من ضروب التعب والنصب أشدها ومن صنوف الحاجة والحرمان أمرها ، فانغمس هو وجنده فى اللذات وتغالوا فى التمتع بمختلف الألوان من الطعام والشراب ، وفاته أن مثل تلك الحياة فى بلد تكثر فيه المستنقعات وتملأ جوه جراثيم الأمراض قد يؤدى إلى ما لا يدفعه ملك ولا سلطان .

ففى آخر فصل الربيع من سنة (٣٢٣) أصيب بحمى شديدة قاومها بضع أيام بالتنقل فى الأماكن الصحية من قصره ، وهى تسير سيراً حثيثاً إلى أن لفظ نفسه الأخير فى النصف الثانى من شهر يونيه قبل أن يتم الحول الثالث والثلاثين .

مات الاسكندر وترك ذكراً عالياً وأثراً خالداً في تاريخ اليونان ، لا لأن الدولة التى أسسها كانت مدعمة الأركان مشيدة البنيان ، ولكن لأنه ألف بين الأمم الأسيوية والأمم الأوروبية ، ومزج بعضها ببعض ، فتعرف كل فريق روح الآخر فى العلم والحكمة والعادات والأخلاق ، ونشأ من ذلك حضارة جديدة أرقى من الحضارة اليونانية الأصلية سطع نورها خارج أغريقية فى مصر والشام .

* * *



(دولة الاسكندر)

الباب الرابع عشر

انحلال دولة الاسكندر

● **ملخص تمهيدى :**

١ - **أسباب الانحلال** : اختلاف عناصر الدولة وتباين أجناسها ، وطمع القواد في الاستقلال بالأقاليم التى يحكمونها ، وينقسم عصر ذلك الانحلال الذى دام نيفاً وأربعين سنة إلى أربعة أدوار .

٢ - **حالة الدولة في الدور الأول** سنة (٣٢٣) إلى سنة (٣١٦ ق . م) : انقضى هذا الدور تحت حكم نواب الاسكندر أغوس القاصر بن الاسكندر الأكبر الذين عهدوا إدارة الأقاليم إلى أشهر القواد وحافظوا على وحدة الدولة فى عهدهم .

٣ - **الدور الثانى - عصر الفوضى والاضطراب فى الدولة** سنة (٣١٥) إلى سنة (٣٠٦) : ابتدأ هذا الدور بالقضاء على من بقى من أسرة الاسكندر ، وساد فيه الخلاف بين القواد إلى أن أدى إلى نشوب الحرب بين ليسيما خوس حاكم ثراقة وسيلوقس حاكم الشام وبطلميوس حاكم مصر ، وبين أنذيغونس حاكم فريغيا غيرة وحسداً ، ثم تصالحوا سنة (٣١١ ق . م) على أن يحكم كل منهم ما تحت يده من البلدان .

٤ - **الدور الثالث - عصر عظمة أنذيغونس** سنة (٣٠٦) إلى سنة (٣٠١ ق. م) : بعد صلح سنة (٣١١) دفع الطمع أنذيغونس إلى الاستيلاء على أثينا وكرنثوس وجزائر الأرخبيل ، فخاف زملاؤه زيادة نفوذه ، فتحالفوا ضده وقتلوه فى وقعة أيبسوس سنة (٣٠١ ق . م) .

٥ - **الدور الرابع - انقسام الدولة إلى ثلاث ممالك** سنة (٣٠١) إلى سنة (٢٧٧ ق . م) : انقسمت الدولة بعد وقعة أيبسوس إلى أربع ممالك اثنتان فى أوروبا وواحدة فى آسيا ، وواحدة فى أفريقية ، ثم دخلت ثراقة ضمن المملكة الأسيوية ، وسقطت مقذنيا بموت حاكمها ، ثم عادت إلى الظهور تحت حكم

أنذيغونس غونتاس ، فآل الأمر إلى تكوّن مملكة مصر ، ومملكة سوريا ، ومملكة مقذنيا .

*

(١ - أسباب انحلال الدولة)

لم تكن الدولة التى كوّنها الاسكندر لتبقى طويلاً لاختلاف عناصرها وتباين أجناسها ، فإن أكثر الأمم والشعوب التى أخضعها ذلك البطل العظيم كالمصريين والشاميين والفارسيين والهنود والأرمن لا تزال تذكر مجدها التالد وعزها الفائت، فلم يكن يتوقع أن تخنع جميعها لحكم فرد واحد لا يمكن أن يمثل شخصية كل منها ، غير أن هذه الميول لم تكن وحدها السبب فى سرعة انحلال دولة الأسكندر ، وإنما ساعد على ذلك طمع قواده الذين عرفوا تلك الميول فلبسوا لبوسها وتقدموا للأمم التى تنشد الاستقلال وخادعوها ، فانخدعت وقبلتهم ساسة لها وملوكاً عليها ، وبذلك عادت إلى الظهور المملكة المصرية والمملكة الشامية والمملكة الفارسية وغيرها .

وينقسم عصر هذا الانحلال الذى دام نيفاً وأربعين سنة إلى أربعة أدوار متمايزة:

١ - **الدور الأول من سنة (٣٢٣) إلى سنة (٣١٦ ق . م)** : وقد حافظ فيه على وحدة الدولة برذيكاس وأنتيبتروس وبوليبرسخون نواب الملك لما كان لهم من السلطة العالية والنفوذ العظيم ، وانتهى هذا الدور بقتل حامى حمى البلاد والذائد عن حوض وحدتها القائد الحازم أومينس .

٢ - **الدور الثانى من سنة (٣١٥) إلى سنة (٣٠٦ ق . م)** : وهو عصر الفوضى والاضطراب ، فقد أهريقت فيه دماء أسرة الاسكندر جميعها ، ولم ينته إلا عند ما اتخذ قواد الاسكندر لقب الملوك .

٣ - **الدور الثالث من سنة (٣٠٦) إلى سنة (٣٠١ ق . م)** : وهو عصر عظمة أنذيغونس ملك فريغيا وآسيا الصغرى مع ابنه ذيمتريوس بوليوكريتس ، وقد انتهى بقتل أنذيغونس فى وقعة أيبسوس سنة (٣٠١ ق . م) .

٤ - **الدور الرابع من سنة (٣٠١) إلى سنة (٢٧٧ ق . م)** : وهو المدة التى

تكوّنت فيها نهائياً مملكة مصر ومملكة سوريا ومملكة مقدنيا ، أما الحكومات الأخرى فلم تنفصل عن تلك الممالك إلا فيما بعد .

* * *

(٢ – حالة الدولة في الدور الأول سنة ٣٢٣ إلى سنة ٣١٦ ق . م)
(برذيكاس ، أنتيبتروس ، بوليبرسخون)

بعد موت الاسكندر وضعت زوجته ولداً ذكراً دعته باسم أبيه الاسكندر أغوس فنودى به ملكاً وصار من حق عمه أريذيوس أن ينوب عنه في الحكم ، غير أن هذا النائب كان أبله ضعيف الإرادة ، فسلبت منه السلطة الحقيقية وقصر حقه على مراسم الاحترام والتبجيل ، وقام بالأمر باسم الملك القائد العظيم برذيكاس ، ولم تدم وصايته غير ثلاث سنوات .

سار برذيكاس على خطة ظنها المثلى وفاته أنه أعد بها الدولة للانحلال فالتدهور إلى مهاوى السقوط ، رأى هذا النائب أن يعهد إدارة الأقاليم العظيمة لرصفائه حتى يملك قلوبهم ويحملهم على العمل باسمه ، فأقام أنتيبتروس حاكماً على مقدنيا واليونان ، وبطليموس على مصر ، وأنذيغونس على فريغيا ، وأومينس على بنْتُس [١] ، وليسيماخوس على ثراقة ، ومع ذلك قامت في عهده ثورات في بعض الجهات جرياً وراء الاستقلال ، فأقمعها بشدة وأعاد الأمن إلى نصابه ، وكان أشد هذه الثورات ما قام به ذيمسثينس في أثينا ، فإن هذا الخطيب الكبير عاد من منفاه وترأس الحزب الوطني وهم بالتخلص من نير أنتيبتروس ، فكانت الحرب اللامية [٢] ، وهي التي انهزم فيها ذيمسثينس وخاف أن يقع في يد عدوه ، فتناول شيئاً من السم على باب هيكل بوسيذون (نبتون) سنة (٣٢٢ ق. م) .

وفي سنة (٣٢١) رأى برذيكاس أن الخطر كله الذى يحيق بالدولة ، إنما هو في استقلال القواد ، فشرع في وضع حد لسلطانهم فعصاه بطلميوس ، ولما أراد أن يسير إليه قتلته الجنود غير النظامية .

---

(١) قطر في الشمال الشرقي من آسيا الصغرى على البحر الأسود .

(٢) نسبة إلى مدينة لاميا من مدن أغريقية الوسطى بالقرب من ساحل الخليج المسمى باسمها المقابل للطرف الشمالي الغربي من جزيرة أُفْيا ، ويسميها الترك : « زيتونى » .

وقد عرف خلفاء برذيكاس وأنتيبتروس وبوليبرسخون كيف يؤيدون النظام فى الدولة ويوطدون السلم في أرجائها ، ويحافظون على وحدتها وكيانها مدة خمس سنوات متواليات بهمة أومِينس الذى كان ناموساً للاسكندر وتصدى للدفاع عن الدولة وتأييد شوكة الأسرة المالكة ، ولما كان هذا الرجل فارسى المولد والمنزع أبغضه المقدونيون ، وعملوا للإيقاع به ، ورآه أنذيغونس شجاً فى حلقه وسداً منيعاً دون أطماعه ، فاحتال للتخلص منه وقتله ، فكان موته مبدأ الاضطراب والفوضى اللذين عما جميع أرجاء الدولة .

* * *

(الدور الثانى)

(٣ - عصر الفوضى والاضطراب فى دولة الاسكندر سنة ٣١٥ إلى سنة ٣٠٦)

(تحالف القواد ضد أنذيغونس)

ابتدأ هذا العصر بقتل القواد للبقية الباقية من أسرة الاسكندر ، ويظهر أنهم حذوا في ذلك حذو أولمبياس [١] العجوز التى قتلت أريذيوس أخا ذلك الفاتح العظيم ، وحذو روكسانة [٢] التى قتلت زوجه ستاتيرا ابنة دارا ، فإن كسنذروس الذى ولى الحكم على مقذنيا بعد أبيه أنتيبتروس أهلك هاتين القاتلتين وقضى أيضاً

---

(١) أُلمبياس : ابنة ملك أبيروس وزوج فيلبس ، وكان شغف بها أولاً ، ولكنه ما لبث أن أبغضها ، واقترن بكليوبطرة ابنة أحد القواد المقذونيين ، فعادت إلى أبيروس ومعها ابنها الاسكندر ، ثم رجعت إلى مقذنيا بعد موت زوجها ، وحاولت أن تستحوذ على النفوذ كله باسم ابنها وقتلت ضرتها كليوبطرة وابنتها معاً ، وكثيراً من أعدائها ، ثم نازعت أنتيبتروس الحكم أثناء حملة الاسكندر على الفرس ، وبعد موته فرت إلى أبيروس مرة ثانية ، ولم تعد إلى مقذنيا إلا بعد موت خصمها أنتيبتروس ، ثم طمعت فى الحكم بالنيابة عن حفيدها من روكسانة ، فقتلت أريذيوس وكثيرين من حزبه ، فكانت هذه الأعمال الوحشية سبباً فى غضب المقذونيين عليها وتداخل كسنذروس الذى حاصرها فى بذنا وقتلها .

(٢) روكسانة : ابنة المرزبان أُكسيرْت البلخى ، تزوجت الاسكندر سنة (٣٢٧ ق . م) ووضعت الاسكندر اغوس بعد موت زوجها بثلاثة شهور ، ثم اتفقت مع برذيكاس النائب العامل عن الملك على قتل ضرتها ستاتيرا ، واشتركت مع أولمبياس حماتها فى قتل أريذيوس ، ثم لاقت حتفها مع ابنها على يد كسَّنذروس ، وكذلك يجزى الله الظالمين .

على الاسكندر أيغوس الملك القاصر ، كما أن أنذيغونس أمر بقتل كليوبطرة أخت الاسكندر الأكبر ، وكذلك فعل بوليبرسخون بهيرقليس أحد أولاده غير الشرعيين.

وقد ساد بعد ذلك الخلاف بين القواد ، واشتد خوف كل واحد من الآخر حتى كان يراقب كل حركاته وسكناته ، ويحسب حساباً كبيراً لكل عمل من أعماله ، فملكهم بعد قليل الحسد لأنذيغونس الذى كان يمتد نفوذه ويقوى سلطانه فى آسيا الصغرى ، فعقدوا ضده تحالفاً كان زعماؤه ليسيماخوس وبطلميوس وسيلوقس حاكم بابل ، ثم نشبت الحرب بين الفريقين ، فقاوم أنذيغونس وابنه ذيمتريوس الملقب ببوليوكريتس (أى فاتح المدن المتحالفين) مقاومة شديدة كادت تنثنى أمامها عزائمهم بادئ بدء ، ثم اضطر سنة (٣١١) إلى عقد صلح خول لكل من المتعاقدين الحكم على ما تحت يده من البلدان دون أن يمنح لقب ملك لأى واحد منهم ، وظلوا كذلك إلى سنة (٣٠٦ ق . م) ، وحينئذ اجترأ ذيمتريوس على انتحال هذا اللقب ، فتقفاه أبوه وبطلميوس وليسيماخوس وكسَّنذروس وسيلوقس .

* * *

(الدور الثالث)

(٤ – عصر عظمة أنذيغونس وابنه ذيمتريوس سنة ٣٠٦ إلى سنة ٣٠١)
(وقعة أيبسوس سنة ٣٠١ ق . م)

إن صلح سنة (٣١١) لم يقعد بهمة أنذيغونس ولم يثنه عن أطماعه ، فأوّل ابنه شرائط العقد ، وكانت تقضى بحرية المدن اليونانية بما شاءت أهواؤه ، واستولى على أثينا سنة (٣٠٧) ، ثم دخل كورنثوس سنة (٣٠٣) وعقد فيها مؤتمراً عاماً من تلك المدن حمله على منحه لقب القائد الأعظم لليونان ، كما فعل فيلبس والاسكندر من قبل .

ساد ذيمتريوس على أثينا وكورنثوس والجزائر فساد على البحر جميعه ، لأنه كان أسر فى قبرس الأسطول المصرى ، وأقام لمناسبة ذلك الفوز تمثالاً فى جزيرة سامثراكى على مقدم سفينة نقله الفرنسويون إلى متحف اللوفر .

رأى سيلوقس وبطلميوس هذا التقدم السريع ، فطار لبهما فرقاً وجددا تحالف

سنة (٣١١) ، وانضم إليهما ليسيماخوس وكسَّنذروس وشهروا على أنذيغونس الحرب فى فريغيا ، وانتصروا عليه فى وقعة أيبسوس وقتلوه .

أما ابنه ذيمتريوس فاستمر يناوشهم تارة فى أثينا وأخرى فى مقذنيا وثالثة فى الشام إلى أن قبض عليه سيلوقس وأبقاه عنده أسيراً حتى مات سنة (٢٨٣ ق . م) تاركاً ولداً يدعى أنذيغونس غونتَاس لم يلبث أن صار ملكاً على مقذنيا .

* * *

(الدور الرابع)

(٥ - انقسام الدولة إلى ثلاث ممالك سنة ٣٠١ إلى سنة ٢٧٧ ق . م)

أسفرت وقعة أيبسوس عن انقسام دولة الاسكندر إلى أربع ممالك : اثنتان فى أوروبا ، وهما : مملكة مقذنيا وحاكمها كسَّنذروس ، ومملكة ثراقة وحاكمها ليسيماخوس . وواحدة فى آسيا تشمل جميع الأقاليم الأسيوية خلا جزءاً صغيراً من آسيا الصغرى كان تابعاً لليسيماخوس وحاكمها سيلوقس ، وواحدة فى أفريقية وحاكمها بطلميوس .

ولما مات كسنذروس سقطت مملكة مقذنيا ودخلت تحت حكم ليسيماخوس ، ثم وقع خلاف على بعض قطع من الأرض فى آسيا الصغرى بين ليسيماخوس وسيلوقس نجم عنه اشتباكهما فى وقعة كيروبيذيون التى انجلت عن موت ليسيماخوس ، وهو فى السابعة والسبعين من عمره ، وبذلك دخل تحت حكم سيلوقس جميع دولة الاسكندر ما عدا مصر ، غير أن مقذنيا عادت إلى الظهور ونادت سنة (٢٧٧ ق . م) بأنذيغونس غونتاس ملكاً عليها ، فكانت النتيجة الأخيرة لانحلال دولة الاسكندر تكوّن مملكة مصر فى أفريقية [١] ، ومملكة سوريا فى آسيا [٢] ، ومملكة مقذنيا فى أوروبا .

* * *

---

(١) مصر فى عهد البطالسة ، جزء من تاريخ مصر ، فليرجع إليه .

(٢) سوريا فى عهد السلاقسة ، جزء من تاريخ الشام ، فليرجع إليه .

الباب الخامس عشر

الحروب الأهلية الأخيرة

(خبر مقدنيا وأغريقية من موت الاسكندر إلى الفتح الرومانى)

● **ملخص تمهيدى :**

١ – **مقدنيا** : لم تدم مقدنيا بعد موت الاسكندر غير (١٧٠) عاماً انقضى خمسون منها فى اضطراب وفوضى ، وخمسون أخرى فى نوع ما من النظام والسكينة ، والباقى فى حروب شعواء مع رومية تتخللها فترات خضوع وخنوع .

٢ – **أغريقية** : ينحصر تاريخها من موت الاسكندر إلى استيلاء الرومانيين عليها فى فتن داخلية وحروب أهلية بين الفقراء والأغنياء أشدها ما كان فى بيلوبونيسوس بمدينة أسبرطة .

٣ – **التحالف الأيطولى** : تكوّن فى أيطوليا تحالف يرمى إلى بسط نفوذه على أغريقية ، فجره الطمع وحب الأثرة إلى التذرع بوسائل الغدر والخيانة ، فكان ذلك سبباً فى إضعاف اليونان وخضوعهم فى زمن قريب للرومانيين .

٤ – **التحالف الأخائى** : وقد تكوَّن كذلك فى أخائيا تحالف سعى فى توحيد كلمة اليونان ، وسار سيراً حميداً يشف عن وطنية صادقة ، فعاكسه التحالف الأيطولى ودست له أسبرطة الدسائس ، ولم يمهله الرومانيون بعد مقدنيا إلا قليلاً، وبذلك صارت أغريقية كلها سنة (١٤٦ ق . م) عمالة رومانية .

❊

(١ – خبر مقدنيا)

كانت مملكة مقدنيا أتعس حظاً وأقصر أجلاً من الممالك الثلاث التى قامت على أنقاض دولة الاسكندر ، يرجع ذلك إلى تفانيها فى المحافظة على فتوح ملكها القدير واستثمار عمله العظيم بعد أن ألقت بأفلاذها إلى الشرق ، فبقيت ضعيفة تنازع البقاء إلى أن وقعت فى مخالب الرومان .

حكم أنتيبتروس بلاد مقدنيا بحزم وعزم ، وخلفه ابنه كسندروس ، ولم يعقب إلا ولداً صغيراً سمى فيلبس الرابع [1] لم يعش بعد أبيه إلا بضعة أشهر ، فآل الحكم إلى ليسيماخوس ، وقد علمنا ما كان من أمره ، وكان يتوقع أن يؤول بعده إلى بيرهوس ملك أبيروس وقريب الاسكندر ، وقد شغلته عن مقدنيا حملة ساقها إلى صقلية وجنوب إيطاليا ضد الرومانيين ، فولى الحكم عليها بطلميوس كيرونوس (الصاعقة) أخو بطلميوس الثانى ملك مصر ، ولم يلبث هذا الأمير أن قتل فى وقعة بينه وبين أمة الغول المتبربرة التى زحفت من شواطئ نهر الطونة وأغارت على مقدنيا وأعملت فيها السلب والنهب ، ثم تقدمت إلى الجنوب وانتشرت فى أغريقية نفسها ، ففقدت كثيراً من أبنائها ، وتشتت شملها ، وعاد فريق منها إلى مقره الأول ، وشخص الباقون إلى آسيا .

وبعد انسحاب الغول نودى بأنديغونس غونتاس ملكاً على مقدنيا سنة (٢٧٧) فنشر على ربوعها ألوية السلم وعلى أهلها أعلام السعادة ، ثم خلفه فى الحكم ابنه ديمتريوس الثانى ، ثم حفيده أنديغونس الثانى الذى أخذ بناصر التحالف الأخائى ضد الأسبرطيين فى وقعة سِلاسيا سنة (٢٢١) .

وفى أول حكم فيلبس الخامس عبر الرومانيون بحر الأدرياتيك ، واستوطنوا فى أيليريا ، وقد أيقن فيلبس هذا أن الخطر محدق به ما دام الرومانيون على تخوم بلاده ، فجعل همه محاربتهم فى أطماعهم ، واشتبك معهم فى وقعتين عظيمتين فى أيليريا سنة (٢١٥) وثساليا سنة (١٩٧ ق . م) ، ولكنه هزم فى كلتيهما .

ولإضعاف فيلبس عمد الرومانيون إلى سياسة التفريق ، فقرروا منح المدن

---

(١) ملوك مقدنيا الذين تسموا بهذا الاسم :

فيلبس الأول : كان ملكاً على مقدنيا فى القرن التاسع قبل الميلاد حسبما جاء فى دائرة المعارف الفرنسوية .

فيلبس الثانى : أبو الاسكندر .

فيلبس الثالث : يلقب بأريديوس عم الاسكندر أغوس .

فيلبس الرابع سنة (٢٩٧) إلى سنة (٢٩٦) : الابن البكر لكسندروس ، لم يحكم إلا شهوراً .

فيلبس الخامس سنة (٢٢١) إلى سنة (١٧٨) : سيأتى ذكره بعد .

اليونانية الحرية المطلقة ، وتلى هذا القرار فى موسم الألعاب البرزخية [1] ، فابتهج له اليونانيون وفرحوا به كثيراً ، وغاب عنهم أن سلامتهم فى اتحادهم مقذنيا .

ثم مات فيلبس الخامس وخلفه فى الحكم ابنه برسفس ، فكان للرومانيين عدواً شديداً وخصماً عنيداً ، شهر عليهم الحرب سنة (١٧١) ، ولبث يكافحهم ويدوخ جيوشهم ثلاث سنوات متواليات ، فقرر المجلس النيابى الرومانى إنفاذ خيرة الفرق الرومانية إلى بلدنا ، فكانت الوقعة الحاسمة بين الفريقين ، إذ أسر فيها برسفس ، ثم حكم عليه بالإعدام جوعاً .

ومع ذلك لم تلحق مقذنيا بالدولة الرومانية ، فقد عولت رومية على تنصيب حكام عليها من أهلها ومن أنصار سياستها ، ولكنها أحست بشروع نفر من المقذونيين فى تكوين حزب وطنى يرمى إلى الخروج عليها والقضاء على نفوذها ، فعدلت عن الطريقة الأولى ، وقررت جعل مقذنيا عمالة رومانية من سنة (١٤٨ ق . م) .

* * *

(٢ – خبر أغريقية)

بينما كان ملوك مقذنيا يحاربون الرومانيين ويعملون لصدهم عن بلادهم كانت أغريقية تموج بالفتن الداخلية والحروب الأهلية ، وتبذل فى ذلك آخر قطرة من حياتها ، وقد صرفتهم هذه الحروب التى لم تقم إلا لأسباب اجتماعية صرفة عن أكبر مصالحهم وأقدس واجباتهم ، كما صرفهم انغماسهم فى اللذات عن حبهم لوطنهم .

تحرك ما كمن فى صدور الفقراء من البغض للأغنياء ، وظهر بشكل مريع فى جميع الحكومات ، وقام فى كل مدينة حزب يطالب بنفى الأغنياء وتقسيم أرضهم ومتاعهم ، وكان يذكى نار هذه الأطماع أناس لا هم لهم إلا الوصول إلى منصة الحكم من أى طريق ، فكان ذلك عملاً اشتراكياً محضاً ، فلا غرابة حينئذ إذا زاد الأغنياء عن حياضهم ودافعوا عن أملاكهم ، إلا أنهم لم يقفوا عند هذا الحد بل

---

(١) التى تقام فى برزخ كورنثوس .

دفعهم إيثار المال على الوطنية الصادقة إلى استقبال الأجانب بصدر رحيب وقلوب جذلة ، ظناً منهم أن فى ذلك خلاصهم مما كان يتهددهم فى حياتهم وأهليهم .

ولم تكن تلك الحروب الأهلية فى أى جهة بأشد منها فى أسبرطة ، حيث آلت الثروة كلها إلى عدد قليل من الأسبرطيين الأصليين يساكنهم كثير من الفقراء المعدمين ، وقد أراد أجيس الرابع أن يرجع إلى قوانين ليكورغوس ونظمه ليعيد إلى أسبرطة حياتها الأولى ، فكان نصيبه فى ذلك الفشل وتآمر عليه الملاك بزعامة ليونيذاس الملك الثانى وأوقفوه ، ثم حاكموه فحكم عليه بالإعدام .

وفى سنة (٢٢٥ ق . م) حاول كليومينس الثالث إنفاذ ما كان شرع فيه آجيس ، ونجح فى إقامة الولائم العمومية والألعاب الجسمانية ، ولكنه لما شرع فى تقسيم الأرض على الفقراء قامت بيلوبونيسوس ضده دفعة واحدة ، واستعان الأخائيون بأنذيغونس الثانى ملك مقذنيا ، فانهزم كليومينس فى سلاسيا ، وفر إلى الأسكندرية ، حيث قتله بطلميوس الرابع .

ولم يكن موت هذين الملكين عبرة لغيرهما ، بل قام جملة زعماء طغوا وبغوا وصادروا الناس فى أموالهم ، وكان أشدهم قسوة وظلماً الملك نافيس ، وقد لاقى الجزاء الوفاق ، فإنه مات مذبوحاً سنة (١٩٢) ، وبقيت الفوضى تنخر فى جسم أغريقية إلى أن سقطت جميعها فى حوزة الرومان سنة (١٤٦ ق . م).

* * *

(٣ - التحالف الأيطولى)

بينما كانت أغريقية تتخبط فى أحكامها وتتعثر فى نظمها كأنها لاهية عن مستقبلها غافلة عن مصالحها تكوّن فيها تحالفان حاول كل منهما القيام بالمهمة التى عجزت عنها أعظم المدن اليونانية من قبل ، وهما التحالف الأيطولى والتحالف الأخائى : بنى الأول على الأثرة والأنانية والخيانة ، فعجل خراب البلاد ، وقام الثانى على دعائم الشرف وعلو النفس وحب الأوطان ، فبقى فخر أغريقية إلى الآن .

وأيطوليا قسم جبلى فى مدخل خليج كورنثوس على الساحل الشمالى منه وعاصمته ثرموس وسط سهل كثير المستنقعات .

لم يكن لهذا القسم عمل يذكر فى تاريخ أغريقية إلى أيام الاسكندر وبقى

بعيداً عن الحروب بعيداً عن السياسة بعيداً عن عوامل الضعف والفناء ، فأصبح قوياً بضعف أمهات المدن اليونانية الكبرى .

قام الأيطوليون وكونوا تحالفاً عمل لبسط نفوذه على البلاد المجاورة ، وجره الطمع إلى محاولة الحكم على ما وراء خليج كورنثوس وإخضاع أليذا وأخائيا ، وقد تذرعوا بكل الوسائل حتى السافلة منها للوصول لهذا الغرض ، ولما همّ أراتوس في مدينة سيكيون بتكوين التحالف الأخائي للم شعث أهل بيلوبونيسوس وتوحيد كلمتهم هاجمه الأيطوليون ، فنشبت الحرب بين الفريقين ودامت سبع عشرة سنة سنة (٢١٧) إلى سنة (٢٠٠) .

ولما هال فيلبس الثالث أمر تقدم الرومانيين ورغب في إيقافهم باتحاده مع سائر اليونانيين لم يكتف الأيطوليون بالامتناع عن شد أزره ، بل بادروا بإعلام مجلس الشيوخ الروماني بمقاصد فيلبس وطلبوا منه أن يتداخل في ذلك الأمر ووعدوه من جانبهم المساعدة ، وكانت النتيجة انهزام فيلبس في كينوكيفالى ، غير أن رومية بدلاً من أن تكافئ الخائنين المارقين منحت المدن اليونانية الحرية حتى لا يطمع شعب في السيادة على شعب آخر ، وأن يكون بعضهم على بعض رقيباً ، ولما كان هذا العمل حجر عثرة في سبيل أطماعهم استنجدوا بأنطيوخس الثالث ملك سورية ، فأصابه من الفشل ما أصاب فيلبس من قبل ، فقد هزم في أوروبا عند مضيق الترموبيل وفي آسيا بمغنسيا ، وحاق بأيطوليا غضب الرومانيين وألزموها الإذعان لأوامرهم ، وأداء غرامة حربية فادحة ، وتسليم أسلحتها وخيلها ، وإيداع رهائن من ذويها سنة (١٨٩ ق . م) .

ولما قام برسفس بعد ذلك ببضع سنين بمحاربة الرومانيين رغبت أيطوليا في تدارك ما فرط منها ومد يد المساعدة له ، فآنس منها الرومانيون استعداداً للخروج عليهم ، فأباحوها للجند وساموا أهلها الخسف ، وذبحوا سنة (١٦٧ ق . م) مجلس شيوخها المؤلف من (٥٥٠ عضواً) .

* * *

(٤ - التحالف الأخائي)

(سقوط أغريقية في يد الرومان سنة ١٤٦ ق . م)

أخائيا قسم من أقسام بيلوبونيسوس على خليج كورنثوس تجاه أيطوليا ، وقد بقيت لفقرها وضعفها بعيدة عن مشاغب أغريقية لم يصبها ما أصاب الأقسام الأخرى من الفتن والحروب ، فأصبحت بالنسبة لغيرها عزيزة قوية .

قام التحالف الأخائي سنة (٢٨٠ ق . م) ، وبدأ ضعيفاً لا يضم تحت كنفه غير أربع مدن صغيرة ، ولكن زعماءه ساروا به في طريق الحكمة والسداد إلى أن وسع أكثر مدن اليونان العظمى كميغابوليس وأرغوس وكورنثوس وميغارا وغيرها سنة (٢٥١ ق . م) إلى سنة (٢٤٣ ق . م) ، وأثينا سنة (٢٢٥ ق . م) .

حرك هذا التقدم السريع ما كمن من الحسد والغيرة في قلوب الأيطوليين ، فشهروا على الأخائيين الحرب ، ولكنهم ردوا على أعقابهم مدحورين ، وهمّ كليومينس ملك أسبرطة بالتحرش بهم والتعدى على حقوقهم ، فانتصر عليه أراتوس في سلاسيا بمساعدة أنذيغوتس الثاني سنة (٢٢١ ق . م) .

وبعد موت أراتوس ذلك القائد العظيم والمصلح الكبير قام سنة (٢١٣ ق . م) بسياسة التحالف فيليبو أيمن من ميغابوليس ، وسار على نهج سلفه في معاضدة مقذنيا ومؤازرتها على مقاومة الرومانيين ، وحافظ على وحدة التحالف على الرغم من دسائس أسبرطة ورومية ، وفتنهما مدة عشرين سنة كاملة .

وفي سنة (١٨٣ ق . م) علم بانسلاخ ميسيني من التحالف ، فلم تمنعه سنه التي كانت بلغت السبعين ولا مرضه الشديد من الزحف على تلك المدينة في نفر قليل ، فأسره الميسينيون ونفذوا عليه الحكم بالإعدام ، فكان آخر الأبطال العظماء من اليونان ، فإنه بعد هزيمة برسفس ملك مقذنيا أغار الرومانيون على أخائيا وأخذوا ألفاً من أهلها رهائن بقوافي رومية سبع عشرة سنة ، ولكنهم لم يمسوا التحالف بسوء في تلك الأثناء .

وفي سنة (١٤٦ ق . م) أصدرت رومية أمراً بإخراج أرغوس وأرخيمينوس من ذلك التحالف ، فثار الأخائيون لهذا التداخل وقاموا قومة رجل واحد وجمعوا أربعين ألفاً من المقاتلين تحت أمرة ذيبوس ، فهزمهم موميوس الروماني في مدخل خليج كورنثوس ، وقضى على أغريقية القضاء الأخير ، فصارت من ذلك العهد عمالة تابعة للرومان .

* * *

فهرس الكتاب

(الباب الثالث : أغريقية الأولى والحالة الاجتماعية والحكومة والأخلاق والعادات)

(٣٣ – ٤٢)

ملخص تمهيدى ، الحالة الاجتماعية ، الحكومة ، الديانة ، العبادة والوحى ، الألعاب ، الأخلاق والعادات .

* * *

(الباب الرابع : فى تاريخ أثينا وقسم الأتيكى إلى الحرب المادية)

(٤٣ – ٥٣)

ملخص تمهيدى ، قسم الأتيكى وسكانه ، ثيزفس وتأسيس الحكومة فى أثينا ، كذروس وتحويل الحكومة الملوكية إلى حكومة أوليجرشية ، سولون (سنة ٥٩٣ ق . م) ، القوانين السياسية ، الفوانين الاجتماعية والقضائية ، بيستراتس وخلفاؤه ، كلليثينس سنة (٥٠٨ ق . م) والديمقراطية فى أثينا .

* * *

(الباب الخامس : تاريخ أسبرطة وبيلوبونيسوس إلى الحروب المادية)

(٥٤ – ٦٤)

ملخص تمهيدى ، بيلوبونيسوس والذوريون ، أسبرطة ، ليكورغوس، القوانين السياسية ، القوانين الاجتماعية والعسكرية ، حروب ميسينى (سنة ٧٤٣ ق . م إلى سنة ٦٦٨ ق . م) ، تحوير الحكومة فى أسبرطة ، الحكومات الأخرى فى بيلوبونيسوس ، خريطة المستعمرات اليونانية .

* * *

(الباب السادس : المستعمرات اليونانية)

(٦٥ - ٨٠)

ملخص تمهيدى ، الغرض من الاستعمار وأسبابه ، المدن المستعمرة ، تاريخ استعمار اليونانيين ومناحيه ، نتائج الاستعمار وعلاقة المستعمرات بأغريقية ، ذكر من نبغ فى المستعمرات من الفلاسفة والحكماء ، بتاكوس ، فيثاغورس ، ثالس ، انكساغورس ، سافو ، سيمونيذس ، هيرودوتس ، هيكاتى ، ذكر من بقى من حكماء اليونان السبعة ، خيلون ، بريندروس ، كليوڤولس ، ڤياس .

* * *

(الباب السابع : فى الحروب المادية
سنة ٤٩٠ إلى سنة ٤٤٩ ق . م)

(٨١ - ٩٨)

ملخص تمهيدى ، أسباب الحروب المادية ، الحرب المادية الأولى (سنة ٤٩٠ ق . م) ، الحرب المادية الثانية (سنة ٤٨٠) ، طريق كرسيوز إلى الثرموبيلة ، وقعة الثرموبيل (سنة ٤٨٠) ، استيلاء الفرس على أثينا وإشعال النيران فيها ، الأسطول اليونانى فى سلامين ، وقعة سلامين (سنة ٤٨٠) ، هرب كرسيوز ، وقعة بلاتيه ، ذكر أبطال الحرب المادية الثانية ، بفسانيس ، ثيمستكليس ، أريستيذس ، كيمون والحرب المادية الثالثة (سنة ٤٤٩) ، نتيجة الحروب المادية .

* * *

(الباب الثامن : الديمقراطية فى أثينا
وحكومة بيريكليس سنة ٤٦٢ إلى سنة ٤٣١ ق . م)

(٩٩ - ١١٣)

ملخص تمهيدى ، تحوير حكومة أثينا ، أفيلتس ، بيريكليس ، سياسته الداخلية ، سياسته الخارجية ، الفنون والآداب فى عصر بيريكليس ، ذكر من عاصر

بيريكليس من عظماء الرجال ، أسخليوس، سوفكليس، أفريبذس ،سقراط ، بقراط ، ثوكيذيذس ، أريستوفانس ، ليسياس .

* * *

(الباب التاسع : حرب بيولوبنيسوس
سنة ٤٣١ إلى سنة ٤٠٤ ق . م)
(١١٤ - ١٢٢)

ملخص تمهيدى ، أسباب حرب بيلوبونيسوس ، الدور الأول من حرب بيلوبونيسوس ، الحرب فى عهد بيريكليس ، الطاعون فى أثينا ، موت بيريكليس (سنة ٤٢٩ ق . م) ، الحرب فى عهد كليون ، مسألة سفكتريا ، معاهدة نيكياس (سنة ٤٢١ ق . م) ، الكيفياذس ، نقض الصلح (سنة ٤١٩ ق . م)، الحملة على صقلية (سنة ٤١٥ ق . م إلى سنة ٤١٣ ق . م) ، الدور الثانى من حرب بيلوبونيسوس (سنة ٤١٢ إلى سنة ٤٠٤ ق . م) ، الاستيلاء على أثينا وإقامة حكومة الثلاثين جباراً .

* * *

(الباب العاشر : عظمة أسبرطة سنة ٤٠٤ إلى سنة ٣٧٩ ق . م)
(١٢٣ - ١٢٩)

ملخص تمهيدى ، عصر عظمة أسبرطة وأدواره ، الدور الأول : حملة عشر الآلاف وانسحابهم (سنة ٤٠١ إلى سنة ٤٠٠ ق . م) ، أبيسيلاوس وسياسته (سنة ٣٩٩ إلى سنة ٣٩٥ ق . م) ، الدور الثانى: نهضة أثينا (سنة ٣٩٥ إلى سنة ٣٨٧ ق . م) ، معاهدة أنتلكيذس (سنة ٣٨٧ ق . م) ، الدور الثالث : فظائع الاستبداد (سنة ٣٨٧ إلى سنة ٣٧٩ ق . م) .

* * *

(الباب الحادى عشر : عظمة ثيبة سنة ٣٧٩ إلى سنة ٣٦٢ ق . م)

(١٣٠ - ١٣٧)

ملخص تمهيدى ، تخليص ثيبة (سنة ٣٧٩ ق . م) ، الدور الأول (سنة ٣٧٩ إلى سنة ٣٧١) : الحرب فى بيوثيا ، محالفة أثينا مع ثيبة، نقض المحالفة ، وقعة لفكترا (سنة ٣٧١ ق . م) ، رباطة جأش الأسبرطيين ، الدور الثانى (سنة ٣٧١ إلى سنة ٣٦٦ ق . م) : أيامينناداس فى بيلوبوتيسوس ، ميغابوليس وميسينى ، الدور الثالث (سنة ٣٦٦ إلى سنة ٣٦٢) : بيلوبيذاس فى ثساليا ومقذنيا ، وقعة منتنيا ، موت أيامينناداس (سنة ٣٦٢ ق . م) .

* * *

(الباب الثانى عشر : عظمة مقذنيا والكلام على فيلبس)

(١٣٨ - ١٥٤)

ملخص تمهيدى ، وصف مقذنيا قبل فيلبس ، أعمال فيلبس ، إصلاح مقذنيا الداخلى وتنظيم جيشها ، إبعاد الحدود المقذونية إلى بحر الأرخبيل ، تداخل فيلبس فى شؤون اليونان (سنة ٣٥٣ إلى سنة ٣٣٨ ق . م) ، احتلال فيلبس لثساليا وإخماد الحرب المقدسة الأولى (سنة ٣٥٣ إلى سنة ٣٥٢ ق . م) ، الخلاف الأول مع أثينا ومقذنيا (سنة ٣٥٢ إلى سنة ٣٤٦) ، الصلح مع أثينا (سنة ٣٤٦ ق . م) ، الخلاف الثانى بين الأثينيين وفيلبس (سنة ٣٤٤ إلى سنة ٣٣٩ ق . م)، الفيلبيات الثلاث الأخيرة ، وقعة خيرونيا (سنة ٣٣٨ ق . م) ، تجهيزات فيلبس للحملة على الفرس (سنة ٣٣٨ ق . م) ، موته (سنة ٣٣٦ ق. م) ، ذكر من نبغ من العظماء فى القرن الرابع قبل الميلاد، أفلاطون، أرسطوطاليس ، ذيمستينس .

* * *

(الباب الثالث عشر : الاسكندر الأكبر)
(١٥٥ - ١٦٥)

ملخص تمهيدى ، الاسكندر الأكبر ، الدور الأول من حكمه (سنة ٣٣٦ إلى سنة ٣٣٤ ق . م) ، إخماد الثورات فى بلاد اليونان ، الدور الثانى (سنة ٣٣٤ إلى سنة ٣٢٥ ق . م) ، فتح الأقاليم البحرية فى آسيا (سنة ٣٣٤ إلى سنة ٣٣١ ق . م) ، فتح آسيا الصغرى ، فتح سوريا ومصر ، فتح الأقاليم الداخلية (سنة ٣٣١ إلى سنة ٣٢٥ ق . م) ، احتلال العواصم الفارسية (سنة ٣٣١ ق . م)، فتوح الشمال والشرق (سنة ٣٣٠ إلى سنة ٣٢٥) ، الدور الثالث (سنة ٣٢٥ إلى سنة ٣٢٣ ق . م) ، أعمال الاسكندر السلمية ، موت الاسكندر ونتيجة عمله ، خريطة دولة الاسكندر .

* * *

(الباب الرابع عشر : انحلال دولة الاسكندر)
(١٦٦ - ١٧١)

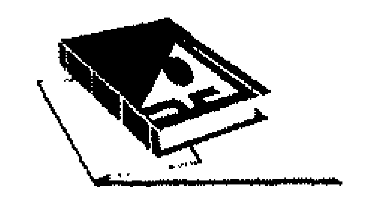
ملخص تمهيدى ، أسباب انحلال الدولة ، حالة الدولة فى الدور الأول (سنة ٣٢٣ إلى سنة ٣١٦ ق . م) ، برذيكاس ، أنتيبتروس ، بوليبرسخون ، عصر الفوضى والاضطراب فى دولة الاسكندر (سنة ٣١٥ إلى سنة ٣٠٦) ، تحالف القواد ضد أنذيغونس ، عصر عظمة أنذيغونس وابنه ذيمتريوس (سنة ٣٠٦ إلى سنة ٣٠١ ق . م) ، وقعة أيبسوس (سنة ٣٠١ ق . م) ، انقسام الدولة إلى ثلاث ممالك (سنة ٣٠١ إلى سنة ٢٧٧ ق . م) .

* * *

(الباب الخامس عشر : الحروب الأهلية الأخيرة)
(خبر مقذنيا وأغريقية من موت الاسكندر إلى الفتح الرومانى)
(١٧٢ - ١٧٧)

ملخص تمهيدى ، خبر مقذنيا ، خبر أغريقية ، التحالف الأيطولى ، التحالف الأخائى .

* * *



طباعة . نشر . توزيع

٢٢ ش سكة المدينة - ناهيا - جيزة

ت : ٣٢٥٠٢٠٢ - ٣٢٥٠٩٥٧